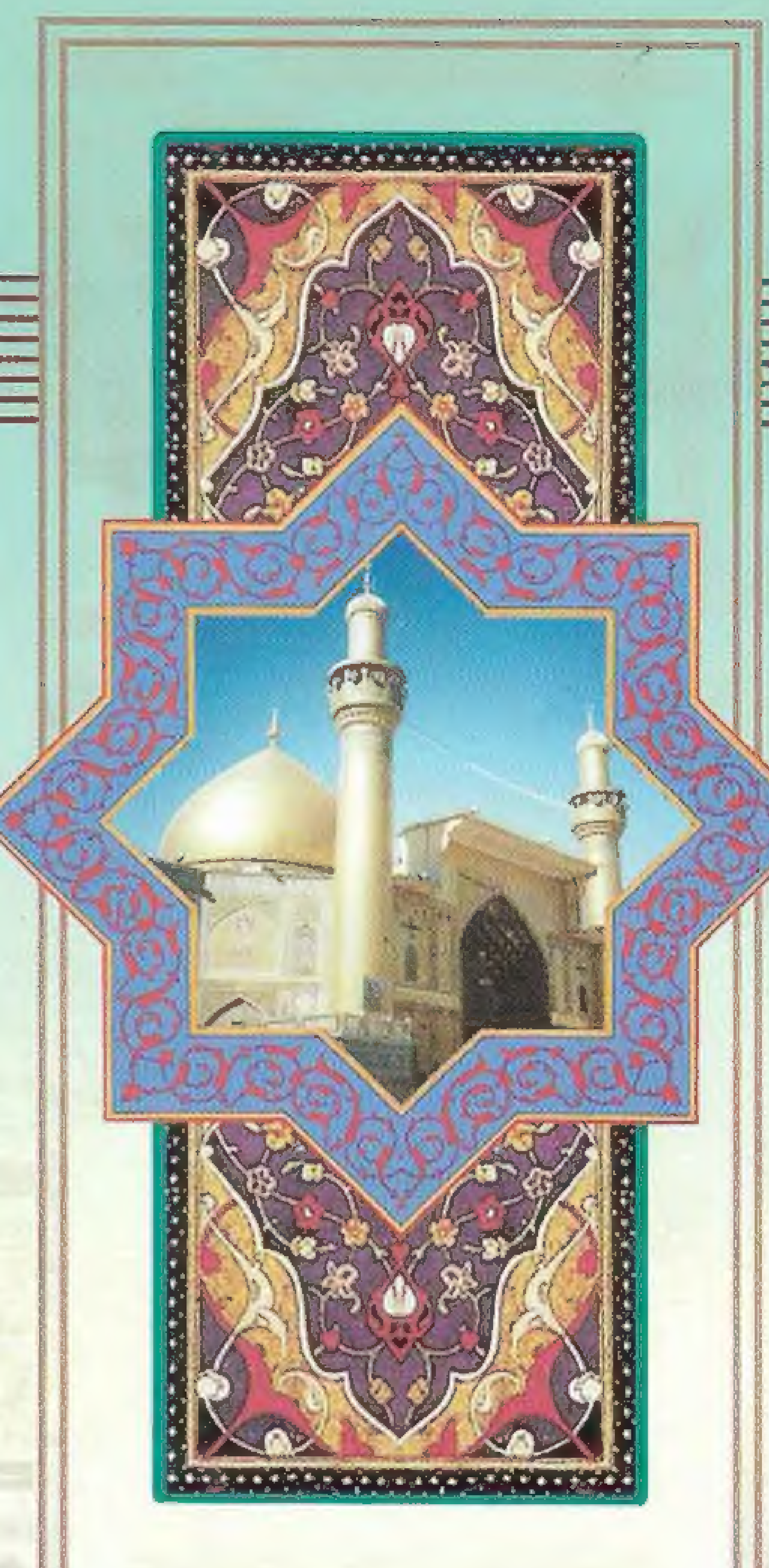






خاتم الأوصياء عليه السلام

الحلقة الأولى

محمد مهدي المؤمن



خاتم الأوصياء

الحلقة الأولى

محمّد مهدي المؤمن

مؤمن . مهدي -
خاتم الأوصياء / محـمد مهدي المؤمن ـ قم . مؤسسة المعارف الإسلامية . ١٤٢٦ ق . = ١٣٨٤. عربي
ج . ـ بنياد معارف إسلامي ؛ ١٤٨ ISBN : ٩٦٤ - ٧٧٧٧ - ٣٠ - ٢
فهرستنويسي بر أساس اطلاعات فيپا .
١ ـ محمد بن حسن (عج) إمام دوازدهم ، ٢٥٥ ق ـ خاتميت .
٢ إمامت ـ خاتميت . الف . بنياد معارف إسلامي . ب . عنوان
٢ خ ٨٤ م / ٣٥ / ٥١ BP ٢٩٧ / ٤٦٢
كتابخانه ملي إيران ١٤٠٢٥ ـ ١٢ م



١٤٨

هوية الكتاب :

اسم الكتاب : .... خاتم الأوصياء/ ١

تأليف : .... محمد مهدي المؤمن

الناشر : .... مؤسسة المعارف الإسلامية

الطبعة : .... الثانية ١٤٢٦هـ.ق.

المطبعة : .... عترت

العدد : ١٠٠٠

إيران ـ قم
ص . ب ٧٦٨ / ٣٧١٨٥ تلفون ٧٧٣٢٠٠٩ — فاكس ٧٧٤٣٧٠١
E-mail:info@maaref islami.COM


بسم الله الرحمن الرحيم



« اللّٰهُمَّ كُنْ لِوَلِيِّكَ الْحُجَّةِ بْنِ الْحَسَنِ

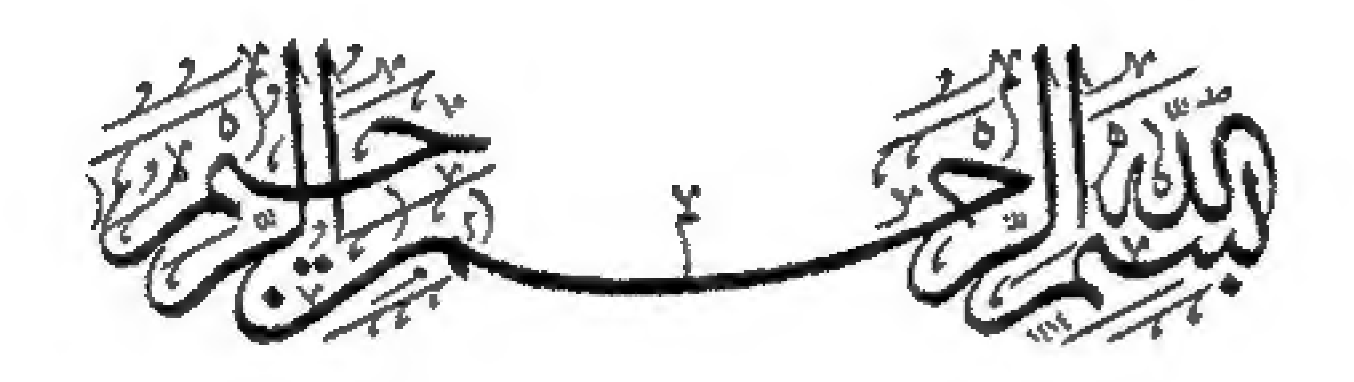
صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آبائِهِ ،

في هٰذِهِ السَّاعَةِ وَفي كُلِّ ساعَةٍ

وَلِيّاً وَحافِظاً ، وقائِداً وَناصِراً ، وَدَلِيلاً وَعَيْناً ،

حَتّىٰ تُسْكِنَهُ أَرْضَكَ طَوْعاً ،

وَتُمَتِّعَهُ فِيها طَوِيلاً » .



اللّهمّ وَصَلّ عَلىٰ وَلِيّ أَمْرِكَ الْقائِمِ الْمُؤَمَّلِ، وَالْعَدْلِ الْمُنْتَظَرِ، وَحُفَّهُ بِمَلآئِكَتِكَ الْمُقَرَّبِينَ، وَأَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ يا رَبَّ الْعالَمِينَ.

المقدّمة

لا شكّ أنّ أصالة المهدويّة والاعتقاد الأصيل بالمهدي الموعود الّذي ظهر للعيان وذاع صيته وانتشر مع بزوغ فجر الإسلام، ولمع نجمه في سماء الدّين الإسلامي الحنيف، وأضاء نوره سيماء الصّالحين المنتظرين، وتوارثوه خلفاً عن سلف، وكابراً عن كابر، واستقرّ في ضمائرهم حتّى ضرب بجذوره في أعماق نفوسهم، وأشربوا رحيقه الصّافي، لا ريب أنّ هذا التفكّر الأصيل تمتدّ جذوره في تأريخ الأديان السّماويّة، شأنه في ذلك شأن الأصالة المحمّديّة والتفكّر الأحمديّ

الّذي بشّرت به جميع الأديان والكتب السّماويّة، واتّخذه الأنبياء والرُّسل ركيزة دعوتهم ومحوراً لعملهم، يشيرون إليه بالبنان ويبشّرون أممهم وأقوامهم بالنّبيّ الخاتم ﷺ الّذي تُختتم به الرّسالات، وتُنيخ ببابه نبوّة الأنبياء، وتُنسخ بشريعته شرائع السّماء، وتنتهي إليه المكارم والفضائل بأسرها.

فالأصالة المهدويّة شأنها شأن الأصالة المحمّديّة؛ إذ هذه خاتمة النّبوّات وتلك خاتمة الوصيّات، وهذا خاتم النّبيّين كما أنّ ذاك خاتم الوصيّين، وبيُمْنِ كِليهما رُزِق الورى، وبوجودهما استقرّت الأرض والسّماء، وكلاهما الحجّة البالغة الّتي لولاها لساخت الأرض بل السّماوات والأرضون بأهلها؛ إذ وجودهما لطفٌ، وتصرّفهما لطفٌ آخر.

فالنبيّ محمّد ﷺ ثمرة مئة وأربعة وعشرين ألف نبيّ، والمهديّ -عجّل الله تعالى فرجه- ثمرة مئة وأربعة وعشرين ألف وصيّ، كافّة الأنبياء والأوصياء بشّروا بالوصيّ الخاتم كما بشّروا بالنبيّ الخاتم، ومهّدوا الطريق لظهورهما، وعبّدوا السّبيل لخروجهما؛ ذلك أنّ الوصاية المهدويّة هي البقيّة الباقية من الخلافة الإلـٰهيّة، واكتمال لحلقات سلسلة الإمامة والولاية العلويّة، وهي الكلمة الطّيّبة الّتي لولاها لاندثرت آثار النّبوّة المحمّديّة بل النّبوّات من آدمها إلى خاتمها، بَلْه كانت النّبوّات بأجمعها عبثاً، والرّسالات بتمامها لغواً، فهي كالشّجرة الطّيّبة أصلها ثابت وفرعها في السّماء، تؤتي أكلها في توالي الإمام

بعد الإمام كلّ حين بإذن ربّها.

ومن هنا كانت البشائر تتوالى من الأنبياء والأوصياء بالمنقذ الّذي يظهر في آخر الزّمان، وحيث أنّ الأرض لم تُطهّر من دنس الطّغاة وعَبَث العابثين ورجس أهل الكفر والشّرك والضّلال، فإنّ القلّة القليلة، والشرذمة اليسيرة من أهل الصّلاح، والمستضعفين من أتباع الشّرائع والأنبياء، كانوا ينتظرون بفارغ الصّبر منقذاً يقطع دابر الكفر والظّلم والاستبداد، ويُطهّر الأرض حتّى لا يذر للكافرين على الأرض دَيّاراً، باستئصال جذورهم، وإبادة آثارهم، فلا يُعبد إلّا الله، ولا يكون الدّين إلّا لله سبحانه وتعالى، وكلّما بُعث نبيٌّ أو أُرسل رسول أو خرج مصلح ظّنوا أنّه المنقذ الّذي يُرجى فيه ذلك، فأومأ إليهم أنّه ليس المنقذ على الإطلاق، ولا هو المرتجى لتطهير الأرض وإعمارها، ثمّ أرشدهم إلى أوصاف المنقذ على الإطلاق، وأمرهم أن يصبروا عَلّهم يُدركوا عظمة ملكه، وجلالة ملكوته تشريعاً وتكويناً، بل زاد فانتظروا إنّي معكم من المنتظرين، وارتقبوا إنّي معكم رقيب، فكان الانتظار دَيدنهم، والفرج غاية آمالهم، تدور رحى دعوتهم عليهما، وتنطلق انطلاقاً فطريّاً منهما، وتنبثق انبثاقاً عقليّاً عنهما، يتفاخرون أنّهم المبشّرون بالمنقذ الأعظم، والممهّدون للمهديّ سلطانه وملكه الأقوم، أُمنيتهم في الحياة، ورجاؤهم من الله جلّ وعلا أن يوفّقوا للسّير في ركبه، والجهاد تحت رايته المظفّرة المنصورة، والخدمة بين يديه.

بلى هكذا كانت سيرة الأنبياء والأولياء والأوصياء ، لم يطرف لهم جَفْنٌ ، ولا قرّت لهم عينٌ ، ولا سكنتْ لهم جارحة ، ولا قرّ لهم قرارٌ، ولا هَدَأ لهم بالٌ ، ولا راق لهم خيالٌ في تبليغ رسالاتهم وإصلاح أقوامهم ، وفي ذلك كلّه لا يريدون منهم جزاءً ولا شكوراً ؛ إذ جنّدوا أنفسهم ووطّنوها على أن يكونوا ممهّدين للمهديّ أرواح العالمين لتراب مقدمه الفدا ، فكان جزاؤهم في الدُّنيا أن يظهر المهديّ من آل محمّد ﷺ ليملأ الأرض قِسطاً وعَدْلاً كما مُلِئَتْ ظُلماً وجوراً ، وليُظهره على الدّين كلّه ولو كره المشركون ، فتتحقّق الإرادة الإلٰهيّة ، والمشيئة الرّبّانيّة ، والعناية الرّحمانيّة بمجيء الحقّ وزهوق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً .

فالمهدي المنتظر والمنقذ الأعظم هو بقيّة الله الّذي بشّر به الرّسل والأنبياء ﴿ بَقِيَّةُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾[1] ، وعليه تُعقد الآمال ، وبه تتمّ الرّسالات والشّرائع السّماويّة ؛ لأنّ به وفي سلطانه يتحقّق الوعد الإلٰهي ليرث المستضعفون الأرض ومن عليها ، وتُجنى ثمار كفاح الأنبياء والّذين اتّبعوهم ، ويُسدَل السّتار على ظلمات التّأريخ الّتي دامت آلاف السّنين ، وتُطوى صفحاته الّتي أصبحت ملئى بأفدح الفجائع وأفحش النّوائب الأليمة والمآسي الجسيمة ، تجاسروا فيها حتّى طالت ساحة

---

(١) سورة هود : ٨٦.

الأنبياء والأوصياء والأولياء والمؤمنين ، فلم يرقبوا فيهم إلاًّ ولا ذمّة ، ولا راعوا فيهم ذا رحمٍ أو كبيراً أو صغيراً أو مخدّرة قد لازمت مخبئها ، ذنبهم في ذلك أنّهم آمنوا بالله العزيز الحميد.

ولمّا كان تأريخ هذه الأُمّة وتأريخ الأُمم السّالفة وجهان لعملة واحدة ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَقٍ ﴾[1] ، « لتركبنّ سنن الأُمم من كان قبلكم حذو القذّة بالقذّة ، حتّى لو دخلوا جُحر ضَبٍّ لدخلتموه » . قالوا : يا رسول الله ، اليهود والنّصارى ؟ قال : « فمن ؟ »[2] ، فإنّ ما جرى ويجري على هذه الأُمّة عين ما جرى على أُمم الأنبياء السّابقين من قبل ، ولم تختلف عنها في الأدوات والآليات والأسباب والنّتائج ، عدا اختلاف الوجوه والصّور والأشكال ، ومن تصفّح بأنامل التّحقيق والتّأمّل صفحات تأريخ المسلمين ، وكشف عن الوجه الآخر لهذا التّأريخ وهذه الأُمّة ، وانقضّ على الحقائق الّتي طالما جاهدت الأنظمة وزمرة المحدثين والوضّاعين والكذّابين ومنتحلي العلم والدّين الدّائرين في فلك الخلفاء والسّلاطين ، على طمسها ، أو عبثت أيديهم المعلنة والخفيّة بها لتحريفها ، لا تنجلي عنه غبرة التّصفّح والتّحقيق حتّى يذعن بهذه

---

(١) سورة الانشقاق : ١٩.

(٢) تفسير ابن كثير : ٣٦٤/٢ و : ٥٢٣/٤ ، وقد جعل الحديث تفسيراً للآية السّابقة.

الحقيقة ، ولا يكاد يزول عن مقامه حتّى يقرّ بتلك الويلات والمصائب الّتي جرّتها على هذه الأُمّة تلك الطّغمة الغاصبة ، والزّمرة الواثبة على منبر رسول الله ﷺ من بعده ؛ لاتّباعها سنن الأُمم الماضية في ابتغاء الفتنة وصرف الوجوه عن صاحب الحقّ والولاية الإلٰهيّة ؛ خروجاً على سنّة نبيّها ، ومروقاً عن الدّين المبين ، واتّباعاً لأهوائها في تعيين من يخلف نبيّها ، ومحاربة إمامها المنصوب من قِبله عن ربّ العزّة جلّت عظمته ، جرياً على عادتهم في السّير على خطى السّلف من أُمم الأنبياء بقتلهم للأنبياء وأوصيائهم وصريح المخالفة لهم والتّمرّد على أوامرهم ودساتيرهم طبق النّعل بالنعل ، وحذو القذّة بالقذّة .

فقد برز قابيل وذرّيّته من أشرار أُمّة أبينا آدم عليه السلام للصالحين من أوصيائه ، فوثبوا على هابيل الوصيّ النّبيّ وعلى ذرّيّته الأنبياء والأوصياء لينالوا منهم بالقتل والتّشريد ، ثمّ جرت السّنّة ذاتها في أُمّة نوح ، حيث تغلّب الأشرار منهم على الأخيار ، فعكفوا على عبادة الأصنام ، وعادوا إليها كما كان الحال قبل الطّوفان ، ولم يكن حال أُمّة إبراهيم الخليل صلوات الله عليه أفضل من حال الأُمم السّالفة حين وثب أشرارها من بني إسحاق على أخيارها مضطهدين لهم ، ظالمين إيّاهم ، مغتصبين لحقّهم ، حتّى بعث كليم الله موسى عليه السلام إلى شرّ خلق الله اليهود من بني إسرائيل ، فأذاقوه وأخاه هارون وأوصياءه من بعده الهوان وأشدّ العذاب ، مارقين عن اليهوديّة ، مخالفين للتوراة محرّفين لها ولشريعة

السّماء جملة وتفصيلاً ، خارجين من بعده على وصيّه يوشع بن نون وبقيّة الخلف الصّالح من أوصيائه ، وهم أحد عشر وصيّاً من بعد الوصيّ الأوّل يوشع سلام الله عليه وعليهم ، فكان ما كان ، ووقع بعد موسى سلام الله عليه ما وقع من الفتن والمروق ، حتّى جاءهم داود عليه السلام ، وأعقبه الله تعالى بسليمان عليه السلام ، الّذي حكم فيهم بعلمه بالواقع معرضاً عن الأخذ بظاهر الحال ، فاستطاع أن ينال منهم بقوّته الّتي أُوتيها من تسخير الجنّ والإنس والدّواب والملك العظيم ، فأذعنوا له ، حتّى إذا مات وقضى نحبه ارتدّت الأُمّة عن دينه ، وغلبت على امرها عاصية لأمره ، غير مبالية بوصيّته ، واثبة على خلافته ، عاتية عن أمر ربّها ، معرضة عن وصيّه بالحقّ آصف بن برخيا ومن خَلَفَهُ من بعده.

ولم يكن لهذه السّنّة الباطلة في الأُمم حدّ يقفٍ ، تنتهي عندها ، بل مالت عن الحقّ كالتي قبلها ، وجرت عليها ما جرت على سالفتها وأُختها في عصيانها لروح الله المسيح صلوات الله عليه ، فقاتلت وقتلت على عهده يحيى بن زكريا عليهما السلام ، وحملت رأسه الشّريف على الرّماح لتهديه إلى عاهرة من عواهر الزّمان ، وما برحت أن طالت أيديها الملطّخة بدماء الأنبياء وأبناء الأنبياء وورثتهم ، لتطارد روح الله عيسى بن مريم عليهما السلام من فجّ إلى فجّ ، ومن كهف إلى كهف ، بغية قتله والنّيل منه ؛ محواً لذكره ، وقضاءاً تامّاً على آثاره ، وسحقاً لشريعته ، حتّى إذا رفعه الله تعالى ليدّخره للمنتقم المهدي من آل محمّد صلوات الله عليه وآله فيكون له

ناصراً ومعيناً في دولته الكريمة المرتقبة في آخر الزّمان؛ ليجتثّ دابر المتكبّرين، ويقطع أوصال الكافرين والمنافقين ﴿ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾[1]، وثبت تلك الأمّة الظّالمة على وصيّه شمعون الصّفا وحواريّيه المخلصين هاضمين حقوقهم، مطاردين إيّاهم قتلاً وتعذيباً وتشريداً، بعدما حرّفوا شريعته وعبثوا بكتابه السّماوي الإنجيل.

ثمّ إنّ ما جرى على الأنبياء وأوصيائهم من القتل والسّلب والعصيان، وما جرى على شرائعهم السّماوية من التّحريف والعبث لم يصدر من عدوّ مجاهر في عدائه، ولا من مكابر معاند معلن لعدائه، ولا ممّن ينئى بنفسه عنهم، بل ممّن صحبهم، وتظاهر أنّه من أوليائهم، وانتحل دينهم، وتصنّع ودّهم، أو ممّن عُدّ في زمرة علمائهم، كإخوة يوسف عليه السلام، والسّامريّ الّذي كان من أمّة موسى صلوات الله عليه، وبلعم بن باعورا الّذي كان معدوداً من زمرة علماء بني إسرائيل، بل أكثرهم علماً، وقد عبّر عنه القرآن الكريم: ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾[2].

وقد واكبت هذه الأمّة مسيرة أسلافها من تلك الأمم، ولم تتخلّف عن

---

(١) سورة البقرة: ١٩٣.

(٢) سورة الأعراف: ١٧٦.

ركبها طرفة عين ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَقٍ ﴾[1] ، وجرت عليها نفس تلك السّنن ، وجرّعت نبيّها وأوصياءه من أهل بيته الأطيبين الأطهرين نفس تلك الغَصص ، وعبثت بشريعته حذو القذّة بالقذّة ، فكان مآلها الذّلّ والخنوع ، والحرمان والشّقاء ، تستلقّفها أيدي الجبابرة والمردة ، وتتلاعب بها وبمصيرها زمرة من الطّغاة المستبدّين بآرائهم ، وعلماء السّوء من وعّاظ السّلاطين الّذين يحومون حول الخليفة والسّلطان ، ويدورون في فلكه ، يعزّزون سلطانه ، ويوطّئون له ملكه ، ما دامت الخلافة لمن وثب عليها بالقوّة ، والإمامة ليست ـ عندهم ـ منصباً إلـٰهيّاً ، ولا معنى لقوله تعالى ـ عندهم ـ ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[2] ، ولو على حساب الدّين .

هذه سنّة الخلق والأُمم ، وأمّا سُنّة الله تعالى فإنّها ماضية في الوصيّ بعد الوصيّ ، ونصب الإمام تلو الإمام ، حتّى يظهر الوصيّ الخاتم فيملأها قسطاً وعدلاً ، شاء من شاء ، وأبى من أبى ، ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَحْوِيلاً ﴾[3] .

---

(١) سورة الانشقاق : ١٩ .

(٢) سورة القصص : ٦٨ .

(٣) سورة فاطر : ٤٣ .

عن أبي واقد اللّيثي: أنّهم خرجوا عن مكّة مع رسول الله ﷺ إلى حنين، قال: وكان للكفّار سدرة يعكفون عندها، ويعلّقون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط، قال: فمررنا بسدرة خضراء عظيمة، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط؟ فقال ﷺ: «قلتم والّذي نفسي بيده كما قال قوم موسى: ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلٰهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾[1]، إنّها لسنن لتركبُنّ سنن من كان قبلكم سُنّة سُنّة»[2]، ذكرها أيضاً التّرمذي في صحيحه باختلاف يسير، ثمّ علّق عليها: «هذا حديث حسن صحيح»[3].

وعن سهل بن سعد الأنصاري، عن النّبيّ ﷺ، قال: «والّذي نفسي بيده لتركبنّ سنن من كان قبلكم مثلاً بمثل»[4].

وعن ابن عبّاس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لتركبُنّ سنن من كان قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتّى لو أنّ أحدهم دخل جحر ضبٍّ لدخلتم، وحتّى لو أنّ أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه»[5]، ثمّ قال عنه: «صحيح».

---

(١) سورة الأعراف: ١٣٨.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ٥/٢١٨.

(٣) صحيح الترمذي: ٣/٣٢١.

(٤) مسند أحمد بن حنبل: ٥/٣٤٠.

(٥) المستدرك للحاكم النيسابوري: ٤/٤٥٥.

وفي حديث أبي سعيد الخدري ﷺ: «لتركبُنّ سنن من قبلكم»[1].

وعن ابن عبّاس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لتركبُنّ سنن من كان قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، وباعاً بباع، حتّى لو أنّ أحدهم دخل جُحر ضَبٍّ لدخلتم، وحتّى لو أنّ أحدهم جامع أُمّه لفعلتم»[2]. ثمّ قال: «رواه البزّاز، ورجاله ثقات».

وعن عبدالله ـ يعني ابن مسعود ـ، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنتم أشبه الأُمم ببني إسرائيل، لتركبُنّ طريقهم حذو القذّة بالقذّة، حتّى لا يكون فيهم شيء إلّا كان فيكم مثله، حتّى أنّ القوم لتمرّ عليهم المرأة فيقوم إليها بعضهم فيجامعها ثمّ يرجع إلى أصحابه يضحك لهم ويضحكون إليه»[3].

وعن المستورد بن شدّاد: أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا تترك هذه الأُمّة شيئاً من سنن الأوّلين حتّى تأتيه»[4]، ثمّ علّق عليه: «رواه الطَبراني في الأوسط، ورجاله ثقات».

وعن قتادة: أنّ حذيفة قال: «لتركبُنّ سنن بني إسرائيل حذو القذّة بالقذّة، وحذو الشّراك بالشراك، حتّى لو فعل رجل من بني إسرائيل كذا وكذا، فعله رجل من هذه الأُمّة».

---

(١) شرح مسلم للنووي: ١٧/١.

(٢ ـ ٤) مجمع الزّوائد للهيثمي: ٢٦١/٧.

فقال له رجل: قد كان في بني إسرائيل قردة وخنازير.

قال: «وهذه الأمّة سيكون فيها قردة وخنازير»[1].

وروى ابن الأثير عنه ﷺ: «لتركبُنّ سنن من كان قبلكم حذو النّعل بالنعل»، ثمّ علّق عليه قائلاً: أي تعملون مثل أعمالهم، كما تقطع إحدى النّعلين على قدر النّعل الأخرى[2].

وقال ابن منظور: «لتركبنّ سنن من كان قبلكم حذو القذّة بالقذّة».

قال ابن الأثير: يضرب مثلاً للشّيئين يستويان ولا يتفاوتان[3].

قال الطّريحي رحمه الله: وفي حديث النّبيّ ﷺ: «لتركبُنّ سنن من كان قبلكم حذو النّعل بالنعل»، أي تشابهونهم وتعملون مثل أعمالهم على السّواء[4].

وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[5].

والأحاديث بهذا المعنى كثيرة في كتب الفريقين.

ثمّ إنّ التمرّد الّذي وقع لتلك الأمم بعد أنبيائها، والمروق الّذي

---

(١) و (٢) النّهاية: ٣٤٤/١.

(٣) لسان العرب: ٥٠٣/٣.

(٤) مجمع البحرين: ٤٧٨/١.

(٥) سورة البقرة: ١١٨.

حدث لهم بإنكار حجج الله تعالى والإعراض عن آياته وبيّناته إنّما جاء من طائفتين ؛ طائفة القادة المتبوعين ، وطائفة العوامّ التّابعين ، والطّائفة الأُولى تارة رجال سياسة وحكم ليس إلّا ، وتارة علماء سوء وضلالة ، وتارة ثالثة رجال حكم وسياسة متستّرين بعباءة الدّين ، وتارة رابعة رجال حكم وسياسة مستعينين بعلماء السّوء ووعّاظ السّلاطين ، والّذين اتّبعوا هم الغوغاء من سواد هذه الأُمم الّذين يتّبعون كلّ ناعق ، وما أكثر ما في القرآن الكريم : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ۞ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴾ (١) وما يجري مجراه ، وتبرّي بعضها من بعض يوم القيامة .

والطائفة الأُولى ممّن حملوا راية المواجهة والعناد والتصدّي للأنبياء إنّما حملوها على علم منهم بأحقّيّة الأنبياء ، وضلالة أنفسهم ، ورغبة في حطام الدّنيا الفانية وزخارفها الآتية . قال تعالى : ﴿ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ﴾ (٢) ، ولا شأن لنا هنا بالحكّام ورجال السّياسة

---

(١) سورة سبأ : ٣١ و ٣٢.

(٢) سورة الجاثية : ١٧.

ومثل هذه الآية قوله تعالى : ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ ﴾ سورة البقرة : ٢١٣. ⇦

لانكشاف أمرهم ووضوح مآربهم ، ولكنّ الخطر كلّ الخطر ، والحذر كلّ الحذر من علماء السّوء ووعّاظ السّلاطين المتاجرين بالدين ، ثمّ الهمج الرّعاء الّذين يتّبعون كلّ ناعق ، ولا يكادون يهتدون سبيلاً بعقولهم ، وبما منّ الله سبحانه عليهم من قوّة الإدراك والتّدبير ، فكم من عالم أضلّ جِبلاً كثيراً من النّاس ، فاتّبعوه وانقادوا له على ضلاله ، وساقهم إلى شفا جرف هارٍ فانهار بهم في نار جهنّم .

ولم تكن حال هذه الأمّة أفضل من أسلافها من الأمم ؛ ذلك أنّ طائفة من علمائها عكفوا يوحون إلى أوليائهم زخرف القول غروراً ، وما برحوا يمهّدون للشيطان طريقه ، ويعبّدون للباطل دروبه ، لا يردعهم عن نصرة الباطل رادع من علم أو تقوى ، ولا يصدّهم عن محاربة الحقّ وازع من عقل وضمير ، فحرّفوا القرآن بضروب التّفسير ، وباطل التّأويل ، وقد رووا جميعاً قول رسول الله ﷺ : « من فسّر القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النّار »(١) ، وحرّفوا شريعة الإسلام بتحريفهم لسنّة النّبيّ الأكرم ﷺ ونسبة الأكاذيب والأباطيل إليه ، حتّى استباحوا دماء العترة الهادية ، وهتك حرمة البيت المحمّدي ، واغتصاب إرث الصّديقة الطّاهرة بنت الوحي والرسالة بفتاوى الغدر الّتي ما أنزل الله تعالى بها من

⇦ وقوله تعالى : ﴿ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ﴾ سورة يونس : ٩٣ .

(١) الحدائق : ١/٢٩ ، ٦/٣٥٥ . عوالي اللئالي : ٤/١٠٤ .

وفي نور البراهين : ١/١٨١ قوله ﷺ : « من فسّر القرآن برأيه فقد كفر » .

سلطان ، فتفرّقت الأُمّة وتشتّت شملها بين شيعة عليّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه وشيعة بني أُميّة ، ثمّ انقسمت كلّ فرقة بينها إلى مذاهب فقهيّة ومذاهب عقائديّة كلاميّة ، فالشيعة من بعد أمير المؤمنين صلوات الله عليه لأنّهم أهل الحقّ ، وقد كتب الله لأهل الحقّ أن يغربلوا ويمحّصوا مرّة بعد مرّة حتّى يخرج الحبّ الرديء ولا يبقى سوى الجيّد من وجوه المؤمنين ، فإنّهم خاضوا ساحة الفتنة ، فتنة بعد فتنة ، واقتحموا لجج بحار الاختبار لجّةً تتبعها لجّة ، حتّى لم يبق منهم سوى الذّهب المصفّى المتمسّكين بالعترة الهادية ، المعتقدين باثني عشر إماماً ، آخرهم المهدي المنتظر الغائب ، الّذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً .

والبلية الكبرى ، والدّاهية العظمى أنّ هذه الفرقة النّاجية بعقائدها ، والحقّة بأُصولها لم تسلم من أهل الأهواء والغواية وذوي العاهات في صفوفها ؛ إذ وجدوا في غيبة الإمام الثّاني عشر صلوات الله عليه تجارة رابحة ، وسوقاً رائجةً ، قد تدرّ عليهم مالاً وافراً ، ويجنون من ورائها سيادة على الهمج الرّعاء وأهل الغوغاء ، فمنهم من ادّعى المهدويّة بكلّ صلافة ، ومنهم من ادّعى البابيّة والسّفارة ، وهاتان الطّائفتان أقلّها خطورة ؛ لأنّ بطلان مزاعمها أبْيَنُ من شمس الظّهيرة ، وأوهن من بيوت العنكبوت ، ومنهم من ضرب على الوتر الحسّاس منتهزاً عواطف العامّة ، مستغلّاً عطشهم وطول انتظارهم ، زاعماً أنّه الممهّد للمهديّ عليه السلام سلطانه ، والموطّد له حكمه ، وأنّه حامل لوائه ، والمسلّم إليه رايته ،

فالمخلص منهم جاهل بحقيقة أنّ مثل هذه المزاعم كالقنبلة الموقوتة والبركان الهائج تكمن خلفها الكوارث الأليمة ، وتحمل في طيّاتها الدّمار الشّامل ؛ ذلك أنّ من يجتمعون تحت راية تدعو إلى المهدي عجّل الله فرجه عاقدين عليها آمالهم ، وتزعم تلك المزاعم ، ثمّ لا يبصرون بعد طول انتظار منهم سوى الشّعارات البرّاقة . ولا يجدون سوى الخيبة بعد الخيبة ، فإنّهم لا جرم ينقلبون على أعقابهم ؛ إذ تندلع نار الشّك لتحرق حصاد عقائدهم ، و يبقى منجل الرّيب يحصد إيمانهم ، وتكون تلك الرّاية سبباً في ضلالهم وعلّة في هلاكهم ، وتكون جنت على نفسها براقش ، ولات حين مناة ، حيث لا ينفع النّدم ، وأمّا المرائي المتزلّف منهم فإنّه يتجاهل تلك الحقيقة سعياً وراء مآربه ورغباته ، لا سيّما أنّ الصّادقين عليهم السلام أرشدونا إلى حقائق صارخة لا بدّ من وقوعها ، فمنها ما أخبروا بأنّ ما من طائفة إلّا ملكت ونالت السّلطان قبل ظهور صاحب الأمر صلوات الله عليه ، وآل إليها الحكم بين فئة من النّاس ، قليلة أو كثيرة ، لتجرّ خلفها أذيال الخيبة ، حتّى لا تزعم طائفة لو أنّها تربّعت على عرش الحكم لعدلت بين النّاس . حتّى إذا استيأسوا جميعاً واعتقدوا أن لا ملجأ لهم من الله إلّا إليه . ولا منقذ لهم سوى المهدي صلوات الله عليه ، وتوجّهوا إليه توجّهاً فطريّاً جاءهم نصر الله ، وكتب لهم عند ذلك الخلاص .

فالحذر الحذر من الافتتان بمثلها والوقوع في شركها ، ولا أظنّ أحداً

ينجو من تلك الفتن الّتي هي أحلك من ظلام اللّيل الدّامس ، حتّى يلتبس الأمر على الألمعي من الرّجال ، فيلتبس عليهم الحقّ باسم الحقّ وتحت راية دعاة الحقّ ، فحذار من حبائل هذه الفتن ، ولا منجى سوى بالتمسّك بالكتاب والعترة ، وقد نطقت الصحاح من الأحاديث ، وتواترت الأخبار في أنّ كلّ راية قبل الصّيحة فهي راية ضلال[1] ؛ لأنّها إن لم تكن ضالّة في قيامها ومقدّماتها فإنّها مضلّة في نتائجها وآثارها ، وستؤول حتماً إلى الضّلال ، وكتب أعلام المتقدّمين رضي الله عنهم نطقت بهذه الحقيقة ، ووكّدها أصحابها بأوثق التّوكيد[2] ، كما أُمرنا أن نكون قبل الصّيحة وخروج السّفياني أحلاس بيوتنا[3] ، وقد حذّرونا من اثنتي عشرة راية لاثني عشر من بني هاشم قبل خروج المهدي عليه السلام ، كلّ يدعو إلى نفسه ، وإن تظاهر بعضهم أنّه يدعو إلى المهدي أرواحنا فداه ، وهي حجّة علينا ، « اللَّهُمَّ اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ » ؛ ذلك أنّ في اتّباع العترة نجاة الأمّة ، وفي مخالفتها بالتلاعب في الحقائق الثّابتة عنهم ، وتأويلها بما تشتهي أنفسنا ، هلاكنا ، مهما كانت الدّواعي عظيمة ، وكانت الشّعارات والأهداف مقدّسة ؛ إذ لا نجاة حتّى نكون عالماً ربّانيّاً أو متعلّماً على سبيل النّجاة ، وما بعد الحقّ

(١ ـ ٣) سنأتي على ذكر تلك الأخبار وتحقيقها مفصّلة ، وسنورد آراء القدماء أعلى الله شأنهم في ذلك من مصادرها في الحلقة الثّانية إن شاء الله تعالى .

إلّا الضّلال ، ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾[1].

كلمة أخيرة إلى الّذين يقتحمون غمار هذا البحر اللّجيّ ، ويريدون أن يفوزوا بالزلفى لدى المهدي أرواحنا له الفداء أن يطلبوه كما هو عليه ، لا كما تشتهيه أنفسهم وتصوّره أحلامهم ، وأن يوطّنوا أنفسهم على طاعته والامتثال لأوامره بالغاً ما بلغ ، لا أن يشربوا في قلوبهم حبّ هذا وذاك حتّى إذا ظهر صاحب الأمر أرواحنا فداه على خلاف مشربهم مخيّباً لآمالهم ، مسفّهاً لأحلامهم نبذوه وراء ظهورهم ، وخالفوه في السرّ والعلن تبعاً لقادتهم وجرياً وراء أحلامهم ، فيكونوا حينئذٍ كأهل الكتاب الذّين قال تعالى عنهم بعد كفرانهم بنبيّنا محمّد ﷺ والإعراض عن شريعته : ﴿ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾[2] ، فآمن برسول الله ﷺ من كان خلوّاً من الأطماع ولم يكن قد سمع به ، وكفر به من عرفه في التّوراة والإنجيل لوصفه إيّاه على ما تشتهيه نفسه وما تصوّره له أحلامه ، لا كما هو عليه ، ولا كما ينبغي لهم أن يؤمنوا به وينتظرون ظهوره ، وهو ما مني به عليّ صلوات الله عليه من خذلان الصحابة له وإعراضهم عنه وهم العارفون بفضله ومنزلته وإمامته ،

---

(١) سورة الحشر : ٧.

(٢) سورة البقرة : ٨٩.

ومنهم الطلحة والزبير اللّذين تخلّيا عنه في دولته ؛ لأنّهم أرادوه طبقاً لأحلامهم ، واتّبعوه طمعاً في الحطام الزّائل ، بينما آمن به وصدّقه ونصره أولئك الّذين خلت قلوبهم من الأطماع ، ونفوسهم من لذّة الشّهوات ، وعقولهم من آفة الجهل والعناد .

إذن بظهور المهدي ﷺ وقيام دولته الكريمة نقول: قتل أصحابُ الأُخدود ، وقُتل الخرّاصون ، وقُتل الّذي قدّر كيف قدّر ، وقُتل وهلك كلّ مكذّبٍ للأنبياء والأوصياء ، وكلّ مفترٍ عليهم ، وكلّ محاربٍ لهم ، وكلّ كفّارٍ أثيم ، وكلّ منافقٍ لئيم ، وكلّ من يمنعون الماعون ، وتُغَلّ أيديهم في أعناقهم ويقيّدون بسلاسل من النّار ، يُصبّ من فوق رؤوسهم الحميم ، وطعامهم من غسلين ، يُضربون على وجوههم وأدبارهم ، ويومئذٍ فلا فوت ، وأُخذوا من مكانٍ قريب . والبشرى لكم أيّها الصّابرون المنتظرون الموطّئون للمهديّ سلطانه ، بسلامة العقيدة وحسن العمل في السيرة والسّلوك .

وأيّها الممهّدون للمهديّ ، أرواحنا فداه ، وصبراً آل ياسر وأيّها المجاهدون بأموالكم وأنفسكم فإنّ موعدكم جنّة الدّنيا في دولة المنتظر المهدي صلوات الله وسلامه عليه ، حيث يمسي الرّجل جاهلاً وجباناً وبخيلاً ، فيصبح عالماً شجاعاً كريماً ، يمشي النّصر بين يديه ، يقفو أثر الرّسول ﷺ ، لا يخطئ ، له ملك يسدّده من حيث لا يراه ، وجنّة العقبى الّتي عرضها السّماواتُ والأرض أُعدّتْ للمتّقين ، وهما جنّتان تُدركان

ولا توصفان ، حيث لا عينٌ رأتهماولا أُذُنٌ سمعتْ بهما ولا خَطَرتا على قلب بشر ، وفيهما نعيم دائم ، أساسهما العدل ، والاعتدال ، ونظامهما الفضل والإفضال ، ورأسهما الرّحمة الرّحمانيّة والعناية الرّبّانيّة .

وأخيراً فإنّي لأُناشد كلّ من ﴿ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[1] ، و ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾[2] . وكلّ المضطهدين والمستضعفين والمحرومين ، سيّما شيعة المهديّ وأتباعه ، أنْ هلمّوا إلى الانتظار وتهيّئوا للفرج ، وساهموا بالصلاح والإصلاح وحسن السّير والسّلوك والتّهذيب والتزكية في تحقيق الوعد الإلٰهي ، حيث قال تعالى للملائكة : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ وأُمنيةٍ طالما كافح من أجلها الأنبياء وأُولوا العزم من الرّسل وأتباعهم ، وقدّموا في سبيلها التّضحيات ، واستأثروها على أنفسهم ، فبذلوا فيها كلّ غالٍ ونفيس ، وإلّا فكلّ أملٍ يُعقد على هذا وذاك ما هو إلّا جريٌ ولَهثٌ خلف السّراب وإنّما يحسبه الظّمآن ماءاً ، حتّى إذا جاءه لم يجده شيئاً . فمجرّد تصوّرها يجزي للتصديق بفشلها ؛ إذ هو المدّخر لتجديد الفرائض والسُّنَن ، وهو المؤمَّل لإحياء الكتاب وحدوده ، وهو قاصم شوكة المعتدين ، وهو الطّالب بذحول الأنبياء وأبناء الأنبياء ،

---

(١) سورة ق : ٣٧.

(٢) سورة الزُّمر : ١٨.

وهو الطّالب بدم الحسين الشّهيد المقتول المظلوم بكربلاء ، وهو المنتقم والمنقذ من براثن الجهل والضّلال ، فأين تذهبون ؟ !

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ (١).

والحمد لله ربّ العالمين

محمّد مهدي المؤمن

الأحد ٧ شعبان المعظّم ١٤٢٣هـ

قم المقدّسة

---

(١) سورة القصص : ٥.

الدّرس الأوّل

العلم والمعرفة / ١

بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن تعطّش الإنسان إلى العلم والمعرفة، وتوق نفسه، وشدّة اشتياقه إلى الكمال أمراً غريباً؛ ذلك أنّ حبّه للكمال وشوقه للتكامل نابع من فطرته الذاتيّة، وهو الفارق الّذي يميّزه عن الحيوان، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١]، أي ليعرفون[٢]؛ إذ المعرفة أعلى درجات العبادة، وما من عبادة إلّا وهي تفتقر إلى المعرفة، فالعبادة فرع المعرفة، ولا خير في عبادة

---

(١) سورة الذّاريات: ٥٦.

(٢) شرح الأسماء الحسنى للسبزواري: ١٨٩/١ و ٢٣/٢ و ١٠٢. الرواشح السّماويّة للمحقّق الدّاماد: ٢٢. شرح أُصول الكافي: ٢٠٨/٤، ١٨. تفسير ابن كثير: ٢٥٥/٤.

لم تُبْنَ على أساس من العلم والمعرفة، وإنّما يتقرّب العبد إلى الله سبحانه ويرتقي سلّم الكمال أوّلاً: بالمعرفة، وثانياً: بالعبادة المبتنية على المعرفة، ولهذا شُبّه العابد الجاهل ـ على لسان أئمّة أهل البيت (عليهم الصّلاة والسّلام) ـ بحمار الطاحونة الّذي لا يفقه لماذا يدور حول نفسه(1).

ثمّ إنّ العبادة ينبغي أن تقرّب العبد من الله جلّ جلاله لأنّها وسيلة العبد المُثلى وسلاحه الأوحد في سلوكه إلى ربّه وخالقه جلّ وعلا، ولا خير في عبادة لا تحقّق الغرض الّذي جعلت من أجله، ولا تؤدّي الغاية المرجوّة منها، فأي خير في عبادة مبنية على الجهل؟ وأي زلفى تتحقّق للعبد بهذه العبادة؟ بل لن يكون العمل عباديّاً إلّا إذا ابتنى على أساس متين ألا وهو المعرفة؛ إذ بالمعرفة يجعل العبد من كلّ فعل حسن عملاً عباديّاً يقرّبه من الله تعالى زلفى، وبها يختصر الطريق نحو الغاية القصوى والهدف الأسمى، بل يختار من العبادات ما يسرع به

---

(1) قال أمير المؤمنين عليه السلام: «المتعبّد على غير فقه كحمار الطّاحونة يدور ولا يبرح، وركعتان من عالم خير من سبعين ركعة من جاهل؛ لأنّ العالم تأتيه الفتنة فيخرج منها بعلمه، وتأتي الجاهل تنسفه نسفاً، وقليل العمل مع كثير العلم خير من كثير العمل مع قليل العلم والشكّ والشبهة». الاختصاص: ٢٤٥. بحار الأنوار: ١/٢٠٨.

إلى بلوغ المنى ؛ ذلك أنّ العبادات طرق ومسالك ، **منها** ما يكون أقرب وأسرع ، **ومنها** ما دون ذلك ، **ومنها** ما يكون الجهد فيه أشدّ وطريقه أبعد ، **ومنها** ما يكون الجهد فيه أسدّ والمنزل منه أقرب . فلا شدّة الجهد ووعورة الطريق دليل على القربى ، ولا قلّة الجهد ورعونة الطريق دليل على المنأى ، بل الملاك هي المعرفة التي تجعل البعيدة على مقربة من السالك ، بل تدفعه ببصيرته إلى اختيار أفضل الطرق وأقرب المسالك ، ولهذا قال المعصوم ﷺ : «الصَّلَاةُ مِعْرَاجُ الْمُؤْمِنِ»[1] .

وقال أيضاً : «كُلُّنا سُفُنُ النَّجاةِ ، لَكِنَّ سَفِينَةَ الْحُسَيْنِ أَسْرَعُ » . خلافاً للجاهل الّذي يهيم بوجهه الطريق فلا يهتدي إلى الحقّ سبيلاً . وربّما زاده الطريق الّذي سلكه بُعداً عن الحقّ جلّ جلاله ، وإن وقع اختياره على الطريق الأسلم والمسلك الأقرب ؛ لأنّه يتيه الطريق وينأى عن المقصود بجهله رغم سلوكه للطريق ، وهو أقبح وجوه التيه والضّلال ، ولا ينافي قوله ﷺ : «أَفْضَلُ الْأَعْمالِ أَحْمَزُها »[2] ؛

(١) الاعتقادات للمجلسي : ٣٩. جامع أحاديث الشيعة : ٣/٤ ـ ٢٨. بحار الأنوار : ٢٤٨/٧٩ ، ٣٠٣ و : ٢٥٥/٨١.

(٢) عوالي اللئالي : ٣٠٥/١ و ٣٢٠. بحار الأنوار : ٢٣٧/٦٧. رسائل الكركي : ٧٩/١. **وأحمزها** : أي أشقّها وأشرّها وأمتنها وأقواها .

لأنّــه ﷺ قــال أيــضاً: « خَيْرُ الأمُورِ أوْسَطُها »[1]، وقـال ﷺ : « أفْضَلُ الأعْمالِ العِلْمُ بِاللهِ ، وَالفِقْهُ في دِينِهِ »[2].

لهذا كان التّفقّه في الدّين بكلا قسميه التّفقه بالفقه الأكبر ، أعـني معرفة أُصول الدّين ، والتّفقّه بالفقه الأصغر ، وهو مـعرفة الأحكـام والقوانين الإلٰهيّة والتكاليف الشرعيّة ، أساس قبول الأعمال والفوز بالزّلفى والرّضوان ، وهو تجارة لن تبور ، ولا يربح التّاجر في تجارته إلّا باقتحام السّوق بعد المعرفة بقواعد التّجارة ، والإحاطة بظروفها ، والإلمام بأفضل سبلها. نعم ، قد يجني الجاهل ربحاً بضربة من الحـظّ إلّا أنّ ذلك لا يضمن له تجارة رابحة ، وهكـذا طـالب الآخـرة فـقد يصيب ربحاً وأجراً أُخرويّاً في تجارة أُخرويّة ثمّ يخسرها في صـفقة أُخرى ، بل يخسر أضعافها إن لم تكـن تجـارته مـبنيّة عـلى العـلم والمعرفة ، هذا إن أمكننا القول بأنّ الأجر الأُخروي يأتي بضربة من الحظّ !!

من هنا كانت خلقة آدم ﷺ سرّاً من الأسرار السّماويّة ، تكمن فيها ألف نكتة ونكتة من الحقائق اللّاهوتيّة ؛ ذلك أنّه تعالى كان قد خلق

---

(١) عيون الحكم والمواعظ للواسطي : ٢٤٠. عوالي اللئالي : ٢٩٦/١.

(٢) ميزان الحكمة : ٢١٢٦/٣.

ملائكة لا يحصى عددها، وهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم وهم بأمره يعملون، وبعبادته مشتغلون، بين مسبّح ومكبّر ومهلّل وحامد وقائم وراكع وساجد، لا يرفعون إليه رأساً، ولا يحرّفون عنه طَرْفاً. فأبى الله تعالى إلّا أن يخلق خلقاً يكون وعاءً لعلمه تعالى، وحافظاً لسرّه، وحاملاً لحكمته ممّا ينوء عن حمله أُولئك العباد المكرمون والملائكة الصّافّون الحافّون المسبّحون، وهي حمل الرّسالة والأمانة الإلٰهيّة، ولهذا الغرض خلق الله تعالى آدمﷺ وبنيه، ﴿ وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾[1]، فالإنسان الكامل وعاء علم الله تعالى وخزانة سرّه ومشكاة حكمته وزجاجة نوره: ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾[2]، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ ليباهي به ملائكته الّذين اعترضوا على خلقه استفهاماً أو استنكاراً أو تعجّباً، ﴿ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[3]، وإن كنتم قد اطّلعتم على السّرّ والحكمة من

(١) سورة الأحزاب: ٧٢.

(٢) سورة النّور: ٣٥.

(٣) سورة البقرة: ٣١.

خلفه ؟ ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ ، هذا الإقرار منهم بـالجهل دليـل عـبوديّتهم لله تـبارك وتـعالى ، ﴿ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾[1] ، فالسرّ في خلقة آدم ﷺ بدليل هذه الآيات ، أنّه يكون وعاء علم الله تعالى وخزانة سرّه ومشكاة حكمته ، فأنت يا إلـهنا العليم بفعلك ، والحكيم في صنعك ، تجتبي وتخلق لهما من تشاء من خلقك .

ثمّ إنّ الله تعالى قد اتّخذ آدم ﷺ معلّماً لملائكته ، وصيّره مربّياً لهم ؛ إذ قال تعالى : ﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ﴾[2] ، فالسرّ في خـلقة الإنسان هو العلم والحكمة فيها هي المعرفة ، ومن أعرض عنها فقد أعرض عن الحكمة الّتي خُلق من أجلها ، والسرّ الّذي قامت عـليه خلقته ، فهو والبهيمة على حدّ سواء ، بل لعلّه كان أضـلّ سـبيلاً ؛ إذ البهيمة لا تنقض الغرض من خلقتها ، بل هي مـاضية عـلى سـبيلها والطّبيعة الّتي جُبلت عليها ، وهذا البشر قد أتى بما ينقض الغـرض الّذي خُلق من أجله ، فليس يكون الإنسان إنساناً حتّى يكون عالماً متفقّهاً في دينه ، أو متعلّماً سالكاً طريق الكمال ؛ ولذلك كانت أجنحه

---

(١) سورة البقرة : ٣٢.

(٢) سورة البقرة : ٣٣.

الملائكة موطئاً لأقدام طالب العلم، وكانت فرشاً وبُسُطاً تطئها أقدامهم؛ ولذلك تستغفر لهم جميع الكائنات حتّى الطّير في السّماء والحيتان في البحار؛ ولذلك أيضاً كان نوم العالم خيراً من عبادة الجاهل؛ ذلك أنّ العالم أمان لأهل السّماوات والأرض، يصلح بعلمه ومعرفته ما يفسده أهل الجهل والبغي.

وللمعرفة درجات كما هو الحال في كافّة سبل الكمال، وكلّما زادت مرتبة المعرفة سَهُل بلوغ المراد، وهان على السالك السّير على الأشواك، بل كانت الشّوكة الّتي تُدمي قدميه ورداً وريحاناً في طريق الحقّ، كالعاشق الولهان الهائم في بحر العشق، حيث لا يرى سوى وجه الحبيب فلا يلتفت إلى ما يصيبه من جوع وظمأ ونَصَب، ومنتهى غاية السّالك أن يرقى أعلى مدارج الكمال، ويبلغ بجهده أقصى مراتب سُلّم المعرفة، وهاهنا تكمن الأسرار، وتتجلّى الأنوار، فتقطف أنضج الثّمار بعدما ينجلي عن نفس السّالك الشّوائب والغبار، وهو الطّريق إلى المعرفة الحقّة الّتي من أجلها خُلق الإنسان، بل خَلْقُ جميع الأكوان؛ لقوله تعالى في الحديث القدسي: «عَبْدِي خَلَقْتُ الأشياءَ لأَجْلِكَ، وَخَلَقْتُكَ لِأَجْلِي»[1]، وأي مقام أسمى من المعرفة الحقّة

(١) الجواهر السّنيّة: ٣٦١.

وحقّ المعرفة، وقد خصّ بهما الإنسان؟ وأي نعمة أوفى وفضل أرقى ممّا ادّخره الله تعالى لعباده من بني آدم؟

من هنا جاءت الدّعوة الحثيثة والتّرغيب الدّائم على طلب المعرفة بالسعي الدّؤوب والجهد الجهيد، وحتّى السؤال في إطار الدّعاء حيث علّمنا أئمّة أهل البيت ﷺ كيف ندعوا، وامتلئت أحاديثهم وأدعيتهم بالمعارف الّتي تضمن بلوغ المرام، وتضمّنت درراً من المعرفة لمن ألقى السّمع وهو شهيد، ولا غرو في ذلك إذا كان أهل الدّار أدرى بما في الدّار.

وقد علّمنا أئمّتنا الأطهار ورثة الأنبياء كيف نسعى إلى المعرفة، ومن أين تؤكل الكتف، وحاشاهم أن يفرّطوا في ذلك طرفة عين أو لمحة بصر؛ لأنّهم الدّعاة إلى الله تعالى، وأمناؤه على سرّه، وحججه على عباده، حيث أمرونا أن ندعوا في دبر كلّ صلاة: «اللّهُمَّ عَرِّفْني نَفْسَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْني نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِفْ رَسُولَكَ. اللّهُمَّ عَرِّفْني رَسُولَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْني رَسُولَكَ لَمْ أَعْرِفْ حُجَّتَكَ. اللّهُمَّ عَرِّفْني حُجَّتَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْني حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِيني»[1].

---

(١) مصباح المتهجّد: ٤١١. بحار الأنوار: ١٨٧/٥٣ و: ٨٩/٩٩. ورواه باختلاف يسير السيّد ابن طاووس في جمال الاسبوع: ٣١٥، والطوسي ⇐

وتنقسم المعرفة إلى المعرفة العالية والمعرفة الدانية ، فعدّوا المعرفة بلحاظ المنشأ والمبدأ معرفة للسالك من وجه ، ومعرفة للعارف من وجه آخر ؛ وذلك أنّ المعرفة الحقّة تبدأ من معرفة الأدنى لتتدرّج إلى العالي فالأعلى ، بينما حقّ المعرفة تنطلق من معرفة الأعلى لتتدرّج إلى العالي فالداني فالأدنى ؛ إذ خير سبيل إلى المعرفة أن يكون منشأ المعرفة ومبدؤها معرفة الله تعالى ، وأن يعرف الله تعالى بالله ، لا أن يعرف بغيره ، بل يكون هو طريقاً وسبباً لمعرفة مخلوقاته ، وعلى هذا وردت أدعية أهل البيت (صلوات الله عليهم أجمعين) كقوله عليه السلام في دعاء أبي حمزة الثّمالي : « بِكَ عَرَفْتُكَ وَأَنْتَ دَلَلْتَني عَلَيْكَ ، وَدَعَوْتَني إلَيْكَ ، وَلَوْلا أَنْتَ لَمْ أَدْرِ ما أَنْتَ »[١] .

وهكذا ما ورد في دعاء يوم عرفة عن مولانا أبي عبدالله الحسين عليه السلام : « أَيَكُونُ لِغَيْرِكَ مِنَ الظُّهُورِ ما لَيْسَ لكَ حَتّىٰ يَكُون هُو الْمُظْهِرَ لَكَ ، مَتىٰ غِبْتَ حَتىٰ تَحْتاجَ إلىٰ دَليلٍ يَدُلُّ عَلَيْكَ ؟ !

وَمَتىٰ بَعُدْتَ حَتّىٰ تَكُونَ الْآثارُ هِيَ الَّتي تُوصِلُ إِلَيْكَ ؟ ! عَمِيتْ عَيْنٌ

(٭) في الغيبة : ٣٣٤ ، والنّعماني في الغيبة : ١٦٦ ، والصّدوق في كمال الدّين : ٥١٢ ، والكليني في الكافي : ٣٣٧/١ .

(١) الصّحيفة السّجاديّة : ٢١٤ . إقبال الأعمال : ١٥٧/١ . البحار : ٢٧٠/٣ .

لَا تَراكَ عَلَيْها رَقِيباً»[1].

وما ورد في دعـاء الصّـباح: «يـا مَنْ دَلَّ عَـلىٰ ذاتِـهِ بِـذاتِـهِ»[2]، فأفضل المعرفة أن يعرف الله تعالى شأنه بالله.

وفي الكافي: «اعْرِفُوا اللهَ بِـاللهِ»[3]، وعن أبي عبدالله عليه السلام: «**عرف الله من عرفه بالله، فمن لم يعرفه به فليس يعرفه إنّما يعرف غيره**»[4]، ولهذا قال المولى السّبزواري: «وبيان كونه تعالى برهاناً ومظهراً لكلّ مجهول أنّ الدليل المرشد للعقل إلى المطلوب كالذي يأخذ بيد الأعمى ويوصله إلى مقصوده، فإذا أردت أن تصل إلى حدوث العالم فصدّقت بسيلانه ثمّ صدّقت بحدوثه، فسيلان العالم وحركته الجوهريّة والكيفيّة والكمّيّة، وبالجملة حركته ذاتاً وصفة أظهرت لعقلك الحدث، وأوصلتك إليه، لكنّ السّيلان الحاصل في الذهن موجود من الموجودات، له ماهيّة ووجود؛ إذ الماهيّة منفكّة عن كافّة الوجودات لا تقرّر لها كما قرّر في محلّه، فكيف تكون بذاتها مظهرة

(١) شرح أُصول الكافي: ٣/٨٨. بحار الأنوار: ٦٤/١٤٢.
(٢) التّوحيد للصدوق: ٣٥. الأمالي للمفيد: ٢٥٤. بحار الأنوار: ٨٤/٣٣٩.
(٣) التّوحيد للصدوق: ٣٥. الكافي: ١/٨٥. الهداية للصدوق: ١٥.
(٤) الكافي: ١/١١٤. التّوحيد: ١٤٣. بحار الأنوار: ٤/١٦١.

لشيء؛ لأنّ ثبوت شيء لشيء فرع ثبوت المثبت له، فهي من حيث هي لا مظهرة ولا لا مظهرة، فوجودها مظهر، والوجود بشراشره إشراق الحق ﴿اللهُ نُورُ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[١]، أي بإشراقه استشرقت المجرّدات والمادّيّات...». إلى أن قال: «وكذا في الحدود، فهو البرهان على غيره، وكذلك هو البرهان على نفسه... الخ»[٢].

وبهذا المعنى قال الشيخ الرّئيس: «الأوّل تعالى لا برهان عليه، بل هو برهان على كلّ شيء»[٣]، وتعرف مخلوقاته به، فيعرف النّبيّ بالله تعالى، ويعرف الإمام بالنبيّ، ويعرف العالم النّائب مناب الإمام بالإمام عليه السلام، وهكذا.

وأمّا أن يعرف الله تعالى بمخلوقاته فهو طريق إلى المعرفة الحقّة دون حقّ المعرفة، وهو طريق لعامّة العباد قد أرشد إليه الخالق الحكيم وحثّ عليه أيضاً، لكنّه الطّريق الأبعد، والمسلك الأشقّ، كما في آيات الآفاق والأنفس، كقوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الإنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ﴾[٤].

---

(١) سورة النّور: ٣٥.

(٢) شرح الأسماء الحسنى: ١/٥٠ ـ ٥١.

(٣) شرح الأسماء الحسنى: ١/٥٠.

(٤) سورة عبس: ٢٤.

﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّماءُ بَنَاهَا ﴾[1]، ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَىٰ الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّماءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴾[2].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه»[3]. ولهذا قال المحقّق المازندراني: «يعني عرف ربّه بعد ما عرف به نفسه لا بمثله؛ لامتناع التّشبيه، فمن عرف نفسه بالحدوث والإمكان والعجز والجهل مثلاً، عرف ربّه بالقِدم والوجود والقدرة والعلم»[4].

وهناك طريق أوسط بين الطّريقين وهو للخاصّة من أهل الإيمان.

---

(١) سورة النّازعات: ٢٧.

(٢) سورة الغاشية: ١٧ ـ ١٩.

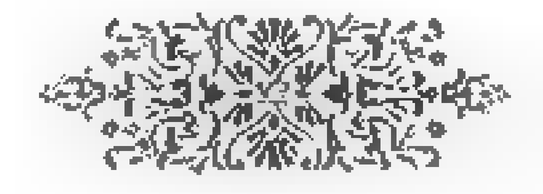
(٣) شرح أُصول الكافي: ٢٣/٣. عوالي اللئالي: ٥٤/١. بحار الأنوار: ٣٢/٢. المناقب للخوارزمي: ٣٧٥.

(٤) شرح أُصول الكافي: ٢٣/٣.

وقال بعض الأكابر معناه: «كما لا يمكن التّوصل إلى معرفة النفس، أعني الرّوح، كذلك لا يمكن التّوصل إلى معرفة الرّبّ»، وقال بعض الأعلام: «معناه أنّه كما لا يمكن التّوصل إلى معرفة النّفس، لا يمكن التّوصل إلى معرفة الرّبّ».

كما في زيارة الجامعة الكبيرة: «بكم عرف الله»[١]، وفي الحديث: «سبّحنا، فسبّحت الملائكة، وهلّلنا، فهلّلت الملائكة»[٢]. وفي نحو التقاء طرق المعرفة هذه عند نقطة اشتراك تفاصيل ليس هنا محلّها.

وكيف كان فهذه مقدّمة وتوطئة لبيان أهمّية المعرفة الّتي جُبل عليها الإنسان، ومن هنا كان لا بدّ للحكيم جلّت حكمته أن لا يهمل عباده، فبعث إليهم الأنبياء ليستخرجوا دفائن الكنوز المودعة في الفطرة الإنسانية فيعملوا على تصقيلها وتطويرها، وأيُّ كنز في فطرته أغلى وأنفس من كنز المعرفة، ولهذا كانت «الحكمة ضالّة المؤمن»[٣] يأخذها أينما وجدها، وعلى هذه المعرفة تقوم دعائم الحياة ويجري شريانها، ولا خير في إنسان لا معرفة له، بل هو والبهيمة على حدّ سواء.



(١) التّوحيد للصدوق: ١٥٢. كفاية الأثر: ٣٠٠. بحار الأنوار: ٢٦/٢٦٠.

(٢) نور البراهين للسيّد نعمة الله الجزائري: ١/٣٨٦.

ومثله قوله عليه السلام: «وَلَوْلَانا ما عُرِفَ اللهُ» بصائر الدّرجات: ٨١.

وأيضاً: «من عرفهم فقد عرف الله» المهذّب: ١/٢٩٠. المقنعة: ٤٨٨.

وأيضاً: «ولولاهم ما عرف الله عزّ وجلّ» الكافي ١/١٩٢.

(٣) الكافي: ٨/١٦٧. من لا يحضره الفقيه: ٤/٣٨٠. تحف العقول: ٣٩٤.

الدّرس الثّاني

العلم والمعرفة / ٢

بسم الله الرحمن الرحيم

إذ معرفة الله سبحانه وتعالى رأس سلسلة المعارف، وقد أجاد الشّيخ الرّئيس ابن سينا حين قال:

«جلّ جناب الحقّ أن يكون شريعة لكلّ وارد، وأن لا يطّلع عليه إلّا واحداً بعد واحد»[1] بعدما علمنا أنّ حقّ معرفته تعالى أعلى مراتب المعرفة ولذلك قال ﷺ: «يا عليّ، ما عرف الله إلّا أنا وأنت. وما عرفني إلّا الله وأنت، وما عرفك إلّا الله وأنا»[2]، فلا تتسنّى هذه

---

(١) كشف الظّنون حاجي خليفة: ١/٨٤٢ و ١٦٠. الصّوارم المهرقة للتستري: ٢٦٩.

(٢) مختصر بصائر الدّرجات للحلّي: ١٢٥.

المعرفة لأحد من الخلق سواهما ، وهي تختلف اختلافاً جوهريّاً عن المعرفة الحقّة كما هو الحال في مطلق المعرفة والمعرفة المطلقة ، فمطلق المعرفة شأن عامّة الناس وديدنهم ، وأمّا المعرفة الحقّة فشأن الخواصّ والألمعيّ من الخواصّ ، كما أنّ حقّ المعرفة الّتي هي المعرفة المطلقة تختصّ بهم عليهم الصّلاة والسّلام ؛ إذ «جلّ جناب الحقّ أن يكون شريعة لكلّ وارد» ، ولهذا «فمن زار الحسين عليه السلام عارفاً بحقّه غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر»[1] ، كما في الحديث ، وهي منزلة يمكن أن ينالها عامّة المؤمنين ؛ إذ تكفي فيها مطلق المعرفة وإن تفاوتت المنزلة بتفاوت المعرفة ، خلافاً لقوله عليه السلام : «من زار الحسين عليه السلام عارفاً بحقّه فكأنّما زار الله عزّ وجلّ فوق عرشه»[2] ، وهي المعرفة الخاصّة التي تسمّى بالمعرفة الحقّة ، ولا ينالها سوى الخاصّة من العباد ، ولمّا لم تكن هذه المعرفة ممّا تناله النفوس الغارقة في بحر الظلام وحتّى النفوس غير الملكوتية المعصومة فإنّ طريق حقّ المعرفة ، أعني معرفة

---

(١) كامل الزّيارات : ٢٦٢.

(٢) فضل زيارة الحسين عليه السلام لمحمّد بن علي الشّجري : ٧٢.

ومثله : عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام : «من زار الحسين بن عليّ عليهما السلام عارفاً بحقّه، كان من محدّثي الله تعالى فوق عرشه» مستدرك الوسائل ٢٥١/١٠ ، وكامل الزيارات : ٢٦٨.

الحقّ جلّ وعلا من غير الوسائط ومن دون معرفة خلقه والتّدرّج من معرفتهم إلى معرفة ذاته المقدّسة، أبعد من أن تناله العقول السّاذجة والنّفوس الغليظة لاختصاصها بالأنفس الملكوتيّة النفيسة، وهي نفوس أهل العصمة (صلوات الله عليهم)، وعلينا أن نخوض هذا البحر اللّجّي ونقتحم هذا الباب من أوسط السبل وأوضح المسالك، وهو عبر معرفة أولياءه ورسله من جهة ما نطقت به آياته و دلّت عليه بيّناته متمسّكين في ذلك بحبل الله المتين من الكتاب الحقّ والسّنّة الشّريفة الّتي لا تنطق عن الهوى، وقد ثبت أنّ الحكيم لا يهمل عباده عن معرفته، ودلّهم على قدسيّة ذاته بإرسال الرُّسل وبعثة الأنبياء، فكانوا منعوتين بالكمال، معتصمين بذات الحكيم المتعال، ليخرجوا النّاس من الظّلمات إلى النُّور، أي من الجهل إلى المعرفة، ومن عبادة سوى الله تعالى إلى عبادته، ومن طاعة المخلوق إلى طاعة الخالق، وهل هناك رسالة أشق وهدف أسمى من رسالة الأنبياء؟

قال رئيس المحقّقين نصير الملّة والدين الطوسي قدّس الله روحه في بعض رسائله: أنّ مراتب ذلك متخالفة كمراتب معرفة النار مثلاً، فإنّ أدناها معرفة من سمع أنّ في الوجود شيئاً يظهر أثره في شيء يحاذيه وإن أخذ منه شيئاً لم ينقص، ويسمّى ذلك الموجود ناراً،

ونظير هذه المرتبة في معرفة الله تعالى معرفة المقلّدين الذين صدّقوا بالدين من غير وقوف على الحجّة.

وأعلا منها مرتبة من وصل إليه دخان النار وعلم أن لا بدّ له من مؤثّر، فحكم بذات لها أثر هو الدخان، ونظير هذه المرتبة في معرفة الله تعالى معرفة أهل النظرِ والاستدلال الذين حكموا بالبراهين القاطعة على وجود الصانع تعالى.

وأعلا منها مرتبة من أحسّ بحرارة النار لسبب مجاورتها، وشاهد الموجودات بنورها وانتفع بذلك الأثر، ونظير هذه المرتبة في معرفة الله سبحانه وتعالى معرفة المؤمنين الخلّص الذين اطمأنت قلوبهم بالله وتيقّنوا أنّ ﴿اللهُ نُورُ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، كما وصف به نفسه.

وأعلا منها مرتبة من احترق بالنار بكلّيّته وتلاشى فيها بجملته، ونظير هذه المرتبة في معرفة الله تعالى معرفة أهل الشهود والفناء في الله، وهي الدرجة العليا والمرتبة القصوى، رزقنا الله تعالى الوصول إليها والوقوف عليها بمنّه وكرمه، انتهى كلامه أعلى الله مقامه[1].

حتّى جاء الموعود وأشرقت الأرض بنور ربّها، فولد أشرف

---

(١) مفتاح الفلاح: ١٢٦.

مخلوق ليكون بعد أربعين عاماً أشرف الأنبياء وخاتم الرُّسل، ويأتي بأكمل الشّرائع وخاتمة القوانين السّماويّة، وينادي بأعلى صوته: «**قولوا لا إلٰه إلّا الله تفلحوا**»[١]، ويصيح: «**إنّما بُعثت لأُتمّم مكارم الأخلاق**»[٢]، وهي المكارم التي بدأ بها أبونا آدم عليه السلام وسارت في الخيرة من ذرّيّته سلسلة منسجمة متراصّة مترابطة من نوح إلى إبراهيم، إلى موسى، ثمّ عيسى، واختتمت بخاتم النّبوة المحمّدية، وتبدأ بعصر جديد من أزمنة الخير والفضيلة، تحمل معها مواريث الأنبياء فيكتمل الدّين وتتمّ النّعمة، كلّ ذلك بالعلم والمعرفة والتّفقّه في الدّين.

ومن هنا كانت معرفة النّبيّ (صلوات الله وسلامه عليه) فرع معرفة الله تعالى: «**اللّٰهُمَّ عَرِّفْني نَفْسَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْني نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِفْ رَسُولَكَ**»[٣]؛ لأنّ المعرفة الصّحيحة بالله تعالى كفيلة بأن تكون نبراساً يقتدى بها، ومشعل هداية يهتدى بها، والأساس المتين الّذي تبتنى عليها المعرفة الحقّة بالسفير الّذي يمثّله جلّت قدرته.

---

(١) وهو شعار التّوحيد.

(٢) بحار الأنوار: ٢١٠/١٦ و: ٣٧٢/٦٧. كنز العمّال: ١٦/٣.

(٣) الكافي: ٣٣٧/١، ٣٤٢. التّوحيد: ٢٨٧. كمال الدّين: ٣٤٢.

والنّبيّ المبعوث الّذي هو صمّام أمان لأهل الأرض، بل لأهل السّماوات والأرض، من اقتحام الهلكات وخوض الفتن والمهالك، كما هو أمان للسّماوات والأرض من خطر الاندثار والدّمار، فإذا عرف الحقّ جلّت عظمته بحقيقة المعرفة عرف النّبيّ الّذي يمثّله ويبلّغ عنه، حقّ المعرفة، وإلّا فالجاهل المحجوب عن معرفة الحكيم حقّ المعرفة حريّ بأن يكون أجهل بالنبيّ الّذي ينوب عنه، والخطر كلّه مكمون خلف حجاب الجهل بالربّ جلّ وعلا؛ إذ الجهل به آفة الكمال ومقدّمة الجهل المطلق المناهض لبعثة الأنبياء وإرسال الرُّسل؛ لأنّه نقض للغرض من بعثتهم بالشرائع والقوانين؛ ذلك أنّ هذا الجهل لا جرم ينتهي بصاحبه إلى الجهل بالحجّة الّذي يفترض أن يخلف النّبيّ (عليه الصّلاة والسّلام) في حفظ الشّريعة من عبث العابثين ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1]؛ إذ النّتيجة تتبع أخسّ المقدّمتين ولهذا قال ﷺ: «اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي رَسُولَكَ»، أي بالمعرفة الحقّة «فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي رَسُولَكَ لَمْ أَعْرِفْ حُجَّتَكَ» وخليفتك في أرضك من بعده، ذلك أنّ معرفة الرّبّ تعالى ضمان لمعرفة النّبيّ المبعوث من قِبله، فلا ينغرّ صاحب هذه المعرفة ولا ينخدع بدعاة النّبوّة

(١) سورة الحجر: ٩.

ولا ينساق لضلالاتهم وأباطيلهم؛ لأنّ السّيرة الذّاتيّة لمدّعي النّبوة تكشف حقيقة الزّعم من زيفه؛ إذ السّفير ممثّل، والممثّل على شاكلة سيّده الّذي يزعم تمثيله ونيابته، فمن عرف الله تعالى علم أنّ نبيّه وسفيره لا يكذب ولا يغدر ولا يفجر ولا يظلم ولا يأتي بالقبائح مطلقاً، بل لا يكون إلّا أكمل النّاس وأفضلهم خَلْقاً وخُلُقاً ومنطقاً وعلماً ومعرفة وبهاءً وجلالاً وسلوكاً ومسلكاً، وأسخاهم جوداً وكرماً ورأفة ورحمة وهلمّ جرّاً... لا يدانيه في الفضائل أفضل النّاس ولا في الكمالات أكملهم.

ومن ثمّ كانت معرفة الإمام الّذي يرث النّبيّ ويقوم مقامه وينوب عنه ليكون حجّة على العباد وأماناً للبلاد «لولا الحجّة لساخت الأرض بأهلها»[1]، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «لَوْ بَقِيَتِ الْأَرْضُ يَوْماً وَاحِداً بِلَا إِمَامٍ مِنّا لَسَاخَتِ الْأَرْضُ بِأَهْلِهَا، وَلَعَذَّبَهُم اللهُ بِأَشَدِّ الْعَذَابِ»[2]، هذه المعرفة هي الفيصل بين الحقّ والباطل. ومن جهل

---

(١) مستدرك سفينة البحار: ٥/٢٧٨.

(٢) نوادر المعجزات للطبري الشّيعي: ١٩٦. دلائل الإمامة للطبري الشيعي: ٤٣٦. ومثله باختلاف يسير في الغيبة للنعماني: ١٣٨ و ١٣٩، وفي الغيبة للطوسي: ٢٢٠، والاحتجاج: ٢/٤٨، وبحار الأنوار: ٢٣/٦، و: ٢١، ٢٤، ٢٨، ٢٩، ٣٧.

وصف النّبيّ لجهله بوصف الله تعالى ونعته، جهل بالضرورة القطعيّة وصف الإمام والحجّة من بعده، وأخطأ في تمييزه بشخصه وعينه. وبما أنّ النّبيّ أيّامه قصيرة ونبوّته تنحصر عادة في شخصه، وأمّا الإمام النّائب عنه فإنّ إمامته وحجّيّته تتوالى وتنتقل ظهراً لظهر وخلفاً عن سلف، ولا تنقطع بموته، فمعرفته غاية في الأهمّيّة؛ إذ معرفة الإمام بعينه فرع معرفة الإمامة، ومعرفة الإمام فرع معرفة النّبيّ بعينه، ومعرفة النّبيّ بعينه فرع معرفة النّبوّة، ومعرفة النّبوّة فرع معرفة الله تعالى، والجهل بالنبيّ يستتبعه الجهل بالإمامة الّذي ينتهي بصاحبه إلى الجهل بشخص الإمام، وإن شئت فقل: معرفة الإمام فرع معرفة النّبيّ، ومعرفة الإمامة فرع معرفة النّبوّة، وكيف كان فالجهل بالإمام منبع الشّرور والانحرافات؛ إذ اتّباع الحقّ فرع معرفة الحقّ المتمثّل في شخص الإمام عليه السلام، وهل بعد الحقّ إلّا الضّلال؟ فالانحراف عن الإمام انحراف عن جادّة الصّواب والوقوع في شرك الشّيطان: «فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي»، فالضّلال والانحراف والهلاك واتّباع الهوى والشّيطان لا علّة لها سوى الجهل وعدم المعرفة، فالجهل منبع الشّرور والظّلمات وطريق المهالك، بينما العلم والمعرفة منبع الخيرات والأنوار وسبيل النّجاة، وهي لا جرم تبدأ من معرفة الذّات الواجبية المقدّسة، وتنتهي بمعرفة الإمام والحجّة

«نحن حجج الله في أرضه، وخلفاؤه في عباده، وأُمناؤه على سرّه»[1]، وهذه المعرفة وإن بدأت بمعرفة الله تعالى وتبارك وتنتهي إلى معرفة الحجّة، إلّا أنّ معرفة الحجّة فرش المعارف ومعرفة الواجب عرش المعارف، ومعرفة النّبوّة منزلة بين المنزلتين.

ولهذا وقع الاختيار الصّائب ممّن عرفوا الله والنّبيّ والنّبوّة حقّ المعرفة أو بالمعرفة الحقّة على اتّباع أئمّة أهل البيت عليهم السلام بعد النّبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله.

وجاء مولد الصّادق من آل محمّد صلى الله عليه وآله ولادة جديدة للإمامة الّتي يكون بها دوام النّبوّة وديموميّة الرّسالة المحمّدية صلى الله عليه وآله، وهي المعرفة المنقذة للأُمّة من ظلمات الجهل إلى نور اليقين والسّعادة الأبدية، حيث أحيا الشّريعة الّتي لولاه لاندرست معالمها، وإنّما أحياها بإنشاء أعظم محفل علمي وجامعة تربويّة كفيلة بالنهوض بالأُمّة عبر العلم والمعرفة وتربية الأجيال من العظماء والعلماء ممّن ملؤا الخافقين علماً وأدباً وفضلاً وكمالاً؛ إذ بمعرفة الإمام عليه السلام يُعرف الورثة الصّادقون للإمام في كلّ عصر ومصر، لئلا تدْهَمِّ بالناس عواصف الفتن وتزّل بهم وعورة الطّريق.

---

(١) بحار الأنوار: ٣٥/٢٣ و: ٣١٢/١٠٨.

من هنا أيضاً جاءت فكرة إنشاء مركز علمي حوزوي تحقيقي على غرار الحوزات الشّيعيّة على مرّ التّاريخ يهتمّ بشؤون المعرفة والآداب في المجتمع الكويتي وغيره من مجتمعاتنا الإسلاميّة، فكانت وليدة العلم والمعرفة توّاقة إليها، والحمد لله الّذي منّ علينا بفضل العناية الرّبّانيّة ودعاء مولانا البقيّة الباقية من العترة الهادية (عجّل الله تعالى فرجه الشّريف): «إنّا غير مهملين لمراعاتكم ولا ناسين لذكركم»[1]، أن تظافرت الجهود المخلصة من علمائنا وطلّابنا أيّدهم الله تعالى لتقترن ولادة مركز الإمام السّجّاد عليه السلام بولادة النّبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله وولادة حفيده الإمام جعفر بن محمّد الصّادق عليه السلام.

ويرى النّور في ذكرى ولادة النّورين (عليهما الصّلاة والسّلام) من العام المنصرم، وقد مرّ عليه عام منذ السابع عشر من الرّبيع الأوّل من العام الماضي، وقد حقّق ـ بفضل الله تعالى ـ الكثير من الإنجازات الّتي أُقيم من أجلها لا سيّما السّعي الحثيث على ترسيخ دعائم العلم والمعرفة في مجتمعنا، وتشييد معالم المعرفة تبعاً له، وقد بقي الكثير الكثير ممّا نسعى إلى إنجازه ونحن في بداية المشوار، سائلين المولى العزيز أن يوفّقنا لما يحبّ ويرضى.

---

(١) تهذيب الأحكام: ٣٨/١. المزار للمفيد: ٨. الاحتجاج: ٣٢٣/٢.

ومن ثمّ رأيت أنّ الصّواب في المدخل إلى البحث عن الإمام المهديّ أرواحنا له الفداء، وإطلاق عنان القلم لخوض غمار هذا المبحث العقائدي، وبسط أطراف الحديث فيه، لا يتمّ إلّا على أُسس متينة وقواعد راسخة، فشرعت بمقدّمة من الدروس العقائديّة بدءاً من التّوحيد وانتهاءاً بأصل الإمامة ليكون تمهيداً وتوطئة ومدخلاً إلى المطلوب في هذه الحلقات، والغاية الّتي عقدت من أجله، وهو البحث عن الحجّة المنتظر عجّل الله تعالى فرجه؛ لاعتقادنا بأنّ البحث عن الإمام القائم أرواحنا فداه جزء لا يتجزّأ عن سائر الأُصول الاعتقاديّة لدى الفرقة النّاجية والطائفة الحقّة، واكتفيت هنا باقتباس هذه المقدّمة من كتاب الهداية للشيخ الصّدوق ـ أعلى الله مقامه الشّريف ـ، مضيفاً إليها شيئاً يسيراً من تعليقاتي بغية رفع الغموض عمّا جاء فيه، فما بين القوسين عبارة عن متن كتاب الهداية، وما سواه فهو منّي، وإنّما وقع اختياري على هذا الكتاب لأسباب:

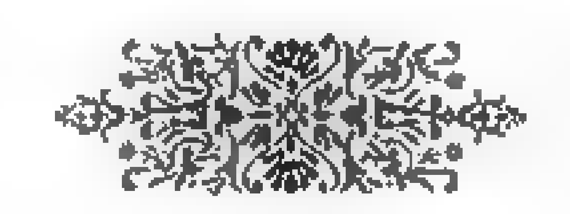
أوّلها: جلالة قدر المصنّف وعظمة شأنه في الفرقة النّاجية.

ثانيها: الرّغبة في الإيجاز وعدم الإطالة أو الإطناب.

ثالثها: أهمّيّة الكتاب وموقعه المتميّز بين مصنّفات أعلام الطّائفة الحقّة.

رابعها: كون الكتاب من الكتب المصدرية القديمة، والمؤلّف من أعلام المتقدّمين.

خامسها: تميّز الكتاب وتشخّصه بوضوح التّعبير وسلاسة البيان.



الدّرس الثّالث

ما يجب الاعتقاد به / ١

١ ـ التّوحيد

بسم الله الرحمن الرحيم

يجب الاعتقاد بأنّه تبارك وتعالى:

١ ـ **(واحد)**: قال تعالى: ﴿وَإِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾[2]، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «وَاحِدٌ لَا بِعَدَدٍ»[3]، فهو واحد لا يثنّى؛ إذ لا ثاني له، وليس في الوجود سواه.

---

(١) سورة البقرة: ١٦٣.

(٢) سورة التّوحيد: ١.

(٣) نهج البلاغة

٢ ـ (**ليس كمثله شيء**).

٣ ـ (**لا يُحَدّ**): بالحدود الجوهريّة ، ولا الحدود العرضيّة .

٤ ـ (**ولا يُحَسّ**): لا بالحواسّ الظّاهرة ، كالسمع والبصر والشّمّ والذّوق واللّمس ، ولا بالحواسّ الباطنة ، كالخيال والوهم والحسّ المشترك والحافظة والمتصرّفة .

٥ ـ (**ولا يُجَسّ**): قد يراد به اللّمس ، فهو من باب ذكر الخاصّ بعد العامّ ؛ لأنّه من الحواسّ الظّاهرة ، وقد يراد به التجسُّس والتفحّص .

٦ ـ (**ولا يُمَسّ**): والمسّ هو اللّمس باليد ، والمراد هنا المسّ بالحواسّ الباطنة ، كالإدراك العقلي والوهمي والخيالي . فهو أيضاً من قبيل ذكر الخاصّ بعد العامّ.

٧ ـ (**ولا يدرك بالأوهام والأبصار**): تفصيل بعد إجمال .

٨ ـ (**ولا تأخذه سِنة**): الخفقة الّتي تسبق النّوم ، (**ولا نوم**).

٩ ـ (**شاهد على كلّ نجوى**): لقوله تعالى : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ

إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ ﴾[١].

١٠ ـ (**محيط بكلّ شيء**): لقوله تعالى: ﴿ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾[٢]؛ لأنّه عالم بالأشياء محيط بها كلّها جملة وتفصيلاً، بجزئيّها وكلّيّها.

١١ ـ (**لا يوصف بجسم**): قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[٣]. وقال أيضاً: ﴿ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[٤]؛ إذ ما من جسم إلّا وهو محدود بحدود، ولو بحدود افتراضيّة، والمحدوديّة من الصّفات الذّاتيّة للجسم، وقد تقدّم أنّه تعالى: (لا يُحَدّ).

١٢ ـ (**ولا صورة**): عطف على الجسم، أي ولا يوصف بصورة؛ إذ لا صورة إلّا بحدود، ولا تصوير إلّا للمحدود.

١٣ ـ (**ولا جوهر**): قال الحكماء والفلاسفة: «الجوهر ماهيّة إذا وجدت وجدت لا في موضوع»، والله تعالى خالق الذّوات

(١) سورة المجادلة: ٧.

(٢) الطّلاق: ١٢.

(٣) سورة الشّورى: ١١.

(٤) سورة المؤمنون: ٩١ و سورة الصّافّات: ١٥٩.

والموضوعات والموجودات، فهو منزّه عن كونه ماهيّة أو ذاتاً لم تلبّس في الماهيّة، سبحانه وتعالى عمّا يصفون.

١٤ ـ (**ولا عرض**): قالوا: «والعرض ماهيّة أو ذات إذا وجدت وجدت في موضوع»؛ لأنّه تعالى منزّه عن كونه جوهراً، فنفي العرضيّة عنه أمر مفروغ عنه بالأولويّة القطعيّة. قالوا: والأعراض تسعة، كما أنّ الجوهر واحد، وتفصيل ذلك في محلّه من كتب الحكمة والفلسفة، لاسيّما المطوّلات منها، وقد تعرّضنا لشرحها مفصّلة مبسّطة في شرحي البداية والنّهاية.

١٥ ـ (**ولا سكون**).

١٦ ـ (**ولا حركة**): إذ كلّ متحرّك حادث، وكلّ حادث مآله إلى الزّوال والفناء.

١٧ ـ (**ولا صعود**): لأنّه فرع الحركة؛ إذ كلّ صاعد متحرّك.

١٨ ـ (**ولا هبوط**): وهو كذلك فرع الحركة. وقد نفيناها عنه تبارك وتعالى.

١٩ ـ (**ولا قيام**): تفصيل بعد إجمال؛ لأنّه فرع على الحركة.

٢٠ ـ (**ولا قعود**): وهو كسابقه.

٢١ ـ **(ولا يقل)**: إذ هو حدّ من الحدود والأوزان.

٢٢ ـ **(ولا خفّة)**: لأنّها من أوصاف المحدود.

٢٣ ـ **(ولا جيئة)**: لأنّها من الحركة.

٢٤ ـ **(ولا ذهاب)**: أيضاً من الحركة.

٢٥ ـ **(ولا مكان)**: لعدم كونه جوهراً ولا عرضاً حلّ في جوهر.

٢٦ ـ **(ولا زمان)**: لأنّ الزّمان أثر المتحرّك وناشئ من الحركة.

٢٧ ـ **(ولا طول ، ولا عرض)**: إذ هما من أوصاف الجسم المحدود ، فهو ليس كالنقطة ، ولا الخطّ.

٢٨ ـ **(ولا عمق)**: إذ ليس هو كالجسم الطبيعي.

٢٩ ـ **(ولا فوق ، ولا أسفل)**: إذ الفوقيّة والتّحتيّة من صفات المحدود.

٣٠ ـ **(ولا يمين ، ولا شمال)**: وهما أيضاً من صفات الأجسام.

٣١ ـ **(ولا وراء ، ولا أمام)**.

٣٢ ـ **(وأنّه لم يزل)**: بوجوده السّرمدي سميعاً بصيراً.

٣٣ ـ **(ولا يزال)**: بوجوده الأبدي سميعاً بصيراً.

٣٤ ـ (**حكيماً**): في فعله وصنعه وإيجاده ، تشريعاً وتكويناً ، بالاتقان الّذي لا يطروه الفساد .

٣٥ ـ (**عليماً**): بذاته حيث لا معلوم ، وعليماً بغيره قبل الإيجاد ، وبعد إيجاد الخلق ، لا تخفى عليه خافية ، يعلم السّرّ وأخفى .

٣٦ ـ (**حيّاً**): لا يموت ، وهو حيّ لنفسه بنفسه من نفسه .

٣٧ ـ (**قيّوماً**): أي قائماً بشؤون خلقه ، مدبّراً لأمرهم ، فعّالاً لما يريد .

٣٨ ـ (**قدّوساً**): طاهراً منزّهاً . قال تعالى : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾[1] .

٣٩ ـ (**عزيزاً**): قاهراً لما سواه ، غالباً على أمره ، لا يعجزه شيء ، ولا يمتنع عن إرادته شيء .

٤٠ ـ (**أحداً**): ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ، فهو أحد في ذاته ، أي لا تركيب في ذاته المقدّسة ؛ إذ لا أبعاض له ولا أجزاء ، ولا جوارح ولا أعضاء ؛ إذ صفاته عين ذاته .

٤١ ـ (**صمداً**): سيّداً مطاعاً ، مقصوداً في قضاء الحوائج والإدارة

---

(١) سورة الجمعة : ١ .

والتّدبير وفي كلّ شيء.

٤٢ ـ **(لم يلد)**: غيره ليكون أباً لابن ؛ إذ لا غير له ولا غيريّة معه.

٤٣ ـ **(ولم يولد)**: من شيء ليكون ابناً لأب.

٤٤ ـ **(ولم يكن له كفواً أحد)**: حتّى يكون زوجاً له ، أو ينازعه في ملكه وملكوته.

٤٥ ـ **(خارج من الحدّين : حدّ الإبطال)**: فهو شيء لقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ﴾[١] ، فلا يصحّ نفي الشّيئيّة عنه ؛ لأنّها تعني الوجود والموجود ، وهو صرف الوجود ، بل هو شيء لاكالأشياء ، وفي نفي الشّيئيّة عنه تعالى إبطاله ونفيه عن أصل الوجود ، أو نفي صفات الكمال الفعليّة والإضافيّة عنه.

٤٦ ـ **(وحدّ التّشبيه)**: إذ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ، فإثبات مثله سبحانه وتعالى بلا تشبيه وذلك بعدم اشتراك الممكنات معه في حقيقة الصّفات وعوارض الممكنات.

٤٧ ـ **(خالق كلّ شيء)**: والخلق كلّهم عياله ، وخلق الله تعالى للخلائق خلق تكوين ، كما أنّ خلقه تعالى لأفعالهم خلق تقدير.

---

(١) سورة الأنعام: ١٩.

٤٨ ـ **(لا إله إلّا هو)**: شعار التّوحيد.

٤٩ ـ **(لا تدركه الأبصار)**: إذ الأبصار عن إدراك من دونه من الخلائق عاجزة فكيف بإدراك ذاته المقدّسة، ولعلّ المراد هو الإدراك القلبي والعقلي، فالمعنى حينئذٍ أنّها عاجزة عن إدراك كنه ذاته ومعرفة حقيقة صفاته الذّاتيّة، ولهذا منعنا من التفكّر في ذاته وصفاته الذّاتيّة لأنّها عين ذاته اللّاهوتيّة المقدّسة، وإنّما أُمرنا بالتفكّر في أفعاله جلّت عظمته.

٥٠ ـ **(وهو يدرك الأبصار)**: بحقيقة الإدراك، وكيف لا وهو خالقها ومبدعها ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾[١]

٥١ ـ **(وهو اللطيف)**: البارّ بعباده، والمنعم عليهم، والمكرم لهم، كما أنّه جلّ وعلا لطيف في تدبيره وخلقه وفعله.

٥٢ ـ **(الخبير)**: والعالم الّذي لا يخفى أخبار عباده عليه، بل هو عالم بأخبارهم علماً يفوق كلّ علم.

٥٣ ـ **(وأنّ الجدال)** في الله تعالى **(منهيّ عنه؛ لأنّه يؤدّي إلى ما لا يليق به)**، وقد سُئل الصّادق عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وأنّ الى

---

(١) سورة غافر: ١٩.

رَبِّكَ الْـمُنتَهَىٰ ﴾[١]، قـال: «إِذا انْـتَهَى الْكَـلَامُ إِلَـى اللهِ عـزَّ وَجـلَّ فَأَمْسِكُوا»[٢]، وروي عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «تَكلَّمُوا في خَلْقِ اللهِ وَلَا تَتَكَلَّمُوا في اللهِ، فَإِنَّ الْكَلَامَ في اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لا يَزِيدُ إِلَّا تَحَيُّراً»[٣].

٥٤ ـ ويجب أن يعتقد: أنّا عرفنا الله بالله تـعالى، كما قـال أمـير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «اعْرِفُوا اللهَ بِاللهِ، وَالرَّسُولَ بِالرِّسالَةِ، وَأُولِي الْأَمْـرِ بِـالْمَعْرُوفِ وَالْـعَدْلِ وَالْإِحسـانِ»[٤]، وسـئل أمـير المؤمنين عليه السلام: بِمَ عرفت ربّك؟ فقال عليه السلام: «بِما عَرَّفَني نَفْسَهُ»، قـيل: وكـيف عـرّفك نـفسه؟ فـقال عليه السلام: «لَا تُشْـبِهُهُ صُورَةٌ، وَلَا يُحَسُّ بِالْحَواسِّ، وَلَا يُقاسُ بِالنّاسِ، قَرِيبٌ في بُعْدِهِ، بَعِيدٌ في قُرْبِهِ، فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يُقالُ شَيْءٌ فَوْقَهُ، أَمامَ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يُقالُ لَهُ أَمامٌ، داخِلٌ في الْأَشْياءِ لَا كَشَيْءٍ في شَيْءٍ داخِلٍ، وَخارِجٌ مِنَ الْأَشْياءِ، لَا كَشَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ خـارِجٍ، سُـبْحانَ مَـنْ هُـوَ هـٰكَذا، وَلَا هـٰكَذا غَـيْرُهُ، وَلِكُـلِّ شَـيْءٍ مُبْتَدِئٌ»[٥].

---

(١) سورة النّجم: ٤٢.

(٢) و (٣) الكافي: ١/٩٢.

(٤) الهداية: ١٥. الإمامة والتبصرة: ١٣٨.

(٥) الكافي: ١/٨٥.

٥٥ ـ (**ويجب أن يعتقد أنّ رضاء الله ثوابه**): وهو الجنّة والنعم المقيم.

٥٦ ـ (**وأنّ غضبه عقابه**) وهو جهنّم والعذاب الأليم ؛ (**لأنّ الله لا يزول من شيء إلى شيء**) حتّى تكون له حالات ونعوت ينتقل منها إلى ضدّها. (**ولا يستفزّه شيء**) حتّى يتأثّر في ذاته ويحدث فيه التّغيير من جهة بعض صفاته كالذي يحدث للإنسان من سرور وانبساط عند الرّضا ، وغلظة وانزجار عند الغضب.

٥٧ ـ (**ولا يغيّره**) شيء ؛ إذ لا يقبل انفعالاً ولا تأثّراً حتّى يقع فيه التّغيير من حال إلى حال ، بل هو الفاعل المؤثّر على الإطلاق. (**وسئل الصّادق** عليه‌السلام **عن قول الله عزّ وجلّ** : ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾[1] ، فقال عليه‌السلام : « اسْتَوىٰ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ »[2]).

(وقال عليه‌السلام : « مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللهَ تَعالىٰ مِنْ شَيْءٍ ، أَوْ في شَيْءٍ ، أَوْ عَلىٰ شَيْءٍ ، فَقَدْ أَشْرَكَ » ، ثمّ قال عليه‌السلام : « مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللهَ تَعالىٰ مِنْ شَيْءٍ فَقَدْ

(١) سورة طٰه : ٥.

(٢) الكافي : ١/١٢٧.

جَعَلَهُ مُحْدَثاً ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ في شَيْءٍ فَقَدْ زَعَمَ أَنَّهُ مَحْصُور ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ عَلىٰ شَيْءٍ فَقَدْ جَعَلَهُ مَحْمُولاً »[1]).

(وسئل عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾[2] ، فقال عليه السلام : « عِلْمُهُ »[3]).

٥٨ ـ (ويجب أن يعتقد : أنّ الله تبارك وتعالى لم يفوّض الأمر إلى العباد): وهو ما ذهبت إليه المفوّضة من المعتزلة الزّاعمين أنّ الله تعالى خلق العباد وفوّض إليهم أعمالهم ، فليس لله تعالى في خلقه تدبير . قال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللهُ ﴾[4] ، فلا يفعل العبد إلّا بمشية الله تعالى.

٥٩ ـ (ولم يجبرهم على المعاصي): خلافاً للأشاعرة والجبريّة القائلين بأنّ العبد مسيّر مجبر في أفعاله ، بزعمهم أنّ الله تعالى خالق الخلق وقدّر لهم جميع أعمالهم وأرزاقهم إلى يوم القيامة ، لا اختيار لهم في ذلك ، فكلّ ما يجري عليهم أو يصدر منهم إنّما هو بتقدير إلهي محتّم

---

(١) الكافي: ١/١٢٨.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٥.

(٣) التّوحيد: ٣٢٧.

(٤) سورة الدّهر: ٣٠.

وقضاء متمّم وليس لهم فيه يد، ولا قدرة لهم على تغييره.

(قال الصّادق عليه السلام: «**لا جبر ولا تفويض، بل أمر بين أمرين**»[1]).

فمشيّته وإرادته تعالى تعلّقتا بفعل العبد، إذا شاء صدور الفعل من العبد، ولا استقلاليّة لإرادة العبد حتّى يفعل ما يشاء من غير مشيئة الله تعالى، كما لا سلب لإرادة العبد حتّى يتحقّق الجبر. قال الإمام الرّضا صلوات الله عليه: «**من زعم أنّ الله يفعل أفعالنا ثمّ يعذّبنا عليها فقد قال بالجبر، ومن زعم أنّ الله عزّ وجلّ فوّض أمر الخلق والرّزق إلى حججه عليهم السلام فقد قال بالتفويض، فالقائل بالجبر كافر، والقائل بالتفويض مشرك**» فقلت: يابن رسول الله، فما الأمر بين الأمرين؟ فقال: «**وجود السّبيل إلى إتيان ما أُمروا به، وترك ما نُهوا عنه**»[2].

٦٠ـ(**وأنّه لم يكلّف عباده إلّا دون ما يطيقون**): إذ لا يأمرهم بما يفوق طاقتهم وما يعجزون عن الإتيان به، بل لم يأمرهم إلّا دون طاقتهم، (**قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا ﴾**[3]، وروي عن زرارة أنّه قال: قلت للصادق عليه السلام: **جعلت فداك، ما تقول في**

---

(١) الكافي: ١/١٦٠.

(٢) عيون أخبار الرّضا عليه السلام: ١/١٠١.

(٣) سورة البقرة: ٢٨٦.

القضاء والقدر ؟ قال ﷺ : «أقول : إنّ الله تبارك وتعالى إذا جمع العباد يوم القيامة سألهم عمّا عهد إليهم ، ولم يسألهم عمّا قضى عليهم»[1]) المألوف في جريان القضاء والقدر في الأُمور التّكوينيّة وقد بيّنّاه في كتابنا (كيف نفهم الرسالة العملية ـ الحلقة الأُولى : ص٨٦)، وأعمالهم بما أنّها وجودات خارجيّة فحالها حال التّكوينيّات ؛ لأنّها أُمور تكوينيّة ، وأمّا من حيث تعلّق الأمر والنهي والاشتمال على الطّاعة والمعصية الّتي هي من الأُمور الاعتباريّة ، فقد قيل : القدر في الأعمال ينشأ من المصالح الّتي تستدعي التّكليف الكذائي ، والقضاء هو الحكم بالوجوب والحرمة مثلاً بأمر أو نهي .

وعلّق عليه العلّامة المجلسي في الجزء الخامس صفحة (١١٢) من البحار قائلاً : «هذا الخبر يدلّ على أنّ القضاء والقدر إنّما يكون في غير الأُمور التّكليفيّة كالمصائب والأمراض وأمثالها ، فلعلّ المراد بهما القضاء والقدر الحتميان».

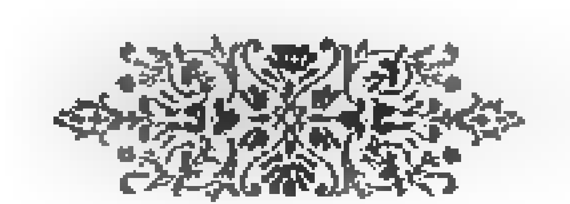
٦١ ـ (والكلام في القدر منهيٌّ عنه ، كما قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ للّذي سأله عن القدر ، فقال ﷺ : « وَبَحْرٌ عميقٌ

---

(١) التّوحيد : ٣٦٥.

فَلَا تَلِجُوهُ »، ثمّ سأله ثانية عن القدر، فقال عليه السلام **: « طَرِيقٌ مُظْلِمٌ فَلَا تَسْلُكُوهُ »، ثمّ سأله ثالثة عن القدر، فقال** عليه السلام **: « وَسِرُّ اللهِ فَلَا تَتَكَلَّفُوهُ »[1]).**

٦٢ ـ (**ويجب أن يعتقد أنّ القدريّة مجوس هذه الأمّة، وهم الّذين أرادوا أن يصفوا الله بعدله فأخرجوه من سلطانه**)؛ لقولهم بأنّ الله خلق الخلق ولم يكتب لهم التّقدير، ولا قدّر لهم شيئاً، فلا قدر، وإنّما القدرة والمشيئة بيد الخلق. وقال العلّامة المجلسي رحمه الله في الجزء الخامس صفحة (٥) من بحاره، معلّقاً على حديث عن أبي جعفر عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله حول القدر: «اعلم أنّ لفظ القدري يطلق في أخبارنا على الجبري وعلى التّفويضي».



(١) نهج البلاغة: ٦٩/٤. الاعتقادات: ٣٤.

الدّرس الرّابع

ما يجب الاعتقاد به / ٢

٢ ـ النّبوة

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ (يجب أن يعتقد أنّ النّبوّة حقّ كما اعتقدنا أنّ التّوحيد حقّ) والعقل يحكم أنّ على الحكيم أن لا يهمل عبادة العقلاء ، بل عليه من جهة الحكمة وبقاعدة اللّطف أن يسنّ لهم قوانين وأحكاماً ، وأن يبعث إليهم من يعلّمهم تلك القوانين والأحكام بعد أن يدلّهم على ربّهم ويكون أسوة عملية لهم في ذلك يقتدون به ، ومشعل هداية يستنيرون بنور علمه ، ومرشداً مذكّراً يهديهم إلى سبيل ربّهم.

٢ ـ (وأنّ الأنبياء الّذين بعثهم الله تعالى مئة ألف نبيّ وأربعة وعشرون ألف نبيّ) صلوات الله على نبيّنا وآله وعليهم أجمعين.

٣ ـ (جاؤوا بالحقّ من عند الحقّ): أي الله تبارك وتعالى ؛

لأنّه الحقّ المطلق.

٤ ـ (**وأنّ قولهم قول الله**): ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [١]، وهذا حال الأنبياء جميعاً.

٥ ـ (**وأمرهم أمر الله**): ﴿ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ [٢]، فكلّ ما يأمرون به إنّما هو أمر الله تبارك وتعالى.

٦ ـ (**وطاعتهم طاعة الله**): ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [٣]، وقال تعالى: ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [٤].

٧ ـ (**ومعصيتهم معصية الله**): قال تعالى في ذيل الآية السّابقة: ﴿ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً ﴾.

٨ ـ (**وأنّهم لم ينطقوا إلّا عن الله تبارك وتعالى، وعن وحيه**).

٩ ـ (**وأنّ سادة الأنبياء خمسة، الّذين عليهم دارت الرّحى، وهم أصحاب الشّرائع، وهم أولوا العزم: نوح، وإبراهيم، وموسى،**

(١) سورة النّجم: ٣ و ٤.

(٢) سورة الأنبياء: ٢٦ و ٢٧.

(٣) سورة النّساء: ٥٩.

(٤) سورة النّساء: ٨٠.

وعيسى، ومحمّد صلوات الله عليهم)، وقد بسّطناه في الحلقة الأُولى من كتابنا (كيف نفهم الرسالة العملية؟) في مبحث النّبوّة العامّة. وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾[2]. وسمّوا أُولي عزم لأنّهم أصحاب الشّرائع السّماويّة، وبعثوا إلى شرق الأرض وغربها، وجنّها وإنسها.

١٠ ـ (**وأنّ محمّداً ﷺ سيّدهم، وأفضلهم**): وفيه روايات كثيرة متواترة وإجماع الأُمّة[3].

١١ ـ (**وأنّه جاء بالحقّ**): قال تعالى: ﴿ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴾[4].

١٢ ـ (**وصدّق المرسلين**): قال تعالى: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ

---

(١) سورة الأحزاب: ٧.

(٢) سورة الأحقاف: ٣٥.

(٣) راجع بحار الأنوار: ١٦/٣٧٢، وسائر كتب الحديث.

(٤) سورة الصّافّات: ٣٧.

مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾[1].

١٣ ـ (**وأنّ الّذين كذّبوه ذائقو العذاب الأليم**).

١٤ ـ (**وأنّ الّذين آمنوا به وعزّروه ونصروه، واتّبعوا النُّور الّذي أُنزل معه**): أي اتّبعوا القرآن الكريم (**أُولئك هم المفلحون**).

١٥ ـ (**ويجب أن يعتقد أنّ الله تعالى لم يخلق خلقاً أفضل من محمّد** ﷺ).

١٦ ـ (**ومن بعده**): أي لم يخلق خلقاً من بعد محمّد ﷺ أفضل من (**الأئمّة صلوات الله عليهم**).

١٧ ـ (**وأنّهم**): أي ويجب أن يعتقد أنّهم ـ أعني محمّداً وآل محمّد ﷺ ـ (**أحبّ الخلق إلى الله عزّ وجلّ، وأكرمهم عليه**).

١٨ ـ (**وأوّلهم**): أي وأنّهم أوّل الخلق (**إقراراً به، لمّا أخذ الله ميثاق النبيّين في الذّرّ**): أي في عالم الذّرّ لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾[2].

---

(١) سورة البقرة: ٢٨٥.

(٢) سورة الأعراف: ١٧٢.

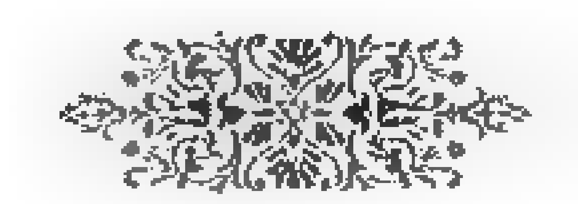
٢ ـ النّبوة

١٩ ـ (و) يعتقد أنّ أفضل الخلق (بعدهم): أي بعد محمّد وآل محمّد عليهم السلام هم (الأنبياء عليهم السلام).

٢٠ ـ (وأنّ الله بعث نبيّه صلى الله عليه وآله إلى الأنبياء عليهم السلام في الذرّ).

٢١ ـ (وأنّ الله أعطى كلّ نبيّ على قدر معرفته نبيّنا صلى الله عليه وآله وسبقه إلى الإقرار به) صلى الله عليه وآله ، أي منزلة كلّ نبي وفضله بقدر معرفته لنبيّنا وسبقه للإقرار بنبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله.

٢٢ ـ (ويعتقد أنّ الله تبارك وتعالى خلق جميع ما خلق له ولأهل بيته عليهم السلام ، وأنّه لولاهم ما خلق الله السّماء والأرض ، ولا الجنّة والنّار ، ولا آدم ولا حوّاء ، ولا الملائكة ولا شيئاً ممّا خلق ، صلوات الله عليهم أجمعين).



الدّرس الخامس

ما يجب الاعتقاد به / ٣

٣ ـ الإمامة

بسم الله الرحمن الرحيم

يجب أن يعتقد:

١ ـ (أنّ الإمامة حقّ كما اعتقدنا أنّ النّبوّة حقّ): وبنفس دليل العقل من لزوم الحكمة على الحكيم أن لا يهمل عباده ولا يتركهم دون مبشّرين ومنذرين ومذكّرين لحظة واحدة، وبقاعدة اللّطف.

٢ ـ (ويعتقد أنّ الله عزّ وجلّ الّذي جعل النّبيّ ﷺ نبيّاً، هو الّذي جعل إماماً).

٣ ـ (وأنّ نصب الإمام وإقامته واختياره إلى الله عزّ وجلّ، وأنّ فضله منه).

٤ ـ (ويجب أن يعتقد: أنّه يلزمنا من طاعة الإمام ما يلزمنا من

طاعة النّبيّ ﷺ).

٥ ـ (وأنّ كلّ فضل آتاه الله عزّ وجلّ نبيّه فقد آتاه الإمام، إلّا النّبوّة): لقوله ﷺ: « يا عَلِيُّ، أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسى إِلّا أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي »(١).

٦ ـ (ويعتقد أنّ المنكر للإمامة كالمنكر للنبوّة، والمنكر للنبوّة كالمنكر للتوحيد).

٧ ـ (ويعتقد أنّ الله عزّ وجلّ لا يقبل من عامل عمله إلّا بالإقرار بأنبياءه ورسله وكتبه جملة، وبالإقرار بنبيّنا محمّد ﷺ والأئمّة صلوات الله عليهم تفصيلاً).

٨ ـ (وأنّه يجب علينا أن نعرف النّبيّ والأئمّة بعده صلوات الله عليهم بأسمائهم وأعيانهم، وذلك فريضة لازمة لنا، واجبة علينا، لا يقبل الله عزّ وجلّ عذر جاهل بها، أو مقصّر فيها، ولا يلزمنا للأنبياء الّذين كانوا قبل نبيّنا ﷺ إلّا الإقرار بجملتهم. وأنّهم جاؤوا بالحقّ، وأنّ من تبعهم نجا، ومن خالفهم ضلّ وهلك، وقد قال الله عزّ وجلّ لنبيّه ﷺ: ﴿ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْناهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ

---

(١) علل الشّرائع: ٢/٤٧٤. الخصال: ٥٧٢. مناقب أمير المؤمنين عليه السلام: ١/٥١٠.

وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾[١]).

٩ ـ (ويجب أن يعتقد أنّ المنكر لواحد منهم كالمنكر لجماعتهم، وقد قال الصّادق عليه السلام: «المنكر لآخرنا منكر لأوّلنا»[٢]).

١٠ ـ (ويجب أن يعتقد أنّ بهم فتح الله، وبهم يختم).

١١ ـ (يجب أن يعتقد أنّ حجج الله عزّ وجلّ على خلقه بعد نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله، الأئمّة الاثنى عشر: أوّلهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، ثمّ الحسن، ثمّ الحسين، ثمّ عليّ بن الحسين، ثمّ محمّد بن عليّ، ثمّ جعفر بن محمّد، ثمّ موسى بن جعفر، ثمّ الرّضا عليّ بن موسى، ثمّ محمّد بن عليّ، ثمّ عليّ بن محمّد، ثمّ الحسن بن عليّ، ثمّ الحجّة القائم صاحب الزّمان خليفة الله في أرضه صلوات الله عليهم أجمعين).

قال شيخ الطّائفة الطّوسي رحمه الله: «على أنّ الإمام الحقّ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بلا فصل أمير المؤمنين عليه السلام؛ بدليل أنّه نصّ عليه نصّاً متواتراً بالخلافة، ولا نصّ على أحد غيره ـ مثل أبي بكر والعبّاس ـ. والنصّ مثل قوله: أنت أخي ووزيري والخليفة من بعدي. ويدلّ على إمامته

(١) سورة النّساء: ١٦٤.

(٢) كمال الدّين: ٢/٤٠٩.

أيضاً أنّه معصوم وغيره ليس بمعصوم بإجماع المسلمين. والدّليل على أنّ الإمام من بعد عليّ عليه السلام ولده الحسن، ثمّ الحسين، ثمّ عليّ، ثمّ محمّد، ثمّ جعفر، ثمّ موسى، ثمّ عليّ، ثمّ محمّد، ثمّ عليّ، ثمّ الحسن، ثمّ محمّد بن الحسن الحجّة القائم المنتظر المهدي، صلوات الله عليهم أجمعين؛ بدليل قول النّبيّ صلى الله عليه وآله للحسين: ولدي هذا إمام، ابن إمام، أخو إمام، أبو أئمّة تسعة، تاسعهم قائمهم، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت من غيره ظلماً وجوراً. ويدلّ على إمامتهم عليهم السلام أيضاً أنّهم معصومون، ولا أحد ممّن ادّعيت فيه الإمامة بمعصوم بالإمامة فيهم. والدّليل على أنّ الخليفة الإمام القائم عليه السلام حيّ موجود في كلّ آن وزمان لا بدّ فيه من إمام معصوم، فثبت أنّه حيّ موجود في كلّ زمان، ويدلّ على بقائه إلى فناء هذه الأُمّة؛ لأنّه لطف للناس، واللّطف واجب على الله تعالى في كلّ زمان، فيكون الإمام حيّاً وإلّا لزم أن يكون الله تعالى مخلّاً بالواجب، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمّد وآله»[1].

١٢ ـ (ويجب أن يعتقد أنّهم أولوا الأمر الّذين أمر الله بطاعتهم).

١٣ ـ (وأنّهم الشّهداء على النّاس).

---

(١) الرّسائل العشر للشيخ الطّوسي: ١٠٦.

١٤ ـ (وأنّهم أبواب الله ، والسّبيل إليه).

١٥ ـ (والأدلّاء عليه).

١٦ ـ (وأنّهم عَيْبَةُ علمه).

١٧ ـ (وتراجمة وحيه).

١٨ ـ (وأركان توحيده).

١٩ ـ (وأنّهم معصومون من الخطأ والزّلل).

قال القاضي ابن البرّاج طيّب الله ثراه :

« مسألة ٣٦: الإمام بعد نبيّنا عليّ بن أبي طالب عليه السلام ؛ بدليل قوله صلى الله عليه وآله : يا عليّ ، أنت أخي ، ووارث علمي ، وأنت الخليفة من بعدي ، وأنت قاضي ديني ، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي ، وقوله : سلّموا على عليّ بإمرة المؤمنين ، واسمعوا له ، وأطيعوا له ، وتعلّموا منه ولا تعلّموه ، وقوله : من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه ، اللّهمّ وال من والاه ، وعاد من عاداه ».

مسألة ٣٧: الأئمّة بعد عليّ عليه السلام أحد عشر من ذرّيّته ، الأوّل منهم ولده الحسن ، ثمّ الحسين ، ثمّ عليّ بن الحسين ، ثمّ محمّد بن عليّ ، ثمّ جعفر بن محمّد الصّادق ، ثمّ موسى بن جعفر ، ثمّ عليّ بن موسى ،

ثمّ محمّد بن عليّ، ثمّ عليّ بن محمّد، ثمّ الحسن بن عليّ، ثمّ الخلف الحجّة القائم المهدي الهادي ابن الحسن صاحب الزّمان، فكلّهم أئمّة النّاس واحد بعد واحد، حقّاً، بدليل أنّ كلّ إمام منهم نصّ على من بعده نصّاً متواتراً بالخلافة، وقوله: **الحسين إمام، ابن إمام، أخو الإمام، أبو الأئمّة التّسعة، تاسعهم قائمهم، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.**

مسألة ٣٨: يجب أن يكون الأئمّة معصومين مطهّرين من الذّنوب كلّها، صغيرة وكبيرة، عمداً وسهواً، ومن السّهو في الأفعال والأقوال؛ بدليل أنّهم لو فعلوا المعصية لسقط محلّهم من القلوب، وارتفع الوثوق، وكيف يهتدون بالضالّين المضلّين، ولا معصوم غير الأئمّة الاثنى عشر إجماعاً، فثبت إمامتهم.

مسألة: ٣٩: يجب أن يكون الأئمّة أفضل وأعلم، ولو لم يكونوا كذلك للزم تفضيل المفضول، أو التّرجيح بلا مرجّح، ولا يحصل الانقياد به؛ وذلك قبيح عقلاً ونقلاً، وفضل أئمّتنا وعلمهم مشهور، بل أفضليّتهم أظهر من الشّمس، وأبين من الأمس.

مسألة ٤٠: يجب أن نعتقد أنّ آباء نبيّنا وأئمّتنا مسلمون أبداً، بل أكثرهم كانوا أوصياء، فالاخبار عند أهل البيت على إسلام

أبي طالب متطوعة ، وسيرته أدلّة عليه ، ومثله مثل مؤمن آل فرعون»[١].

٢٠ ـ (وأنّهم الّذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً).

٢١ ـ (وأنّ لهم المعجزات والدّلائل).

٢٢ ـ (وأنّهم أمان لأهل الأرض ، كما أنّ النُّجوم أمان لأهل السّماء).

٢٣ ـ (وأن مثلهم في هذه الأُمّة كمثل سفينة نوح ، وكباب حطّة).

٢٤ ـ (وأنّهم عباد الله المكرمون الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون).

٢٥ ـ (ويجب أن يعتقد أنّ حبّهم إيمان ، وبغضهم كفر).

٢٦ ـ (وأنّ أمرهم أمر الله ، ونهيهم نهي الله).

٢٧ ـ (وطاعتهم طاعة الله ، ومعصيتهم معصية الله).

٢٨ ـ (ووليّهم وليُّ الله).

٢٩ ـ (وعدوّهم عدو الله).

---

(١) جواهر الفقه : ٢٤٦.

٣٠ ـ (ويجب أن يعتقد أنّ الأرض لا تخلو من حجّة الله على خلقه ظاهر مشهور، أو خائف مغمور).

٣١ ـ (ويعتقد أنّ حجّة الله في أرضه وخليفته على عباده في زماننا هذا هو القائم المنتظر ابن الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام).

٣٢ ـ (وأنّه هو الّذي أخبر النّبيّ صلى الله عليه وآله به عن الله عزّ وجلّ، باسمه ونسبه).

٣٣ ـ (وأنّه هو الّذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً).

٣٤ ـ (وأنّه هو الّذي يظهر الله عزّ وجلّ به دينه على الدّين كلّه ولو كره المشركون).

٣٥ ـ (وأنّه هو الّذي يفتح الله عزّ وجلّ على يديه مشارق الأرض ومغاربها، حتّى لا يبقى في الأرض مكان إلّا ينادى فيه بالأذان، ويكون الدّين كلّه لله).

٣٦ ـ (وأنّه هو المهدي الّذي أخبر النّبيّ صلى الله عليه وآله أنّه إذا خرج نزل عيسى بن مريم عليه السلام فصلّى خلفه، ويكون إذا صلّى خلفه مصلّياً

خلف رسول الله ﷺ؛ لأنّه خليفته).

٣٧ ـ (**ويجب أن يعتقد أن لا يجوز أن يكون القائم غيره، بـغى في غيبته ما بقي، ولو بقي في غيبته عمر الدّنيا لم يكن القائم غيره؛ لأنّ النّبيّ والأئمّة صلوات الله عليهم باسمه ونسبه نصّوا، وبه بشّروا**).

٣٨ ـ (**ويجب أن يتبرّأ إلى الله عزّ وجلّ من الأوثان الأربعة**): أعمّ من الأوثان والأصنام الحقيقيّة المصنوعة من الجماد، أو الأوثان والأصنام البشريّة الّذين يقدّسون من دون الله تعالى.

٣٩ ـ (**والإناث الأربعة**): وقيل: أُريد بها اللّات والعزّى ومناة والشّعرى، لقوله تعالى: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثاً ﴾[1]. (**ومن جميع أشياعهم وأتباعهم**).

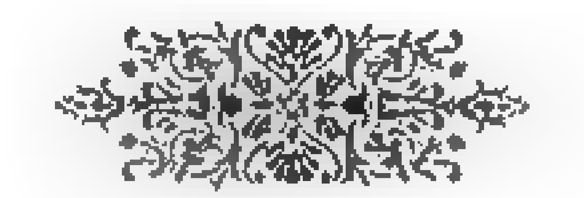
٤٠ ـ (**ويعتقد فيهم أنّهم أعداء الله وأعداء رسوله، وأنّهم شرّ خلق الله، ولا يتمّ الإقرار بجميع ما ذكرنا إلّا بالتبرّي منهم**).

٤١ ـ (**ويجب أن يعتقد فيمن يعتقد ما وصفناه**): أي فيمن يعتقد بما ذكرنا في أبواب التّوحيد والنّبوّة والإمامة (**أنّه على الهدى**)،

(١) سورة النّساء: ١١٧.

فيجب أن يعتقد العبد بأنّ كلّ من كانت عقيدته على النحو الّذي ذكره الشّيخ الصّدوق ﷺ في هذا الكتاب، أنّه على الهدى.

٤٣ ـ (وأمّا أداء الأمانة فإنّا نرى أدائها إلى البرّ والفاجر، لقول الصّادق عليه السلام: «أدّوا الأمانات ولو إلى قاتل الحسين بن عليّ عليهما السلام»)[١].



(١) الكافي: ٢٩٣/٨.

الدّرس السادس

ما يجب الاعتقاد به / ٤

٣ ـ الإمامة

بسم الله الرحمن الرحيم

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِين آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[٢]، فالإمامة إذن هي الامتداد الصّحيح والضّروري للنبوّة، وهي حصن الدّين، وسوره، ودعامته الّتي لا يستقيم إلاّ بها، وهي زعامة عظمى في أُمور

(١) سورة المائدة: ٥٥ و ٥٦.

(٢) سورة النساء: ٥٩.

الدّين والدّنيا ، وولاية عامّة على كافّة الأُمّة القيام بأُمورها والنّهوض بأعبائها ، وقد أجمعت الأُمّة على وجوب عقدها في كلّ زمان.

قال الماوردي: «عقد الإمامة لمن يقوم بها واجب بالإجماع ، وإن شذّ عنه الأصمّ».

وقال أبو الحسن الأشعري: قال النّاس كلّهم -إلّا الأصمّ-: «لا بدّ من إمام».

وقال الأصمّ: «لو تكاف النّاس عن النّظالم لاستغنوا عن الإمام».

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح قول أمير المؤمنين عليه السلام: «لا بدّ للنّاس من أمير»: «هذا نصّ صريح منه ﷺ بأنّ الإمامة واجبة. وقد اختلف النّاس في هذه المسألة ، فقال المتكلّمون: الإمامة واجبة إذا تناصفت الأُمّة ولم تتظالم. وقال المتأخّرون من أصحابنا: إنّ هذا القول منه غير مخالف لما عليه الأُمّة ؛ لأنّه إذا كان لا يجوز في العادة أن تستقيم أُمور النّاس من دون رئيس يحكم بينهم ، فقد قال بوجوب الرئاسة على كلّ حال».

وقال الاسفرائيني: «اتّفق جمهور أهل السّنّة والجماعة على أُصول من أركان الدّين ، كلّ ركن منها يجب على كلّ عاقل بالغ معرفة حقيقته ، ثمّ ذكر الأركان -إلى أن قال:- والركن الثاني عشر:

إنّ الإمامة فرض واجب على الأُمّة لأجل إقامة الإمام، ينصب لهم القضاة والأُمناء، ويضبط ثغورهم، ويغزي جيوشهم، ويقسّم الفيء بينهم، وينتصف لمظلومهم من ظالمهم».

وقالت الإماميّة: «ليس في الإسلام أمر أهمّ من تعيين الإمام، وإنّ الإمام لطف من الله يجب نصبه تحصيلاً للغرض».

ومن هذا يثبت أنّ إجماعهم على وجوب الإمامة ممّا لا ريب فيه، ولكن بعد أن تحقّق هذا الإجماع افترقوا فيها على فرقتين: قالت إحداهما: إنّ الإمامة تثبت بالاتّفاق والاختيار. وقالت الأُخرى: إنّها تثبت بالنصّ والتّعيين. فمن قال بالقول الأوّل فقد ذهب إلى القول بإمامة كلّ من صارت إليه الإمامة ولو باتّفاق جزء من الأُمّة، إمّا مطلقاً، وإمّا بشرط أن يكون قرشيّاً، فقالوا بإمامة معاوية وأولاده، وبعدهم مروان وأولاده، ثمّ بني العبّاس.

وأمّا أصحاب القول الثّاني، فقد ذهبوا إلى أنّ النّبيّ ﷺ قد نصّ على عليّ عليه السلام بالإمامة من بعده، ثمّ على أحد عشر من ولده، آخرهم الإمام المهدي المنتظر عليهم السّلام أجمعين. وبعد هذا الاختلاف، واختلافات أُخرى تشعّبت عن الفريقين، صارت الإمامة محلّ النّزاع الأكبر في هذه الأُمّة، حتّى قيل: إنّه ما سلّ سيف في الإسلام على

قاعدة دينيّة كما سلّ على الإمامة في كلّ زمان. فمن هنا أصبح حريّاً أن تقام عليها الدّلائل وتنصب البراهين، فكان ذلك حقّاً على قدر يوازي قدرها، فأُقيمت البراهين، وأُنشئت الدّلائل، ومن هذه الدّلائل ما جاء مشتركاً بين الفريقين، ومنها ما تميّز به كلّ منهما عن الآخر بحسب ما بينهما من اختلاف.

ولكن حتّى هذا القدر المشترك الّذي قال به الجميع لا تجده ينطبق على الخلفاء الّذين قال الفريق الأوّل بإمامتهم، فلا يخفى أنّ الكثير من أُولئك الخلفاء قد توصّل إلى الخلافة بقوّة السّيف رغم مخالفة أغلب أبناء هذه الأُمّة، فلا هو أتى باتّفاق الأمّة واختيارها، ولا باتّفاق أصحاب الحلّ والعقد، ولا بتعيين مباشر بنصّ النّبيّ ﷺ، كما أنّ منهم من كان مجاهراً بالفسوق، منتهكاً لحدود الله، ميّالاً إلى المعاصي، محارباً لأولياء الله، وهذه صفات لا ينكرها أحد في خلفاء بني أُميّة وبني العبّاس، وقليل منها متى وجد في أحدهم فهو كاف لسلب الأهليّة عنه، وبطلان خلافته، وهذا قدر لا يختلف عليه المسلمون إلّا من قال بصحّة إمامة الفاجر للمؤمن. وهذا قول غريب لا يستقيم مع معنى الإسلام وأهدافه، ولا مع الغرض من بعثة الأنبياء وتبليغهم رسالات ربّهم تعالى.

من هنا إذن حقّ لنا أن نقتصر على ذكر ما يعتدّ به من دلائل الإمامة، وما يلائم أهداف الشّريعة وطبيعتها، وبعثة الأنبياء وأهدافها، تاركين الشّاذّ الغريب لضعفه أوّلاً، وبغية الاختصار ثانياً؛ لأنّ الّذي بين أيدينا هو مقدّمة كتاب وليس كتاباً.

بعدما ثبت أنّ الإمامة هي رئاسة عامّة في أُمور الدّين والدّنيا، وأنّها امتداد للوجود النّبويّ المقدّس، وحفظ لعهده، وحماية لأماناته، وقيام برسالته، يمكننا أن نقول: إنّ كلّ ما صحّ أن يكون دليلاً على النّبوّة صحّ أن يكون دليلاً على الإمامة، فبه تعرف، وبه يقوم الشّاهد عليها، فدلائل النّبوّة هي نفسها دلائل الإمامة، ما خلا نزول الوحي الّذي هو من شأن الأنبياء وحدهم، ولا وحي بعد خاتم الأنبياء، بالإجماع. ولكن عندما يختفي هذا الدّليل هنا يحلّ محلّه دليل آخر، هو من الوحي أيضاً، ولكنّه وحي إلى النّبيّ يحمل إليه أهمّ دلائل الإمامه وأوّل شروطها، وبهذا تكون دلائل الإمامة كما يلي:

١ ـ النصّ: إنّ الإمامة منصب إلـهي مقدّس لا يتحقّق لأحد إلّا بنصّ من الله تعالى، أو من نبيّه المصطفى الّذي لا ينطق عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[1]، وما كان النّبيّ ﷺ الّذي بعث رحمة

(١) سورة النجم: ٤.

للعالمين ، وليرفع من بين النّاس أسباب الخلاف والفرقة ، ويزرع بينهم كلّ ما من شأنه أن يؤلّف بينهم ، وينظم أمرهم ، ويحفظ فيهم العدل والانصاف ، فلايمكن أن يفارق أُمّته ويتركها هملاً ، تتحكّم فيها الآراء والاجتهادات المتباينة ، فيعود أمرها فوضى ، وكأنّ نبيّاً لم يبعث فيها ، أو كأنّ الله تعالى لم يرسل إليهم شريعة واحدة تجمعهم وتنظّم أمرهم ، بل إنّ النّبيّ الرّحمة المهداة ، هو أرحم أُمّته من أن يتركها هكذا ، وهو أحرص على رسالته من أن يدعها تحت رحمة آراء شتّى واجتهادات متضاربة ، بل قد يعدّ أمر كهذا إخلالاً بالأمانة الّتي كلّف النّبيّ ﷺ بأدائها ، وتقصيراً بحقّ الرّسالة الّتي بعث لتبليغها ، وكلّ هذا بعيد عن ساحة النّبوّة كلّ بعد ، فأي مسلم لا يؤمن بأنّ نبيّنا الأكرم ﷺ قد أدّى أمانة ربّه أحسن الأداء ، وبلّغ رسالته أتمّ تبليغ ؟ وأي معنى سيبقى لأداء الأمانة ما لم يستأمن عليها رجلاً كفوءاً يتولّى حمايتها وإقامة حدودها وتنفيذ أحكامها ؟!

ولقد أتمّ ذلك رسول الله ﷺ أداء لأمانته ، فنصّ على وصيّه وخليفته من بعده ، وسمّاه باسمه في غير موضع ومناسبة ، ومن ذلك :

أ ـ الحديث المتواتر في خطبة الغدير الشّهيرة ، حيث أوقف النّبيّ ﷺ مائة ألف من المسلمين حجّوا معه حجّة الوداع وعادوا معه ،

فلمّا بلغوا غدير خم حيث مفترق طرقهم إلى مواطنهم، نادى مناديه أن يردّ المتقدّم، وينتظر المتأخّر حتّى يلحق، ثمّ قام فيهم خطيباً وهو آخذ بيد عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟

قالوا: بلى.

قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه.

ب ـ قوله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام في الحديث المتّفق عليه: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى، إلّا أنّه لا نبيّ بعدي. وتكرّر منه صلى الله عليه وآله التّصريح باسم عليّ عليه السلام لخلافته، وأنّه أوْلى النّاس بالنبيّ وبالدين والدّولة من بعده، بما فيه الكفاية لمن أراد الاستدلال.

وقبل الحديث النّبويّ الشّريف كانت آيات الكتاب المجيد الّتي تفيد هذا المعنى بشكل واضح لا غبار عليه، وأوّلها: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، ونزولها في عليّ أمر أجمع عليه أهل التّفسير.

ثمّ جاءت النّصوص النّبويّة الشّريفة المتّفق على صحّتها بحصر عدد الأئمّة بعد النّبيّ صلى الله عليه وآله باثني عشر إماماً، حدّاً فاصلاً، وبياناً

هادياً لا يترك منفذاً لاختلاف الآراء وتدخّل الاجتهادات، فقال رسول الله ﷺ: **«الخلفاء بعدي اثنا عشر، كلّهم من قريش»**.

إذن فقد اجتمعت الأُمّة على وجوب الإمامة، ثمّ اجتمعت على أنّ الخلفاء بعد النّبيّ ﷺ اثنى عشر خليفة، كلّهم من قريش، ثمّ اتّفقوا على تسمية عليّ عليه السلام في نصوص عديدة، وإن تأوّلها بعضهم على خلاف ظاهرها، ثمّ اتّفقوا أخيراً على النّصّ النّبويّ الصّريح الّذي ختم على الأمر كلّه، وزاده ظهوراً وتحديداً لم يدع فيه مجالاً للشكّ والتردّد، ألا وهو حديث الثّقلين الّذي نصّه: **«ألا أيّها النّاس، إنّما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربّي فأُجيب، وأنا تارك فيكم الثقلين ـ ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي ـ أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله، حبل ممدود من السّماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»**.

وزاد في رواية مسلم وغيره: **«أُذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي»**.

أمّا الصّحاح الواردة من طرق الإماميّة في ذكر الأئمّة الاثني عشر بعدّتهم وأسمائهم فهي كثيرة.

٢ ـ الاستقامة وسلامة النّشأة: إنّ ضرورة الاستقامة والطهر

وسلامة النّشأة في الإمام هي تماماً كضرورتها في النّبيّ بلا فارق، فالإمام هو القائم مقام النّبي، الشّاغل لفراغه، المؤتمن على رسالته، والمؤدّي لدوره في حماية الشّريعة وإقامة حدودها، فلا بدّ أن يكون له من النّزاهة والطهر ما كان للنبيّ ليكون مؤهّلاً لخلافته. ولا خلاف في أنّ ذلك كان لعليّ عليه السلام دون سائر الصّحابة، فهو النّاشئ في حجر النّبيّ صلى الله عليه وآله، والملازم له ملازمة الظّلّ لصاحبه، فلا هو فارق النّبيّ، ولا ظلاله فارقت ظلاله، وتلك منزلة لم يشاركه فيها أحد حتّى ولد الحسنان عليهما السلام، فكان حظّهما حظّ أبيهما، حتّى خصّهم الله تعالى بآية التّطهير، فقال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[1]، واتّفق المسلمون على أنّه مع نزول هذه الآية الكريمة دعا النّبيّ صلى الله عليه وآله عليّاً وفاطمة والحسن والحسين، وجلّل عليهم بكساء، ثمّ قال: **اللّهمّ هؤلاء أهلي فأذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً**، ومثل هذا يقال مع أولادهم الأئمّة الأطهار عليهم السلام، فلا أحد يشكّ في أنّهم الأطهر مولداً، والأصحّ نشأة، والأقوم خلقاً، تفرّدوا بالمنزلة الأعلى، والمقام الأسنى، فلا يدانيهم فيه سواهم، ولا زعم أحد منازعتهم عليه، والشّهادة لهم بذلك قائمة مرّ العصور حتّى على

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٣.

ألسنة خصومهم، فهم إذن المؤهّلون للإمامة دون سواهم.

قال الإمام عليّ عليه السلام: «**لا يقاس بآل محمّد صلى الله عليه وآله من هذه الأُمّة أحد، ولا يسوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدّين، وعماد اليقين، إليهم يفيء الغالي، وبهم يلحق التّالي، ولهم خصائص حقّ الولاية، وفيهم الوصيّة والوراثة**».

وقال عليه السلام: «**إنّ الأئمّة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولاة من غيرهم**».

٣ ـ السبق في العلم والحكمة: هذه أيضاً ضرورة لازمة في الإمام لأجل أن يكون أهلاً لهذه المنزلة، وكفوءاً لهذه المسؤولية، وقطباً تلتفّ حوله النّاس وتطمئّن إلى سبقه في العلم والحكمة والمعرفة، وقدرته الفائقة في مواجهة ما تبتلى به الأُمّة والدّولة، فلا يحتاج إلى غيره ممّن هم محتاجون إلى إمام يهديهم ويثبّتهم. وهذه خصلة أشدّ ما تكون ظهوراً في عليّ وأولاده المعصومين عليهم السلام، فكما كان هو عليه السلام مرجعاً لأهل زمانه من خلفاء وغيرهم، يرجعون إليه في كلّ معضلة، ويلجأون إليه في كلّ مأزق، وأمرهم في ذلك مشتهر، وقد تكرّر قول عمر بن الخطّاب: لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن. وقوله: لولا عليّ لهلك عمر.

ولم يكن فضله على عمر بأكثر منه على الآخرين، وليس عمر بأوّل من أقرّ له بفضله، فقد أقرّ له الجميع في غير موضع ومناسبة، وأجمل كلّ ذلك قول ابن عبّاس: والله لقد أُعطي عليّ بن أبي طالب تسعة أعشار العلم، وايم الله، لقد شارككم في العشر العاشر.

ذلك واحد النّاس، فلم تعرف النّاس أحداً غيره قال: «سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيء إلّا أخبرتكم». وهكذا كان شأن الأئمّة من ولده عليهم السلام أعلم أهل زمانهم، وأرجحهم كفّةً بلا خلاف، فقد علموا بدقائق ما كان عند النّاس، وزادوا عليهم بخصائص علمهم الموروث من جدّهم المصطفى وأبيهم المرتضى.

وقد شاع قول أبي حنيفة في الإمام الصّادق عليه السلام: لم أرَ أفقه من جعفر بن محمّد الصّادق، وإنّه لأعلم النّاس باختلاف النّاس. ولم يكن الإمام الصّادق بأعلم من أبيه عليه السلام، بل علمه علم أبيه. وعلم الأئمّة من بنيه علمه. قال أبو حنيفة: دخلت المدينة، فرأيت أبا عبدالله الصّادق، فسلّمت عليه، وخرجت من عنده، فرأيت ابنه موسى في دهليز وهو صغير السّنّ، فقلت له: أين يحدث الغريب إذا كان عندكم وأراد ذلك؟ فنظر إليّ ثمّ قال: «يتجنّب شطوط الأنهار، ومساقط الثّمار، وأفنية الدّور والطّرق النّافذة، والمساجد، ولا يستقبل القبلة

ولا يستدبرها، ويرفع ويضع بعد ذلك حيث شاء»، قال: فلمّا سمعت هذا القول منه نبل في عيني، وعظم في قلبي، فقلت: جعلت فداك، ممّن المعصية؟ فنظر إليّ ثمّ قال: «اجلس حتّى أُخبرك»، فجلست. فقال: «إنّ المعصية لابدّ أن تكون من العبد أو من ربّه، أو منهما جميعاً، فإن كانت من الله تعالى فهو أعدل وأنصف من أن يظلم عبده ويأخذه بما لم يفعله، وإن كانت منهما فهو شريكه، والقويّ أَوْلى بإنصاف عبده الضعيف، وإن كانت من العبد فعليه وقع الأمر، وإليه توجّه النّهي، وله حقّ الثّواب والعقاب، ووجبت الجنّة والنّار».

فلمّا سمعت ذلك قلت: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

وقد نظم كلامه عليه السلام هذا شعراً، فقيل:

لم تخل أفعالنا اللّاتي نذمّ لها	إحدى ثلاث خلال حين نأتيها
إمّا تفرّد بارينا بصنعتها	فيسقط اللّوم عنّا حين ننشيها
أو كان يشركنا فيها فيلحقه	ما سوف يلحقنا من لائم فيها
أو لم يكن لالهي في جنايتها	ذنب، فماالذّنب إلّا ذنب جانيها

(١) سورة آل عمران: ٣٤.

سيعلمون إذا الميزان شال بهم   أهم جنوها ، أم الرّحمن جانيها ؟

وهكذا كانوا عليهم السلام ، لم يعرف عن أحدهم أنّه تلكّأ يوماً في مسألة ، أو أفحمه أحد في حجّة ، بل كان سبقهم نوعاً من الإعجاز ، وأظهر ما يكون ذلك مع الإمام محمّد الجواد الّذي أُوتي العلم والحكمة صبيّاً . وسبق علماء عصره ومتكلّميهم وشهدوا له بالفضل والتقدّم والعلوّ وتأدّبوا في مجلسه ولم يبلغ التّاسعة من العمر .

قال الشّيخ المفيد : عن المعلّى بن محمّد ، قال : خرج عليّ أبو جعفر عليه السلام حدثان موت أبيه ، فنظرت إلى قدّه لأصف قامته لأصحابنا ، فقعد ، ثمّ قال : « يا معلّى ، إنّ الله تعالى احتجّ في الإمامة بمثل ما احتجّ به في النّبوّة ، فقال : ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً ﴾ [1] » .

٤ ـ أحاديثهم وآثارهم : إنّ الاستدلال على الإمام من حديثه وآثاره استدلال صحيح ، فسلوك المدّعي وحديثه خير شاهد على حقيقة دعواه وجوهرها ، وهو شاهد أيضاً على صدق دعواه عندما ترافقه القرائن والدّلائل الأُخرى ، وإلّا فلا تعدّ وحدها دليلاً كافياً على إمامته . ومن أراد معرفة ذلك عن أئمّة الهدى عليهم السلام فإنّه يجده ظاهراً

---

(١) سورة مريم : ١٢ .

ظهور النّهار في أحاديثهم الشّريفة، معدن الهداية، وسبل النّجاة، دعاة إلى الحقّ، هداة إليه بالقول والعمل. فما على الباحث إلّا أن يتوخّى ما صحّ عنهم من الحديث والأثر ليجد ذلك بيّناً بلا عناء.

ولا بدّ من الإشارة هنا إلى مسألة هي في غاية الأهمّية، فقد قلنا إنّ على الباحث أن يتوخّى ما صحّ عنهم عليهم السلام، ونؤكّد هذا الكلام ونقول: إنّ عليه أن يحذر ما اختلط بحديثهم من أباطيل الوضّاعين، فقد كثرت الكذّابة عليهم كما كثرت على رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد فصّل الإمام الرّضا عليه السلام القول في ذلك أجمل تفصيل وأدقّه، وهو يقول: **«إنّ مخالفينا وضعوا أخباراً في فضائلنا، وجعلوها على أقسام ثلاثة: أحدها: الغلوّ، وثانيها: التّقصير في أمرنا، وثالثها: التّصريح بمثالب أعدائنا، فإذا سمع النّاس الغلوّ فينا كفّروا شيعتنا ونسبوهم إلى القول بربوبيّتنا، وإذا سمعوا التّقصير اعتقدوه فينا، وإذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنا، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[1]».**

(١) سورة الأنعام: ١٠٨.

٥ ـ نصّ الإمام السّابق: تقدّم أنّ نصّ النّبيّ كان خير شاهد على نبوّة النّبيّ اللّاحق له، ومثل هذا يقال مع الإمام، بل هو واضح مع الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام، ملازم لهم جميعاً، فقد ثبت النصّ من كلّ إمام إلى الإمام اللّاحق بالطرق الصّحيحة والكثيرة الّتي كانت سبباً في اطمئنان أتباعهم وأشياعهم. وهنا ينبغي التّنبيه إلى أنّ هذه النّصوص لابدّ أن تكون منسجمة مع نصوص النّبيّ صلى الله عليه وآله في موضوع الإمامة، من قبيل: (حديث الثقلين) «كتاب الله وعترتي»، وحديث: «الخلفاء من بعدي اثنا عشر، كلّهم من قريش»، فما جاء مخالفاً لهذا فهو مردود لمخالفته نصّ النّبيّ صلى الله عليه وآله، ومن هنا صحّت النّصوص عنهم عليهم السلام وبطلت عن غيرهم، فلااعتبار لمن عرف بولاية العهد الّتي يعهد بها الخليفة إلى ابنه أو أخيه، كما هو شأن الخلفاء الأمويّين والعبّاسيّين لمخالفتها لنصوص النّبيّ صلى الله عليه وآله المتقدّمة وغيرها.

أضف إلى ذلك أنّ أحداً منهم لم يصل إلى الخلافة بالطريق المشروع الّذي يقرّه الإسلام ليكون من حقّه أو يوصي لمن بعده، فولاية العهد تلك إنّما هي من قبيل تبادل الشّيء المغصوب، فلاأثر لهذا التّبادل يرجى منه رفع الغصبية، بل على العكس، فهو تكريس لها وإصرار عليها.

هذه هي أهمّ الفوارق بين عهود الأئمّة عليهم السلام وعهود الملوك، بغضّ النّظر عن كون الأئمّة عليهم السلام إنّما يعهدون بعهد من رسول الله صلى الله عليه وآله لا من عند أنفسهم.

٦ـ النّسب الرّفيع: إنّ الإمامة ـ مقام النّبوّة ـ لا يصلح لها إلّا ذو نسب وشرف رفيع كالنبيّ بلا فارق. وهذه مزية أئمّة أهل البيت عليهم السلام دون سواهم، بلا خلاف ولا نزاع، بل لا يدانيهم فيه حتّى بني عمومتهم.

روى الخطيب في تاريخه: أنّ هارون الرّشيد حجّ مرّة ومعه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، فأتى قبر النّبيّ صلى الله عليه وآله وحوله قريش وشيوخ القبائل، فقال: السّلام عليك يا رسول الله، يابن عمّي، افتخاراً على من حوله، فدنا موسى بن جعفر عليه السلام فقال: «**السّلام عليك يا رسول الله، يا أبت**». فتغيّر وجه هارون، وقال: هذا الفخر ـ يا أبا الحسن ـ حقّاً.

٧ـ المعجزة: لقد أخّرنا هذه النّقطة ـ الّتي كانت ثاني دلائل النّبوّة ـ إلى هذا المحلّ لاتّصالها بموضوع هذا الكتاب، فالمعجزة الّتي كانت تظهر على أيدي الأنبياء تصديقاً لهم، هي ضرورية أيضاً لتصديق دعوى الإمام، كيف لا وقد أظهر الله المعجزات لمن هو أدنى من

الإمام تصديقاً لدعواه المرضيّة عند الله ؟

ومثال ذلك ما ظهر لمريم العذراء عليها السلام تبرئة لساحتها، وما كان لأصحاب الكهف، وكلّ ذلك في القرآن مسطور.

وخلاصة القول في المعجزات يمكن إيجازه بما يلي:

أ ـ إذا كان يصعب التّصديق بالمعجزات، أو بعضها، فلأنّ أصل المعجزة هو كونها خارقة للعادة، مخالفة للمألوف، وإنّما يشترط في قبولها شهرتها أو صحّة إسنادها، فمتى ثبتت نسبتها إليهم عليهم السلام بالطرق المعتبرة والموثّقة فليس هناك ما يمنع قبولها، ولم يبق مبرّر للشكّ فيها بعد أن عرفنا عظيم منزلتهم، وصحّة نسبة الخبر إليهم.

كيف ونحن نرى ونصدّق الكثير من خوارق العادات الّتي تظهر لعباد صالحين هم أدنى بكثير من مراتب الإمامة ؟

ب ـ إنّ الإيمان بإمامة الأئمّة لا يصحّ أن ينحصر في النظر إلى معجزاتهم وكراماتهم، كما لا يصحّ إثبات نبوّة موسى عليه السلام بقلب العصا ثعباناً، أو نبوّة عيسى عليه السلام بخلق الطّير من الطّين، ما لم تجتمع القرائن الأُخرى الّتي تجعل ظهور المعجزة زيادة في ظهور صدقه ليس إلّا. وإلّا فإنّ خوارق العادات قد تجري على أيدي الكثيرين من طرق وفنون وحيل كثيرة، ولكن ما أن تُعرض أصحابها على تلك الشّرائط

والقرائن والدّلائل المتقدّمة حتّى تجد حظوظهم منها حظوظ الفقراء إن لم يكونوا عراة منها على الإطلاق.

ج ـ ليس المطلوب منّا عند الإيمان بمعجزاتهم أن نجعلها كلّ شيء في اعتقادنا وسلوكنا وثقافتنا، إنّما المطلوب هو الإيمان بهم وبحقيقة إمامتهم؛ لأجل اتّباعهم، والاقتداء بهم، والاهتداء بهديهم. ولم تأتِ المعاجز الّتي أتحفهم بها الله تعالى إلاّ خدمة لذلك الغرض، فهي ليست غاية في ذاتها، وإنّما هي شاهد واحد فقط يقوّي الدّوافع إلى اتّباعهم في نفوس النّاس.

د ـ إنّ الغرض من المعجزة هو أن تتمّ بها الحجّة، ويتوقّف عليها التّصديق، وأمّا ما خرج عن هذا فلا يجب على الله إظهاره، ولا تجب على النّبيّ أو الإمام الإجابة إليه، ولو كان على سبيل التّحدي.

هـ ـ إنّ إقامة المعجزة ليست أمراً اختيارياً للنبيّ أو الإمام، وإنّما ذلك بيد الله يظهره متى شاء واقتضت حكمته.

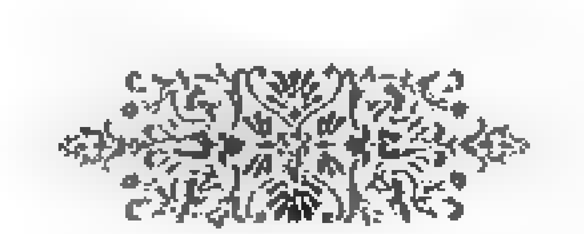
وهذا شيخ الطّائفة الطّوسي ﵀ بعدما أورد جملة من أخبار الفريقين في الإمامة بعد رسول الله ﷺ قال: «فهذا طرف من الأخبار قد أوردناها، ولو شرعنا في إيراد ما من جهة الخاصّة في هذا المعنى لطال به الكتاب، وإنّما أوردنا ما أوردنا منها ليصحّ ما قلناه من نقل

الطّائفتين المختلفتين، ومن أراد الوقوف على ذلك فعليه بالكتب المصنّفة في ذلك، فإنّه يجد من ذلك شيئاً كثيراً حسب ما قلناه».

ثمّ أردف قائلاً: «فإن قيل: دلّوا أوّلاً على صحّة هذه الأخبار فإنّها أخبار آحاد لا يعوّل عليها فيما طريقه العلم، وهذه مسألة علميّة، ثمّ دلّوا على أنّ المعنيّ بها من تذهبون إلى إمامته، فإنّ الأخبار الّتي رويتموها عن مخالفيكم وأكثر ما رويتموها من جهة الخاصّة، إذا سلمت، فليس فيها صحّة ما تذهبون إليه؛ لأنّها تتضمّن العدد فحسب، ولا تتضمّن غير ذلك، فمن أين لكم أنّ أئمّتكم هم المرادون بها دون غيرهم؟

قلنا: أمّا الّذي يدلّ على صحّتها فإنّ الشّيعة الإماميّة يروونها على وجه التّواتر خلفاً عن سلف، وطريقة تصحيح ذلك موجودة في كتب الإماميّة...» إلى أنّه قال ﷺ: «والطريقة واحدة، وأيضاً فإنّ نقل الطّائفتين المختلفتين المتباينتين في الاعتقاد يدلّ على صحّة ما قد اتّفقوا على نقله؛ لأنّ العادة جارية أنّ كلّ من اعتقد مذهباً، وكان الطّريق إلى صحّة ذلك النّقل، فإنّ دواعيه تتوفّر إلى نقله، وتتوافر دواعي من خالفه إلى إبطال ما نقله، أو الطّعن عليه، والإنكار لروايته، بذلك جرت العادات في مدائح الرّجال وذمّهم وتعظيمهم والنقص منهم.

ومتى رأينا الفرقة المخالفة لهذه الفرقة قد نقلت مثل نقلها ولم تتعرّض للطعن على نقله، ولم تنكر متضمّن الخبر دلّ ذلك على أنّ الله تعالى قد تولّى نقله وسخّرهم لروايته، وذلك دليل على صحّة ما تضمّنه الخبر، وأمّا الدّليل على أنّ المراد والمعنيّ بها الإثنى عشر إماماً، وأنّهم لا يزيدون ولا ينقصون، ثبت ما ذهبنا إليه؛ لأنّ الأُمّة بين قائلين: قائل يعتبر العدد الّذي ذكرناه فهو يقول: إنّ المراد بها من يذهب إلى إمامته، ومن خالف في إمامتهم لا يعتبر هذا العدد، فالقول مع اعتبار العدد، أنّ المراد غيرهم خروج عن الإجماع، وما أدّى إلى ذلك وجب القول بفساده»[1]، انتهى كلامه رفع مقامه.



---

(١) الغيبة للطوسي: ١٥٦.

الدّرس السّابع

ما يجب الاعتقاد به / ٥

٣ ـ الإمامة



ولله درّ القاضي النّعمان وعليه أجره حيث قال ﷺ في الإمامة:

«وقد اختلف القائلون في تثبيت الإمامة فيها، فزعمت العامّة أنّ النّاس يقيمون لأنفسهم إماماً يختارونه ويولونه، كما زعموا أنّ أصحاب رسول الله ﷺ قد اختاروا لأنفسهم من قدّموه بعده، واختلفوا في صفة من يجب عليهم أن يقدّموه، والسّبب الّذي استحقّ به التقدمة، وأنكروا أن يكون رسول الله ﷺ قدّم عليهم أحداً سمّاه لهم يقوم بالإمامة من بعده، وقالت طائفة منهم: أشار إليه ولم يسمّه، قالوا: وهو أبو بكر قدّمه للصلاة وهي مقرونة بالزكاة، فوجب أن تعطى الزّكاة من قدّم على الصلاة، فهذا قول جمهور العامّة، وقالوا:

من وليّ وجبت طاعته ولو كان حبشيّاً، ولا يرون الخروج عليه وإن عمل بالمعاصي.

وقالت المرجئة: على النّاس أن يولّوا عليهم رجلاً ممّن يرون أنّ له فضلاً وعلماً، ويجهدوا فيه رأيهم، وعليه أن يحكم بالكتاب والسّنّة، وما لم يجده فيما اجتهد فيه رأيه، قالوا: وطاعته تجب على النّاس ما أطاع الله، فإذا عصى الله فلا طاعة له عليهم، ووجب القيام وخلعه والاستبدال به.

وقالت المعتزلة: لم يقدّم رسول الله ﷺ أحداً بعينه ولا أشار إليه، ولكنّه أمر النّاس أن يختاروا بعده رجلاً يولّونه على أنفسهم، فاختاروا أبا بكر.

وقالت الخوارج: لم ندر ولم يبلغنا أنّ النّبيّ ﷺ أمر في ذلك بشيء، ولا أنّه لم يأمر، ولا أشار ولا لم يشر، ولكن لا بدّ من إمام يقيم الحدود وينفّذ الأحكام فنقيمه علينا.

فنقول بتوفيق الله وعونه لمن زعم أنّ رسول الله ﷺ لم يقدّم أحداً، وهم جميع من حكينا قوله: قولكم هذا غير جائز قبوله بإجماع منّا ومنكم ومن جميع المسلمين؛ لأنّه قد أجمعوا أنّ النّافي للشيء ليس بشاهد فيه، وإنّما الشّاهد من أثبت شيئاً شهد أنّه كان، فأنتم نفيتم

أن يكون رسول الله ﷺ استخلف أحداً على أُمّته أو نصب إماماً للأُمّة من بعده، فلم تشهدوا بشيء، وإنّما نفيتم شيئاً أنكرتموه، ومن شهد بذلك فهو أولى بالقبول، وأوجب أن يكون شاهداً منكم؛ لأنّكم وجميع الأُمّة تقولون في رجلين، قال أحدهما: سمعت فلاناً قال كذا، أو رأيته يفعل كذا، ويقول الآخر: لم أسمعه قال ذلك، ولا رأيته فعل ذلك، إنّ الشّاهد بالرؤية والسّماع هو الشّاهد المأخوذ بشهادته، ومن قال لم أسمع ولم أرَ ليس بشاهد، ولا يبطل قوله قول من شهد بالسمع والعيان، وقد ذكرنا ما كان من قيام رسول الله ﷺ بولاية عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه يوم غدير خم، وقد رويتم معنا ذلك، وإنّ ذلك من آكد بيعة وأوجب ما يوجب الإمامة مع كثير ممّا ذكرناه، وكثير قد اختصرنا ذكره اكتفاء بما بيّناه. ولو كانت الإمامة كما زعمتم إنّما تكون باختيار النّاس لكان رسول الله ﷺ قد جمعهم وأمرهم أن يختاروا لأنفسهم إماماً، وكيف للنّاس أن يجتمعوا جميعاً على اختيار رجل واحد منهم على اختلاف آرائهم ومذاهبهم وأهوائهم. وما كان في أكثر النّاس من الحسد من بعضهم لبعض. ولو كان هذا لا يكون إلّا بإجماع النّاس على رجل واحد لم يجتمعوا عليه أبداً، وما اجمع من حضر بالمدينة على أبي بكر، قد قالت الأنصار ما قالت، وامتنع من بيعته جماعة من أكابر أصحاب

رسول الله ﷺ ، حتّى كان من أمرهم ما كان ، فضلاً عمّن غاب من أهل الآفاق والبلدان ، وإن قلتم : وإنّ الرّأي والأمر في ذلك لقوم دون قوم ، فأخبرونا من له ذلك دون من ليس له ، بحجّة من كتاب أو سنّة أو إجماع ؟ ولن يجدوا ذلك ، وإذا كان النّاس هم الّذين يقدّمون الإمام ، فالإمام مأمور عن أمرهم ، ولم يكن يملك شيئاً حتّى ملّكوه إيّاه ، فهم الأئمّة على ظاهر هذا المعنى ، وهو عامل من عمّالهم ، ولهم إذاً عزله ، كما قالت المرجئة ، وفساد هذا القول أبين من أن يستدلّ عليه ببرهان .

وقولهم : إنّهم يفعلون ما لم يأمر به رسول الله ﷺ ولم يفعله ، إقرار منهم بالبدعة ، وهم يقولون : إنّ الإمامة من دين الله ، وقد أخبر الله عزّ وجلّ في كتابه أنّه أكمل دينه ، وبيّنّا فيما تقدّم أنّ ذلك إنّما كان نزل عندما قام رسول الله ﷺ بولاية عليّ صلوات الله عليه ، فكيف يقرّون بأنّ الله عزّ وجلّ أكمل دينه ولم يبيّن فيه أمر الإمامة الّتي هي على إقرارهم منه ؟ أو هل كان الله عزّ وجلّ قال ذلك ولم يكمل دينه حتّى أكملوه هم ، أو كان رسول الله ﷺ عاجزاً وقصّر عن تبيان ما افترض الله عزّ وجلّ بيانه فبيّنوه ؟ وهذا من أقبح ما انتحلوه ، وأعظم ما تجرّؤا به على الله عزّ وجلّ وعلى رسوله ﷺ .

ونقول لمن زعم أنّ رسول الله ﷺ أشار إلى أبي بكر فقدّموه بتلك الإشارة: وأنتم مقرّون بأنّ الإمامة من دين الله عزّ وجلّ، فهل يجوز عندكم تغيير شيء من دين الله عزّ وجلّ أو تبديله، فمن قولهم: لا، فيقال: فإن كان فرض الإمامة أن ينصب الإمام بالإشارة، وكان النّبيّ ﷺ أشار بها كما قلتم إلى أبي بكر، فكيف صنع أبو بكر بعمر، وعمر بعثمان؟ فمن قولهم إنّ أبا بكر نصّ على عمر، وإنّ عمر جعل الأمر شورى بين ستّة، وقدّم صهيباً على الصلاة، وهذا خلاف لفعل رسول الله ﷺ في دين الله، وقد أمر الله عزّ وجلّ باتّباعه ونهى عن مخالفته بقوله تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾[1]، وفعل عمر خلاف لفعل أبي بكر، وقد غيّرا بإقرارهم دين الله، وبدّلا حكمه، وخالفا رسوله، وصهيب على قولهم أحقّ من عثمان بالإمامة؛ إذ كان عمر قد قدّمه على الصلاة، وهم يزعمون أنّ رسول الله ﷺ قدّم أبا بكر على الصلاة، فبذلك استحقّ عندهم الإمامة، ولم يكن ذلك، ولكنّا نقول لمن ادّعى الإشارة بالصلاة: أنتم أحرى بأن لا تحتجّوا بهذا؛ لأنّكم تزعمون أنّ الصلاة جائزة خلف كلّ برّ وفاجر، وتروون في ذلك أخباراً تحتجّون بها على من خالفكم

---

(١) سورة الحشر: ٧.

في ذلك ، وأنتم مقرّون أنّ رسول الله ﷺ استعمل عمرو بن العاص على غزوة ذات السّلاسل ومعه أبو بكر وعمر ، وكان يؤمّهما في الصلاة وغيرها ، وهما تحت رايته ، ومقرّون بأنّه لم يستعمل أحداً على عليّ صلوات الله عليه قطّ ، ولا أمره بالصلاة خلفه ، وإنّ هذه الصّلاة الّتي تدّعون أنّ رسول الله أمر أبا بكر بها لم يكن عليّ حضرها ، وكان عليّ -على قولكم- مع رسول الله ﷺ وصلّى بصلاته ، فهو على دعواكم أوْلى بالفضل ممّن قدّمتموه . وكذلك تقرّون أنّ رسول الله أمّر على أبي بكر وعمر أُسامة بن زيد ، وقبض ﷺ وهما تحت رايته وهو أمير عليهما وإمامهما في صلاتهما ، وكان آخر ما أوصى به صلّى الله عليه وعلى آله أنّه قال: نفذوا جيش أُسامة ، لعن الله من تخلّف عنه . وأُسامة يومئذٍ قد برز ، فقعدا عنه فيمن قعد ، وأُسامة وعمرو بن العاص -على قولكم- أوْلى بالإمامة منهما ؛ إذ قدّما في الصلاة عليهما ، وتقرّون أنّ عمر لمّا جعل الأمر شورى بين ستّة أقام صهيباً للصلاة ، فلم يستحقّ بذلك الإمامة عندكم ، مع أنّ أمر الصّلاة الّتي ادّعيتموها لم يثبت عندكم لما جاء فيها من الاضطراب في النقل والأخبار واختلافها ، وأنّها كلّها عن عائشة بنت أبي بكر ، وأنتم تقولون: إنّ من اختلف عنه في حديث كان كمن لم يأتِ عنه شيء ، ورددتم شهادة علي لفاطمة صلوات الله عليها ، فكيف تجيزون شهادة عائشة لأبيها

لو قد ثبت عنها ذلك ؟ وكيف وهو لم يثبت أنّه أمره بالصلاة إلاّ عن عائشة ،علم رسول الله ﷺ ذلك خرج فأخّره وصلّى بالناس.

وأمّا قول المرجئة أنّهم يولون الإمام فإذا جار عزلوه ، فهم أشبه على قولهم هذا بأن يكونوا أئمّة كما قلنا ، فإذا كان لهم أن يولّوا فلهم قالوا أن يعزلوا ، وهذا قول من لا يعبأ بقوله ، وقد ذكرنا فساده فيما قدّمناه. وأمّا قول المعتزلة أنّ رسول الله ﷺ أمر النّاس أن يختاروا فهو قول يخالف السنّة ، وقد ذكرنا فعله ﷺ بغدير خم في عليّ عليه أفضل السّلام ، ووصفنا ما يدخل على من زعم أنّ للنّاس ان يختاروا ، ولن يأمر الله عزّ وجلّ ولا رسوله ﷺ بأمر يعلم أنّه لا يتمّ ولا يكون ، ولا يفترض الله طاعة من يجعل اختياره إلى من أوجب عليه طاعته ، ويجعل عزله إليه ، ويقيمه منتقداً عليه ، ولو جاز للنّاس أن يقيموا إماماً لجاز لهم أن يقيموا نبيّاً ؛ لأنّ الله عزّ وجلّ قرن طاعة الأئمّة بطاعة الأنبياء وجعلهم الحكّام في أُممهم بعدهم بمثل ما كان الأنبياء يحكمون به فيهم.

وأمّا قول الخوارج أنّها لا تعلم ما كان من رسول الله ﷺ ، فليس قول من لم يعلم بحجّة على من قد علم ، وعلى من لم يعلم أن يطلب العلم ممّن يعلم ، وإن هم لو سألونا : كيف يكون عقد الإمامة ؟

قلنا لهم بما لا يدفعه أحد ولا من غيركم: إنّها بالنصّ والتّوقيف الّذي لا تدخل على القائل به حجّة، ولا تلزمه معه لخصمه علّة. وقد ذكرنا توقيف رسول الله ﷺ النّاس عى إمامة عليّ صلوات الله عليه ونصبه إيّاه، وكذلك فعل عليّ بالحسن، والحسن بالحسين، والحسين بعليّ بن الحسين، وعليّ بن الحسين بمحمّد بن عليّ، ومحمّد بن عليّ بجعفر بن محمّد، وكذلك من بعدهم من الأئمّة إماماً إماماً بعده، فيما رويناه عمّن قبلنا، ورأينا فيمن شاهدناه من أئمّتنا بين الرّسولين: إنّ ذلك لا يكون إلّا بنصّ وتوقيف من نبيّ إلى إمام، ومن إمام إلى إمام، ويبشّر النّبيّ بالنبيّ يأتي بعده، كما ذكر الله عزّ وجلّ في كتابه: ﴿ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[1]. ويؤدّي ذلك الأئمّة بعضهم إلى بعض، ويوقفون عليه أتباعهم إلى ظهور ذلك النّبيّ ﷺ، كما أقرّت العامة أنّ آدم ﷺ نصّ على شيث وأوصى إليه، وأنّ شيثاً نصّ على الإمام من ولده من بعده، وكذلك نصّ الأئمّة يوقف كلّ إمام على الإمام بعده، حتّى انتهى ذلك إلى نوح، ومن نوح إلى إبراهيم، ومن إبراهيم إلى موسى، ومن موسى إلى عيسى، ومن عيسى إلى محمّد ﷺ، وعلى جميع المرسلين وعلى الأئمّة الصّادقين، وقد أقرّت

---

(١) سورة الصفّ: ٦.

العامّة أنّ كلّ نبي مضى قد أوصى إلى وصيّ يقوم بأمر أُمّته من بعده، ما خلا نبيّهم محمّداً ﷺ فإنّهم أنكروا أن يكون أوصى إلى أحد، على أنّ النّاس أحوج ما كانوا إلى الأوصياء والأئمّة لارتفاع الوحي وانقطاع النّبوّة، وأنّ الله ختمها بمحمّد، وردّ أمر الأمّة إلى الأئمّة من أهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين، وتفويض أمر الخلق إلى الأئمّة إلى يوم القيامة. فهكذا نقول في النبوّة والإمامة بالتوقيف والبيان، لا كما زعمت العامّة أنّ الدّليل على الرُّسل الآيات بلا نصّ ولا بشرى ولا توقيفات، ولو تدبّروا القرآن لوجدوه يشهد بالذمّ لسائلي الآيات من أنبيائهم.

قال الله عزّ وجلّ لمحمّد نبيّه ﷺ: ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّماءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً ﴾[1].

وقال في موضع آخر: ﴿ وَقَالُوا لَن نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعاً * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهارَ خِلَالَهَا تَفْجِيراً * أَوْ تُسْقِطَ السَّماءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ

---

(١) سورة النّساء: ١٥٣.

وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلاً * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَراً رَّسُولاً ﴾[1].

وقال في موضع آخر: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِن رَّبِّهِ أَوَ لَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴾[2].

ومثل هذا كثير في القرآن. ومع ذلك أنّ الله عزّ وجلّ لا يبعث نبيّاً إلّا وهو مفترض الطّاعة، فمن لم يصدّقه ومات على تكذيبه من قبل أن يأتي بالآية مات كافراً عندهم بإجماع، ولو كان كما زعموا أنّ الدّليل على الأنبياء الآيات لم يكن على من لم يؤمن قبل الآيات حرج.

فإن قالوا: فما معنى مجيء الرُّسل بالآيات؟

قيل لهم: معنى ذلك ما قال الله عزّ وجلّ: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفاً ﴾[3]، وإنّما يبعث الله بالآيات تخويفاً لخلقه، وتأييداً

---

(١) سورة الإسراء: ٩٠ ـ ٩٣.

(٢) سورة طه: ١٣٣.

(٣) سورة الإسراء: ٥٩.

لرسله ، وتأكيداً لحججهم على من خالفهم ، وتخويفاً لهم ، كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفاً ﴾ ، وقد بعث الله تعالى نوحاً صلوات الله عليه إلى قومه وأخبر أنّه مكث يدعوهم ألف سنة إلّا خمسين عاماً ، وقد هلك في تلك المدّة قرون ممّن كذّبه على الكفر . ثمّ أخبر عزّ وجلّ أنّ آيته كانت السّفينة .

وكذلك قال عامّة النّاس ، وكانت الآية في آخر زمانه ومعها أتى العذاب إلى قومه لكفرهم به ، فأهلكهم الله عزّ وجلّ بعصيانهم ، وردّ نبوّته ، ونجّاه فيها ومن آمن معه. وقد هلك قبل ذلك أمم ممّن كذّبه وصاروا إلى النّار بكفرهم وتكذيبهم إيّاه ، ولما جاء به عن ربّه . ولو لم تكن تجب عندهم نبوّته إلّا بآية لما كان عليهم أن يؤمنوا به ، ولو لم تكن تجب عليهم إجابته لما كان له أن يدعوهم دون أن يأتيهم بآية ؛ إذ كان لا يجب عليهم تصديقه دون أن يأتي بها ولا يجب أن يدعوهم إلى ما لا يجب عليهم قبوله. وما كان الله عزّ وجلّ ليبعث نبيّاً يدعو إليه وهو غير مفترض الطّاعة ، وهذا بيّن لم تدبّره ، ووفّق لفهمه.

ولو ذكرنا ما كان ينبغي أن يدخل في هذا الباب لخرج من حدّ هذا الكتاب ، ولكنّا أثبتنا من ذلك نكتاً يفهمها ذوو الألباب ، والله الموفّق برحمته للصواب.

ذكر منازل الأئمّة صلوات الله عليهم، وأحوالهم وتبرّيهم ممّن وضعهم بغير مواضعهم وتكفيرهم من ألحد فيهم: أئمّة الهدى صلوات الله عليهم ورحمته وبركاته خلق من خلق الله جلّ جلاله، وعباد مصطفون من عباده، افترض طاعة كلّ إمام منهم على أهل عصره، وقرن طاعتهم في كتابه بطاعته وطاعة رسوله ﷺ، وهم حجج الله على خلقه، وخلفاؤه في أرضه، ليسوا كما زعم الضّالون المفترون بآلهة غير مربوبين، ولا بأنبياء مرسلين، ولا يوحى إليهم كما يوحى إلى النبيّين، ولا يعلمون الغيب الّذي حجبه الله عن خلقه، ولم يطلع أنبياءه منه إلّا على ما أطلعهم عليه، لا كما زعم المفترون فيهم، والمبطلون الكاذبون عليهم، تعالى الله جلّ ذكره ونزّه أولياءه عن مقال الملحدين وإفك المكذّبين الضّالّين المفترين.

ولمّا كان أولياء الله الأئمّة الطّاهرون، حجج الله الّتي احتجّ بها على خلقه، وأبواب رحمته الّتي فتح لعباده، وأسباب النّجاة الّتي سبب لأوليائه وأهل طاعته، ومن لا تقبل الأعمال إلّا بطاعتهم، ولا يجازى بالطاعة إلّا من تولّاهم وصدّقهم دون من عاداهم وعصاهم ونصب لهم، كان الشّيطان أشدّ عداوة لأوليائهم وأهل طاعتهم ليستزلّهم استزلّ أبويهم من قبل، فاستزّل كثيراً منهم، واستغواهم، وسوّل لهم

واستهواهم، فصاروا إلى الحور بعد الكور، وإلى الشّقوة بعد السّعادة، وإلى المعصية بعد الطّاعة، وقصد كلّ امرئ منهم من حيث يجد السّبيل إليه، والاجلاب بخيله ورجله عليه فمن كان منهم قصير العلم متخلّف الفهم، ممّن تابع هواه، استفزّه واستغواه، واستزلّه إلى الجحد لهم، والنّفاق عليهم، والخروج عن طاعتهم، والكفر بهم، والانسلاخ من معرفتهم.

ومن كان قد برع في العلم، وبلغ حدود الفهم، ولم يستطع أن يستزلّه إلى ما استزلّ به من تقدّم ذكره، استزلّه وخدعه، ودخل إليه من باب محبوبه، وموضع رغبته، ومكان بغيته، فزيّن له زخرف التّأويل، ونمّق له قول الأباطيل، وأغراه بالفكرة في تعظيم شأنهم، ورفيع مكانهم، وقرّب منه الوسائل، وأكّد له الدّلائل على أنّهم غير مربوبين، أو أنبياء مرسلون، أمكنه من ذلك ما أمكنه فيه، وتهيّأ له منه تجرّأ به عليه، ودخل إلى طبقة ثالثة من مدخل الشّبهات باستثقال الفرائض والموجبات، فأباح لهم المحارم، وسهّل عليهم العظائم في رفض فرائض الدّين والخروج من جملة المسلمين الموحّدين، بفاسد ما أقامه لهم من التّأويل، ودلّهم عليه بأسوء دليل، فصاروا إلى الشّقوة والخسران، وانسلخوا من جملة أهل الدّين والإيمان، نسأل الله العصمة من الزّيغ، والخروج من الدّنيا سالمين غير ناكثين،

ولا مارقين، ولا مبدّلين، ولا مغضوب علينا، ولا ضالّين.

وقد روينا عن أبي عبدالله جعفر بن محمّد صلوات الله عليه أنّ رجلاً من أصحابه شكا إليه ما يلقون من النّاس، فقال: يابن رسول الله، ماذا نحن فيه من أذى النّاس، ومطالبتهم لنا، وبغضهم إيّانا، وطعنهم علينا، كأنّا لسنا عندهم من المسلمين؟ فقال له أبو عبدالله عليه السلام: «أو ما تحمدون الله على ذلك وتشكرونه، إنّ الشّيطان لمّا يئس منكم أن تطيعوه في خلع ولايتنا الّتي يعلم أنّ الله عزّ وجلّ لا يقبل عمل عامل خلعها، أغرى النّاس بكم حسداً لكم عليها، فاحمدوا الله على ما وهب لكم من العصمة، وإذا تعاظمكم ما تلقون من النّاس، ففكّروا في هذا وانظروا إلى ما لقينا نحن من المحن، ونلقى منهم، وما لقي أولياء الله ورسوله من قبلنا، فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن أعظم الناس امتحاناً وبلاء في الدّنيا، فقال: الأنبياء، ثمّ الأوصياء، ثمّ الأئمّة، ثمّ المؤمنون، الأوّل فالأوّل. والأفضل فالأفضل، وإنّما أعطانا الله وإيّاكم، ورضي لنا ولكم صفو عيش الآخرة، ثمّ قال صلى الله عليه وآله: الدّنيا سجن المؤمن، وجنّة الكافر، وما أعطى الله عبداً مؤمناً حظّاً من الدّنيا إلّا مشوباً بتكدير لئلا يكون ذلك حظّه من ثواب الله عزّ وجلّ».

فأمّا ذكر من ضلّ وهلك من أهل هذا الأمر فكثير، يطول ويخرج

عن حدّ هذا الكتاب ، ولكن لا بدّ من ذكر نكت من ذلك كما شرطنا ، فمن ذلك ما روينا عن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه أنّ قوماً من أصحابه ، وممّن كان قد بايعه وتولّاه ودان بإمامته ، مرقوا عنه ونكثوا عليه ، وقسطوا فيه ، فقاتلهم أجمعين ، فهزم النّاكثين ، وقتل المارقين ، وجاهد القاسطين ، وقتلهم وتبرّءوا منه وبرئ منهم ، وإنّ قوماً غلوا فيه لما استدعاهم الشّيطان بدواعيه ، فقالوا: هو النّبيّ ، وإنّما غلط جبرئيل به ، وإليه كان أُرسل فأتى محمّداً ﷺ ، فيا لها من عقول ناقصة ، وأنفس خاسرة ، وآراء واهية ، ولو أنّ أحدهم بعث رسولاً بصاع من تمر إلى رجل فأعطاه غيره لما استجاز فعله ، ولعوّض المرسل إليه مكانه أو استردّه إليه ممّن قبضه ، فكيف يظنّون مثل هذا الظنّ الفاسد بربّ العالمين ، وبجبرئيل الرّوح الأمين ، وهو ينزل أيّام حياة رسول الله ﷺ بالوحي إليه ، وبالقرآن الّذي أُنزل عليه ، ثمّ يقولون هذا القول العظيم ، ويفترون مثل هذا الافتراء المبين ، بما سوّل لهم الشّيطان ، وزيّن لهم من البهتان والعدوان ، وأتاه صلوات الله عليه قوم غلوا فيه ممّن قدّمنا وصفهم ، واستزلال الشّيطان إيّاهم ، فقالوا: أنت إلهنا وخالقنا ورازقنا ، ومنك مبدؤنا ، وإليك معادنا ، فتغيّر وجهه صلوات الله عليه وارفضّ عرقاً وارتعد كالسعفة تعظماً لجلال الله عزّ جلاله وخوفاً منه ، وثار مغضباً ونادى بمن حوله

وأمرهم بحفير فحضر، وقال: لأُشبعنّك اليوم لحماً وشحماً، فلمّا علموا أنّه قاتلهم، قالوا: لئن قتلتنا فأنت تحيينا، فاستتابهم، فأصرّوا على ما هم عليه، فأمر بضرب أعناقهم، وأضرم ناراً في ذلك الحفير فأحرقهم فيه، وقال صلوات الله عليه: لمّا رأيت أمراً منكراً أضرمت ناري ودعوت قنبراً، وهذا من مشهور الأخبار عنه ﷺ، وكان في أعصار الأئمّة من ولده مثل ذلك ما يطول الخبر بذكرهم، كالمغيرة بن سعيد لعنه الله، وكان من أصحاب أبي جعفر محمّد بن عليّ صلوات الله عليه ودعاته، فاستزلّه الشّيطان فكفر وادّعى النّبوّة، وزعم أنّه يحيي الموتى، وزعم أنّ أبا جعفر صلوات الله عليه وآله إله، تعالى الله ربّ العالمين، وزعم أنّه بعثه رسولاً وتابعه على قوله كثير من أصحابه سمّوا المغيريّة باسمه، وبلغ ذلك أبا جعفر محمّد بن عليّ صلوات الله عليه ولم يكن له سلطان كما كان لعليّ فيقتلهم كما قتل عليّ صلوات الله عليه الّذين ألحدوا فيه، فلعن أبو جعفر صلوات الله عليه المغيرة وأصحابه، وتبرّأ منه ومن قوله ومن أصحابه، وكتب إلى جماعة أوليائه وشيعته، وأمرهم برفضهم والبراءة إلى الله منهم، ولعنه ولعنهم، ففعلوا، فسمّاهم المغيرية الرّافضة لرفضهم إيّاه، وقبولهم ما قال المغيرة لعنه الله. وكانت بينه وبينهم وبين أصحابه مناظرة وخصومة واحتجاج، يطول ذكرها، واستحلّ المغيرة وأصحابه

المحارم كلّها وأباحوها، وعطّلوا الشّرائع وتركوها، وانسلخوا من الإسلام جملة، وبانوا من جميع شيعة الحقّ كافّة وأتباع الأئمّة، وأشهر أبو جعفر محمّد بن عليّ صلوات الله عليه لعنهم والبراءة منهم.

ثمّ كان أبو الخطّاب في عصر جعفر بن محمّد صلوات الله عليه من أجلّ دعاته، فأصابه ما أصاب المغيرة، فكفر وادّعى أيضاً النّبوّة، وزعم أنّ جعفر بن محمّد صلوات الله عليه إلٰه، تعالى الله عن قوله، واستحلّ المحارم كلّها، ورخّص فيها، وكان أصحابه كلّما ثقل عليهم أداء فريضة أتوه وقالوا: يا أبا الخطّاب، خفّف علينا. فيأمرهم بتركها، حتّى تركوا جميع الفرائض، واستحلّوا جميع المحارم، وارتكبوا المحظورات، وأباح لهم أن يشهد بعضهم لبعض بالزور. وقال: من عرف الإمام فقد حلّ له كلّ شيء كان حرّم عليه، فبلغ أمره جعفر بن محمّد عليه السلام فلم يقدر عليه بأكثر من أن لعنه وتبرّأ منه، وجمع أصحابه فعرّفهم ذلك، وكتب إلى البلدان بالبراءة منه، واللّعنة عليه، وكان ذلك أكثر ما أمكنه فيه، وعظم ذلك على أبي عبدالله جعفر بن محمّد صلوات الله عليه واستفظعه واستهاله.

قال المفضّل بن عمرو: دخلت يوماً على أبي عبدالله جعفر بن محمّد صلوات الله عليه فرأيته مقارباً منقبضاً مستعبراً، فقلت له: ما لك، جعلت فداك؟ فقال: «سبحان الله وتعالى الله عمّا يقول الظّالمون

علوّاً كبيراً. أي مفضّل، زعم هذا الكذّاب الكافر أنّي أنا الله، فسبحان الله، ولا إلـه إلّا هو ربّي وربّ آبائي، هو الّذي خلقنا وأعطانا وخوّلنا، فنحن أعلام الهدى، والحجّة العظمى، اُخرج إلى هؤلاء - يعني أصحاب أبي الخطّاب - فقل لهم: إنّا مخلوقون، وعباد مربوبون، ولكنّ لنا من ربّنا منزلة لم ينزلها أحد غيرنا، ولا تصلح إلّا لنا، ونحن نور من نور الله، وشيعتنا منّا، وسائر من خالفنا من الخلق فهو في النّار، نحن جيران الله غداً في داره، فمن قبل منّا وأطاعنا فهو في الجنّة، ومن أطاع الكافر الكذّاب فهو في النّار».

روينا عن جعفر بن محمّد صلوات الله عليه أنّ سديراً الصّيرفي سأله فقال له: جعلت فداك، إنّ شيعتكم اختلفت فيكم فأكثرت، حتّى قال بعضهم: إنّ الإمام ينكت في أُذنه، وقال آخرون: يوحى إليه، وقال آخرون: يقذف في قلبه، وقال آخرون: يرى في منامه، وقال آخرون: إنّما يفتي بكتب آبائه، فبأي قولهم آخذ جعلت فداك؟

فقال: «لا تأخذ بشيء من قولهم. يا سدير، نحن حجّة الله وأُمناؤه على خلقه، حلالنا من كتاب الله، وحرامنا منه».



الدّرس الثّامن

ما يجب الاعتقاد به /٦

٣ ـ الإمامة



وقال الشّيخ المفيد أعلى الله درجته في الإفصاح:

«فإن قالوا: ما أنكرتم أن يكون العقد لأبي بكر وعمر الإمامة، وتقدّمهما على الكافّة في الرّئاسة، يدلّ على فضلهما في الإسلام، وعلوّهما في الدّيانة، وإن كنّا لا نحيط علماً بذلك الفضل، ولم يتّصل بنا من جهة الأثر والنّقل؛ وذلك أنّهما لم يكونا من أشرف القوم نسباً، فيدعو ذلك إلى تقديمهما؛ لأنّ بني عبدمناف أشرف منهما. ولا كانا من أكثرهم مالاً فيطمع العاقدون لهما في نيل أموالهما. ولا كانا أعزّهم عشيرة فيخافون عشيرتهما، فلم يبق إلّا أنّ المقدّمين لهما على أمير المؤمنين عليه السلام والعبّاس بن عبدالمطّلب وسائر المهاجرين والأنصار،

إنّما قدّموهما لفضل عرفوه لهما ، وإلّا فما السّبب الموجب لاتباع العقلاء المخلصين لأمرهما ، ونصبهما إمامين لجماعتهم ورئيسين لكافّتهم لولا الّذي ادّعيناه ؟ قيل لهم: لو كان للرجلين فضل حسب ما ادّعيتموه ، وكان ذلك معروفاً عند أهل زمانهما كما ذكرتموه ، لوجب أن تأتي به الأخبار ، وترويه نقلة السّير والآثار ، بل وجب أن يظهر على حدّ يوجب علم اليقين والاضطرار ، ويزيل الرّيب فيه حتّى لا يختلف في صحّته اثنان؛ لأنّ جميع الدّواعي إلى انتشار فضائل الرّجال متوفّرة في نقل ما كان لهذين الرّجلين ممّا يقتضي التّعظيم لمن وجد لهما ، والإخبار بها.

ألا ترى أنّهما كانا أميري النّاس ، وحصلت لهما القدرة على الكافّة والسلطان ، وكان المظهر لولايتهما في زمانهما ومن بعد إلى هذه الحال هو الظّاهر على عدوّه ، المتوصّل به إلى ما يصلح به الأحوال . والمظهر لعداوتهما مهدور الدم ، أو خائف مطرود عن البلاد ، والمظنون به من الافصاح ببغضهما مبعد عن الدّنيا ، مستخفّ باعتقاده عند الجمهور ، متوقّع منهم ما يخافه ويحذره ، حتّى صار القتل مسنوناً لمن أظهر ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ، وإن كان مظهراً لمحبّة أبي بكر وعمر ، متديّناً بها على الاعتقاد ، وحتّى جعل بنو أُميّة الامتحان بالبراءة من أمير المؤمنين عليه السلام طريقاً إلى استبراء النّاس في اعتقاد إمامة من تقدّمه .

وكلّ من امتنع من البراءة حكموا عليه بعداوة الشّيخين ، والبراءة من عثمان ، ومن تبرّأ من أمير المؤمنين عليه السلام حكموا له باعتقاد السّنّة ، وولاية أبي بكر وعمر وعثمان. ونال أكثر أهل الدّنيا ممّا تمنّوه منها من القضاء والشّهادات والامارات ، وحازوا الأموال ، وقربت منازلهم من خلفاء بني أُميّة وبني العبّاس بالعصبية لأبي بكر وعمر وعثمان ، والدّعاء إلى إمامتهم ، والتفضيل لهم على كافّة الصّحابة ، والتخرّص بما يضيفونه إليهم من الفضل الّذي يمنع بالقرآن ، وينفى بالسنّة ، ويستحيل في العقول ، ويظهر فساده بيسير الاعتبار.

وإذا كان الأمر على ما وصفناه ، ولم يمكن لعاقل رفع ما بيّناه وشرحناه ، بطل أن يكون العلم بفضل الرّجلين والثّالث أيضاً على الحدّ الّذي ذكرناه ، ممّا يزول معه الارتياب لتوفير الدّواعي على موجبه لو كان ، بل لم يقدر الخصم على ادّعاء شيء في هذا الباب أقوى عنده ممّا حكيناه عنهم فيما سلف من هذا الكتاب ، وأوضحنا عن وهن التّعلّق به وكشفناه ، وبان بذلك جهل النّاصبة فيما ادّعوه لهما من الفضل المجهول على ما توهّموه ، كما وضح به فساد مقالهم فيما تعلّقوا به من ذلك في تأويل المسطور ، وتخرّصوه من الخبر المفتعل الموضوع ، والمنّة لله تعالى.

فصل: ثمّ يقال لهم: قد سبرنا أحوال المتقدّمين على أمير

المؤمنين عليه السلام فيما يقتضي لهم فضلاً يوجب تقدّمهم، فلم نجده على شيء من الوجوه؛ وذلك أنّ خصال الفضل معروفة، ووجوهه ظاهرة مشهورة، وهي: السّبق إلى الإسلام، والجهاد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، والعلم بالدّين، والإنفاق في سبيل الله جلّ اسمه، والزّهد في الدّنيا.

أمّا السّبق إلى الإسلام: فقد تقدّم أمير المؤمنين عليه السلام أبا بكر باتّفاق العلماء وإجماع الفقهاء، وإن كان بعض أعدائه يزعم أنّه لم يكن على يقين، وإنّما كان منه لصغر سنّه على جهة التّعليم، وقد تقدّمه أيضاً بعد أمير المؤمنين عليه السلام زيد وجعفر وخباب (رضي الله عنهم) وغيرهم من المهاجرين، وجاء بذلك التّبت في الحديث.

فروى سالم بن أبي الجعد، عن محمّد بن سعد بن أبي وقّاص أنّه قال لأبيه سعد: كان أبو بكر أوّلكم إسلاماً؟ قال: لا، قد أسلم قبله أكثر من خمسين رجلاً. فأمّا عمر بن الخطّاب وعثمان بن عفّان، فإنّه لا يشتبه على أحد من أهل العلم أنّهما ينزلان عن مرتبة التقدّم على السّابقين، وأنّهما لم يكونا من الأوّلين في الإسلام، وقد تقدّمهما جماعة من المسلمين.

قال الحاكم النّيسابوري في معرفة علوم الحديث: ٢٢: «لا أعلم خلافاً بين أصحاب التّواريخ أنّ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أوّلهم إسلاماً».

وحديث أنّ عليّاً ﷺ أوّلهم إسلاماً مروي في مصادر معتبرة كثيرة، وبطرق ومتون شتّى[1].

وأمّا الجهاد: فإنّه لاقِدم لأحدهم فيه، فلايمكن لعاقل دعوى ذلك على شيء من الوجوه وقد ذكر من كان منه ذلك سواهم، فلم يذكرهم أحد، ولا تجاسر على القول بارزوا وقتاً من الأوقات قرناً. ولا سفكوا لمشرك دماً، ولا جرحوا في الحرب كافراً، ولا نازلوا من القوم إنساناً، فالريب في هذا الباب معدوم، والعلم بما ذكرناه حاصل موجود.

وأمّا العلم بالدّين: فقد ظهر من عجزهم فيه، ونقصهم عن مرتبة أهل العلم في الضّرورة إلى غيرهم من الفقهاء، أحوال إماراتهم ما أغنى عن نصب الدّلائل عليه. وقد كان رسول الله ﷺ حكم لجماعة من أصحابه بأحكام فيه، فما حكم لأحد من الثلاثة بشيء منه، فقال ﷺ: «**أقرأكم أُبيّ، وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ، وأفرضكم زيد، وأقضاكم عليّ**»، فكان ﷺ ناحلاً لكلّ من سمّيناه سهماً من

---

(١) فرواه التّرمذي في صحيحه: ٥/٦٤٠، ح٣٧٢٨، والحاكم في مستدركه على الصّحيحين: ٣/١٣٦، ١٨٣، ٤٦٥، وأبو نعيم في حلية الأولياء: ١/٦٥، ٦٦، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: ٢/١٨ و: ٤/٢٣٣.

العلم، وجامعاً سائره لأمير المؤمنين ﷺ، بما حكم به بالقضاء الّذي يحتاج صاحبه إلى جميع من سمّاه من العلوم. وأخرج أبا بكر وعمر وعثمان من ذلك كلّه، ولم يجعل لهم فيه حظّاً كما ذكرناه، وهذا ممّا لا إشكال فيه على ذوي العقول.

وأمّا الإنفاق: فقد قلنا فيما تقدّم فيه قولاً يغني عن إعادته هاهنا، وعمر بن الخطّاب من بين الثّلاثة صفر منه بالاتّفاق، أمّا عثمان فقد كان له ذلك، وإن كان بلا فضل، فإن خلوّ القرآن من مديح له على ما كان منه، دليل على أنّه لا فضل له فيه، ولو حصل له به قسط من الفضل لكان كسهم غيره من المنفقين الّذين لم يجب لهم التقدّم بذلك في إمامة المسلمين.

وأمّا الزّهد في الدّنيا: فقد قضى بتعرية الثّلاثة منه مثابرتهم على الامارة، ومضاربتهم الأنصار على الرّئاسة، ومسابقتهم إلى الحلية في التّظاهر باسم الإمامة، وتركوا رسول الله ﷺ مسجّى بين أظهرهم، لم يقضوا له بذلك في مصابه حقّاً، ولا حضروا له غسلاً، وتجهيزاً، ولا صلاة، ولا تشييعاً، ولا دفناً، وتوّفروا على مخاصمة من سبقهم إلى السّقيفة طمعاً في العاجل، وزهداً في الآجل، وسعياً في حوز الشّهوات، وتناولاً للّذّات، وتطاولاً على النّاس بالرّئاسات،

ولم يخرجها الأوّل منهم عن نفسه حتّى أيقن بهلاكه، فجعلها حينئذٍ في صاحبه ضناً بها على سائر النّاس، وغبطة لهم.

وكان من أمر الثّاني في الشّورى ما أوجب تحقّقه بها بعد وفاته. وتحمّل من أوزارها ما كان غنياً عنه لو سنحت بها نفسه إلى مستحقّها، وظهر بعده من الثّالث ما استحلّ به أصحاب رسول الله ﷺ دمه، من إطراح الدّين، والانقطاع إلى الدّنيا. وقضاء الذمامات بأموال الله تبارك وتعالى، وتقليد الفجّار من بني... الخ»[1].

ولقد أجاد حامد الحنفي داود في معرض الدّفاع عن المذهب الجعفري والردّ على أحمد أمين وأضرابه حين قال:

«لتركبُنّ سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتّى لو أنّ أحدكم دخل حجر ضبّ لدخلتم...» إلى آخر الحديث، فكلّ ما مرّت به الأمم السّابقة تمرّ به أمّة سيّد الأنبياء، ولكأنّها ـ على حدّ تعبير إخواننا علماء النّفس ـ تلخيص للأطوار السّابقة الّتي مرّت بها الأمم، ونحن لانعجب من خطأ حدث من عالم يدّعي العلم كعجبي

---

(١) الإفصاح: ٢٢٩ ـ ٢٣٤.

من هذه الأخطاء السّاذجة الّتي وقع فيها أحمد أمين فأساء فيها إلى العلم وإلى تلاميذه، وكان سبباً مباشراً في الدّعوة إلى الفرقة والتّحاسد، والتّباغض، والكيد لوحدة الأُمّة في وقت نحن فيه في أشدّ الحاجة إلى توحيد الصّفّ وبذل الجهود للاعتصام بهذا الدّين القيّم الّذي لم يأته الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

إنّ الإماميّة مذهب من المذاهب الفقهيّة، وهو أحد المذاهب الثّمانية الّتي يعتبرها المنهج العلمي الحديث من المذاهب المعتدلة، وهي: الحنفيّة، والمالكيّة، والشّافعيّة، والحنبليّة، والجعفريّة (الإماميّة)، والظّاهريّة، والاباضيّة، والزّيديّة، وهي في نفس الوقت باعتبار انتسابها إلى الإمام جعفر الصّادق ـ تعتبر أُولى المذاهب الفقهيّة؛ لأنّ أبا حنيفة ومالك كانا تلميذين للإمام الصّادق، وكان أبو حنيفة كثيراً ما يقول: لولا السّنّتان لهلك النّعمان، هذا الخطأ الّذي وقع فيه أحمد أمين يذكّرني وأنا أكتب هذا التّصدير بلقاء جمع بيني وبين العالم المجتهد أحمد شاكر في بيته ـ وقد كان بشارع المقريزي بمنشية الكبرى، وكنت أهديت إليه كتابي: (مع أحمد أمين)، ثمّ دار حوار بيني وبينه حول كتابات أحمد أمين في فجر الإسلام، فما كان من جواب العلّامة أحمد شاكر إلّا أن نطق بكلمة: أُمّي، كلمة واحدة رمز بها الشّيخ

الجليل إلى كلّ شيء ونوّه بها عن كلّ شيء يتّصل بقلم: أحمد أمين، ويصوّر في نفس الوقت ضئالة شخصيّته العلميّة في نفوس مجتهدي المذاهب الفقهيّة، وأحمد شاكر وما أحمد شاكر، وهو على مستوى من المسؤولية العلميّة بمكان عظيم، سمعته أكثر من مرّة وأنا أُحاوره في مذهبه الفقهي الّذي يقلّده أو يراه موضعاً للتقليد، فكان ﷺ يأبى إلّا أن يصوّر نفسه في درجة من الاجتهاد، وهي أقرب إلى درجة (المجتهد المطلق) منه إلى درجة (مجتهد المذهب) الّتي عرف بها رجال الطبقة الثّانية من الفقهاء، ومهما يكن من أمر فإنّ حكم الشّيخ أحمد شاكر على (أحمد أمين) حكم له خطره في نظر ـ المنهج العلمي الحديث ـ، وهو في نظرنا ثاني اثنين ختم بهما علم الجرح والتّعديل؛ أوّلهما: أُستاذنا الشّيخ محمّد زاهد الكوثري وكيل مشيخة الإسلام في تركيا. ونزيل القاهرة، وقد كانت له مع أحمد أمين مواقف يذكرها له التّشريع الإسلامي بالإجلال والإكبار حين كان يرصد قلمه للذبّ عن الشّريعة، وكان ﷺ من الغيرة على الفقه الإسلامي والمعرفة بمواضع الخلاف بين الفقهاء في الوضع الّذي يحلّه مكان المجتهدين في فقه أبي حنيفة، وقد كان هذان العالمان من النّفر القليل العارفين برجال المذاهب الفقهيّة المعدلين من هو أهل التّعديل، في الوقت الّذي فيه

يعملان جاهدين على إحقاق الحقّ، وإبطال الباطل، وليس أدلّ على رسوخهما في الاجتهاد من قراءتهما الواسعة فيما جاء في المذهب الجعفري من أحكام، ولعلّنا نلحظ هذا الأثر واضحاً ولا سيّما كتابات: أحمد شاكر واطّلاعه على أقوال فقهاء الإماميّة، وكتابه (نظام الطّلاق في الإسلام) أكبر شاهد عمّا نقول.

وآخر القضايا المهمّة غمس فيها أحمد أمين يده هي قضيّة الإمامة، وهي من أكبر القضايا الّتي ميّزت المذهب الإمامي الجعفري عن المذاهب الأُخرى، فإذا قال الإماميّة بأفضلية عليّ على أبي بكر وعمر، فإنّ هذا القول لا يعدّ ـ كما يعتقد جهلاء الأُمّة ـ فسقاً أو ضلالاً أو خروجاً على الشّريعة، وإنّما هي مسألة اجتهادية لم يفطن لها أحمد أمين صورتها العلمية الدّقيقة، والإماميّة في هذا القول مجتهدون لهم رأيهم ولهم نصوصهم من القرآن والسّنّة وفي مقدّمة هذه الحجج الّتي يرونها موضع التّفضيل وسبباً مشروعاً في أحقّيّة التّقديم في الخلافة آية التّطهير: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[1] وآية المباهلة: ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٣.

وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[1] إلى عشرات الآيات الّتي لا داعي للاسترسال فيها إيثاراً للإيجاز في هذا التّصدير.

أمّا الأحاديث الدّالّة على أفضلية (عليّ) وتقديمه على الشّيخين في العلم والجهاد والمقاضاة بين الأُمّة، والزّهد في الدّنيا فهناك يتجاوز المائة حديث وأشهرها حديث المؤاخاة، وحديث المنزلة، وحديث الكساء، وحديث غدير خم، وهو نصّ جليّ في إمامته بعد النّبيّ ﷺ، فهذه المسألة هي موضع الخلاف الوحيد بين الإماميّة وغيرهم من المذاهب الفقهيّة، وقد كانت نظرة أحمد أمين فيها نظرة سطحيّة لم يشبع فيها بحثه في (فجر الإسلام) وظنّ أنّها من شواذ قضاياهم، مع أنّها محلّ نظر عند الرّاسخين في العلم من السّنّة والشّيعة، فالسّنّة رأوا لا بأس من الاجتهاد مع وجود النّصّ في المسائل المتعلّقة بالسياسة والحكم بخلاف العبادات، حين تدعو الظّروف الواقعيّة المجبرة لذلك لعلل لا محلّ لسردها في هذه العجالة والشّيعة يرون أنّه لا اجتهاد مع النّصّ، وأنّ الإمامة ليست من الشّورى، بل هي بنصّ صريح من

(١) آل عمران: ٦١.

النّبيّ ﷺ، والنّبيّ أمر بتبليغها من قِبل الحقّ سبحانه في قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ ﴾[1]، والحقّ أنّنا لا نستطيع أن نسفّه أحلام هؤلاء، ولا هؤلاء، لسببين جوهريّين:

الأوّل: أنّ صاحب الحقّ وهو عليّ ﷺ وأرضاه آثر الابقاء على وحدة الأُمّة على حقّه المشروع في الخلافة حتّى لا يتزعزع ركن الإسلام وتطل الفتنة من بين الصفوف فتقطع الحرث والنّسل.

الثاني: أنّ مخالفة النّصّ في نظر الشّيعة على الرغم ممّا في ظاهره من هضم لحقّ (عليّ) فإنّه لم يحدث صدعاً في وحدة الأُمّة للسبب الأوّل الّذي أشرنا إليه، والدّليل القطعي على ذلك أنّ الله أثنى على أُمّة نبيّه وهو يعلم ما سيحدث من اختلاف وفتن فيها بقوله: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾[2]، وقول النّبيّ ﷺ: «لا تجتمع أُمّتي على ضلالة» وإذعان (عليّ) والصّفوة المخلصون من شيعته، وفيهم العبّاس وسلمان الفارسي والزّبير للواقع الّذي حدث بعد السّقيفة كان إجهازاً على القطيعة، وبتراً للخلاف في

---

(١) المائدة: ٦٧.

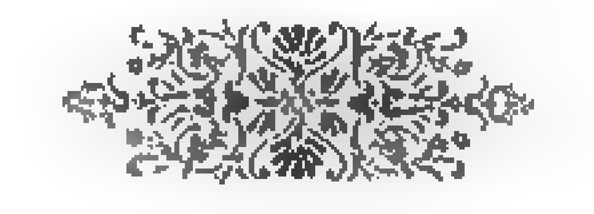
(٢) آل عمران: ١١٠.

الدّنيا، وإن كان ذلك في نظر ـ المنهج العلمي الحديث ـ لا يمنع من الحساب والسؤال عن جزئيّات هذه الأحداث وكلّياتها في الآخرة بين يدي الله تعالى، ولكنّ أكثر الباحثين يعجزون عن تدبّر أعماق هذه القضيّة الكبرى وبتر فلسفتها بين الشّريعة والحقيقة، فكان منهم: من قصر نظرته على الجانب الواقعي فيها، وهم: أهل السنّة، ومنهم: من استولت على تفكيره النّظرة المثالية في فهمها، وهو: الشّيعة. وقد حاول الإمامان الجليلان عبدالحسين شرف الدّين، والشّيخ محمّد سليم البشري في كتاب (المراجعات) توضيح نقطة الخلاف، ولكنّ (أحمد أمين) لم يطّلع على شيء من هذه التفاصيل العلميّة، وأحدث بسبب ما أورده في (فجر الإسلام) صدعاً بين شقّي هذه الأمّة، وما كان أغناه عن غمس يده في هذه القضايا فأساء إلى نفسه كأستاذ باحث، وأساء إلى وحدة المسلمين بعد أن غمّ عليه الأمر حين أساء تطبيق المناهج العلميّة وسخر بفكره المستشرقون الّذين لا يعنيهم إلّا الدّسّ للإسلام وصاحب الرّسالة»[1].

وقد نقلت هذه المقاطع من كتب الأعلام وهي غيض من فيض؛

(١) نظرات في الكتب الخالدة لحامد حنفي داود: ١٨١ ـ ١٨٧.

ليقف القارئ الكريم على أهمّيّة الإمامة وهذه الحقيقة الضّائعة ؛ وذلك لعظيم ارتباط البحث عن الإمامة بالبحث عن الإمام المهدي صلوات الله عليه ، ولشدّة ما بين البحثين من العلقة والوئام ؛ إذ لو أثبتنا الإمامة على طريقة الإماميّة فقد أثبتنا إمامته أرواحنا فداه بالملازمة القطعيّة .



الدّرس التّاسع

ما يجب الاعتقاد به / ٧

التّقيّة

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ (التّقيّة فريضة واجبة علينا في دولة الظّالمين ، فمن تركها فقد خالف دين الإماميّة وفارقه ، وقال الصّادق عليه السلام : « لو قلت إنّ تارك التّقيّة كتارك الصّلاة لكنت صادقاً »[١].

٢ ـ (والتّقيّة في كلّ شيء) أي تجب في كلّ شيء (حتّى يبلغ الدّم ، فإذا بلغ الدّم فلا تقيّة) : إذ لا يجوز قتل البريء وإراقة دم المظلوم لا سيّما إن كان مؤمناً ، مطلقاً ، فلا معنى للتقيّة حينئذٍ ، (وقد أطلق الله جلّ اسمه إظهار موالاة الكافرين في حال التّقيّة فقال جلّ من قائل :

---

(١) الوسائل : ٢١١/١٦.

الدّرس التّاسع

﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾[١].

وروي عن الصّادق عليه السلام أنّه سئل عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[٢]، قال: «أعلمكم بالتّقيّة»[٣].

وقال عليه السلام: «خالطوا النّاس بالبرّانيّة، وخالفوهم بالجوّانيّة ما دامت الإمرة صبيانيّة»[٤].

وقال عليه السلام: «رحم الله امرءاً حبّبنا إلى النّاس، ولم يبغّضنا إليهم»[٥].

وقال عليه السلام: «عودوا مرضاهم، واشهدوا جنائزهم، وصلّوا في مساجدهم»[٦].

وقال عليه السلام: «من صلّى معهم في الصفّ الأوّل فكأنّما صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وآله في الصفّ الأوّل»[٧].

---

(١) سورة آل عمران: ٢٨.

(٢) سورة الحجرات: ١٣.

(٣) الاعتقادات: ١٠٨.

(٤) الكافي: ٢/٢٢٠.

(٥) الكافي: ٨/٢٢٩.

(٦) الكافي: ٢/٢١٩.

(٧) الكافي: ٣/٣٨٠.

وقال عليه السلام: «الرّياء مع المنافق في داره عبادة، ومع المؤمن شرك»[1].

٣ ـ (والتقيّة واجبة لا يجوز تركها إلى أن يخرج القائم عليه السلام، فمن تركها فقد دخل في نهي الله عزّ وجلّ ونهي رسوله والأئمّة صلوات الله عليهم).

الإسلام والإيمان

١ ـ (الإسلام هو الإقرار بالشهادتين، وهو الّذي يحقن به الدّماء والأموال، ومن قال: «لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله» فقد حقن ماله ودمه إلّا بحقّيهما) وأمّا الحقّان اللّذان في الدّماء فهما القتل بالارتداد، والقصاص بالقتل، وأمّا في الأموال فهما الخمس والزّكاة.

(وعلى الله حسابه) يوم القيامة إن كان صادقاً في شهادتيه أم لا؟ أو في أن يعاقبه أو يعفو عنه.

٢ ـ (والإيمان هو الإقرار باللّسان، وعقد بالقلب، وعمل بالجوارح).

(١) الاعتقادات: ١٠٩.

٣ ـ (**وأنّه يزيد**) أي الإيمان (**بالأعمال**) ويزيد العمل كلّما زاد الإيمان لما بينهما من التلازم.

٤ ـ (**وينقص**) الإيمان (**بتركها**) أي بترك الأعمال ، والعكس بالعكس أي ينقص العمل بنقصان الإيمان.

٥ ـ (**وكلّ مؤمن مسلم ، وليس كلّ مسلم مؤمن ، ومَثَلُ ذلك مَثَلُ الكعبة**) المشرّفة (**والمسجد**) الحرام (**فمن دخل الكعبة فقد دخل المسجد ، وليس كلّ من دخل المسجد دخل الكعبة**).

٦ ـ (**وقد فرّق الله عزّ وجلّ في كتابه بين الإسلام والإيمان ، فقال :** ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾[1]).

٧ ـ (**وقد بيّن الله عزّ وجلّ أنّ الإيمان قول وعمل بقوله :** ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً ﴾[2]). وأمّا قوله عزّ وجلّ : ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِن

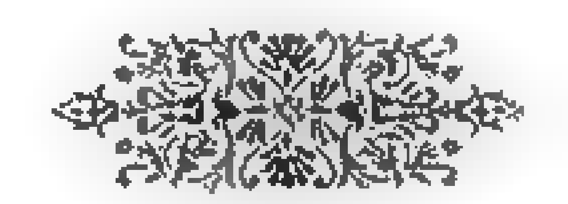
---

(١) سورة الحجرات : ١٤.

(٢) سورة الأنفال : ٢ ـ ٤.

الْمُسْلِمِينَ ﴾[1]، فليس ذلك بخلاف ما ذكرنا؛ لأنّ المؤمن يسمّى مسلماً، والمسلم لا يسمّى مؤمناً حتّى يأتي مع إقراره بعمل).

(وأمّا قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[2]، فقد سُئل الصّادق عليه السلام عن ذلك، فقال: « هو الإسلام الّذي فيه الإيمان »[3]).



(١) سورة الذّاريات: ٣٥ و ٣٦.

(٢) سورة آل عمران: ٨٥.

(٣) الخصال: ٦٠٩.

الدّرس العاشر

الإمام المهدي عليه السلام وحياته الاجتماعية

بسم الله الرحمن الرحيم

من أهمّ الأحداث التأريخيّة والحقائق الاجتماعيّة المتأصّلة المتجذّرة في عمق التفكّر الإسلامي والعقيدة الإسلاميّة، والمرتكزة ارتكازاً فطريّاً عقائديّاً في نفوس المسلمين هو الاعتقاد الجازم الّذي لا يزلزله تشكيك المشكّكين، ولا تضعضعه إلقاءات المعاندين، أعني الاعتقاد بالمهديّ المنتظر صلوات الله وسلامه عليه، وعليه استقرّ نظر الأُمّة، وأطبقت على أنّه من ضروريّات الدّين الإسلامي الحنيف. ولهذا لم يبالِ أحد من علماء الإسلام ولا من جماهير المسلمين بمحاولة الشّاذّ النّادر، ممّن لا يُلتفت إليه ولا يُعَوّلُ عليه، وقد سلكوا سبيل التّشكيك والإنكار، بل ردّوا عليهم الصّاع صاعين؛ لأنّه لا سبيل إلى الإعراض عن هذا الكمّ الهائل من الأخبار والرّوايات الّتي امتلأت

بها بطون كتب الحديث والسُّنّة النّبويّة الشّريفة حتّى بلغت حدّ التّواتر بل تجاوزته، بالإضافة إلى كثرة التّطرّق إليه في كتب التّأريخ، والتفسير والكلام، ولم يكن هذا نهاية المطاف؛ إذ كتب علماؤهم عن المهديّ المنتظر -أرواحنا فداه- كتباً قيّمة وتصنيفات مستقلّة على وجه الخصوص والتّخصّص، تلقّوا فيها الأدلّة العقليّة والنقليّة بالبحث والتّحقيق والتّدقيق، وبالنّقض والإبرام، كما جرت سيرتهم على التّعرّض له -عليه الصّلاة والسّلام- في خطاباتهم ومحاوراتهم ومجالسهم ومحافلهم، هذا في أصل وجوده وحقيقته عليه السلام.

إلّا أنّ أمره -روحي فداه- لأهمّيته القصوى حيث أنّه الإمام المفترض الطّاعة وقطب دائرة الإمكان، وحجّة الله على الخلق، ومن جهة كونه وليّ النّعمة وصاحب الولاية التّشريعيّة والتّكوينيّة، وأنّه المدّخر المؤمّل المرتجى في إحياء معالم الدّين من الكتاب والسّنّة. والمنقذ على الإطلاق، لهذه الأسباب وتلك كان لزاماً علينا عقلاً، وواجباً علينا شرعاً أن نجتهد غاية الاجتهاد في معرفته كي نحيا لأجله ونموت لأجله، ونُصبح بذكره ونُمسي بذكره؛ لأنّها العبوديّة لله تعالى بمفهومها الأتمّ، وهي حقّ العبوديّة، ولهذا يستحبّ الدّعاء التالي بعد كلّ فريضة يوميّة:

« اللَّهُمَّ عَرِّفْني نَفْسَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْني نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِفْ رَسُولَكَ ، اللَّهُمَّ عَرِّفْني رَسُولَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْني رَسُولَكَ لَمْ أَعْرِفْ حُجَّتَكَ ، اللَّهُمَّ عَرِّفْني حُجَّتَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْني حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِيني »[١].

فمن هذا المنطلق وإيماناً منّي بأنّ معرفة الإمام صلوات الله وسلامه عليه من معرفة النّبيّ صلى الله عليه وآله ، ومعرفة النبيّ صلى الله عليه وآله من معرفة الله جلّ وعلا ، وأنّ الإيمان بالله تعالى وتقدّس وبرسوله صلى الله عليه وآله يستلزم الإيمان بالإمام عليه الصّلاة والسّلام ، بل لا يتمّ الإيمان بهما إلّا بالإيمان به عليه السلام ، ولا يُقبل عملٌ إلّا بهذا الإيمان ، والإيمان به عليه السلام فرع معرفته ، لهذا وذاك ولكي أُضيءَ سِجِلَّ أعمالي الخاوي من الحسنات وعمل الخير ، ببيان شيءٍ يسير ، بقاعدة « لا يسقط الميسور بالمعسور » ، وفي حدود طاقتي ووسعي ، والكتابة عنه عليه السلام وعمّا يتعلّق به وبحياته الشريفة ، وأُدوّن اسمي إن شاء الله تعالى في جملة الدّاعين إليه والمهتمّين بشأنه أرواحنا فداه عمدتُ إلى البحث والتّحقيق في حياته الشّريفة وجوانب عديدة ممّا يتعلّق بشؤونه الخاصّة والعامّة ، على نحو البرهنة والاستدلال والقطع واليقين تارة ، وعلى نحو الظّنّ والظّنّ المتاخم للعلم ـ أي الاطمئنان ـ تارة أُخرى ، وعلى نحو الاحتمال المحض تارة

---

(١) بحار الأنوار : ٥٣/١٨٧.

ثالثة، وبادرت إلى تدوينه رجاء طباعته ونشره ليكون شمعة وبصيص نورٍ يهتدي به أهل البصر والبصيرة، وينتفع به محبّوه وعشّاقه ومنتظروه.

وكيف كان فهو محاولة متواضعة من جرمٍ صغير، وذرّة من عالم الوجود الإمكاني في الكشف عن بعض ما يتعلّق بقطب دائرة الإمكان ومن به الوجود، وأنّى لحقير مثلي أن يدّعي الكمال في عمله هذا؛ إذ «كلّ إناءٍ بالّذي فيه ينضح»، و«فاقد الشّيء لا يُعطيه»، وعملاً بالقاعدة المنطقيّة: «المعرِّف يجب أن يكون أجلى من المعرَّف» أُقرّ إقرار العبد الجاهل القاصر المقصّر أنّ محاولتي المتواضعة هذه دون شأن هذا الإمام الهمام، والبطل الضّرغام، ولا هي دالّة بالمطابقة عليه روحي له الفداء إلّا تجوّزاً وتسامحاً، ومن جهة أنّ للمعلول الّذي وجوده ربط محض بعلّته، وعين الرّبط بعلّته، ليس له من كمال علّته إلّا بمقدار تعلّقه بها ورابطيّته لها، ولو لم يكن للمعلول من كمال علّته سوى أنّه عين الرّبط بعلّته، ووجوده وبقاؤه به، لكفاه ذلك فخراً، فهي بضاعة مزجاة وأحقر من جناح البعوض إذا قيس إلى عالم الملك والملكوت.

﴿ يا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا

الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾[1].

البحث في ولادة الإمام الحجّة المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف وحياته عليه السلام والاعتقاد بهما أعظم وأهمّ من مجرّد البحث في أصل التّصديق به والاعتقاد بأنّه سيولد ويخرج في آخر الزّمان ـ كما هو الحال عند أبناء العامّة والجماعة ـ إذ تترتّب على الاعتقاد بوجوده وحياته وأنّه مولودٌ حيٌّ يرزق وشأنه شأن الأنبياء عليهم السلام في حياتهم العرفيّة الظاهريّة والاجتماعيّة ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴾[2] آثارٌ على نفوس المعتقدين بها والمؤمنين لها بالقطع واليقين، وهي آثار إيجابيّة بنّاءة مربّية:

فمنها: أنّ المعتقد بحياة الإمام أرواحنا فداه وبأنّه يعيش في جوارنا، وقد يطأ فرشنا، ويحضر مجالسنا، ويشاركنا فرحنا، ويحزن لحزننا، ويراقب أعمالنا عن كثَبٍ، ويطّلع علينا بل وعلى ضمائرنا وأسرارنا، وتُعرض عليه أعمالنا ـ كما يبدو على نحو الإجمال ـ كلّ يومٍ و ـ كما يبدو على وجه التفصيل ـ كلّ عام مرّةً واحدة ليلة القدر، وأنّه مشغول بدعائنا والاستغفار لنا، ونحن مشمولون لألطافه العامّة

---

(1) سورة يوسف: ٨٨.

(2) سورة الأنبياء: ٨.

وعناياته الخاصّة، إنّ الاعتقاد بهذه الحقيقة بل هذه الحقائق تملؤنا أملاً وتضفي علينا ثوب الرّجاء، وتحفّزنا إلى العمل الصّالح الدؤوب.

ومنها: أنّ الاعتقاد بحياة الإمام المتّصف بهذه الأوصاف يصدّنا ويحجزنا عن الظّلم والاعتداء وارتكاب الجرائم والمنكرات.

ومنها: أنّه يمنعنا أيضاً من الرضوخ للظّلم والاستسلام للظّالم ومن اليأس والجزع عند اشتداد المكاره.

ومنها: أنّه يدفعنا ويحرّضنا نحو التّهذيب، ومراقبة النفس وحسابها، لئلّا يرى منّا مكروهاً يؤلمه ويكدّره علينا.

ومنها: أنّه يُرغّبنا في كسب ودّه، والحظوة برضاه، فهو كالشّمس إن غابت بقرصها عن العيان والمشاهدة لم تغب آثارها وبركاتها عن الكائنات وعنّا.

والحاصل أنّه على نحو المقولة الشّهيرة أو الحديث النّبوي على ما رواه ابن السّكّيت عن الأصمعي في ترتيب إصلاح المنطق / ٦٧: «يزع الله عن الدّين بالسلطان أكثر ممّا يزع عنه بالقرآن».

أي: من يكفّ عن ارتكاب المعاصي والعظائم من الذّنوب مخافة السّلطان أكثر ممّن يكفّه مخافة الله تعالى ومخافة القرآن[1].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٤٤/١٩، ومثلها بألفاظ د:

وكيفما كان فقد أُخبر المؤرّخون في كتب التاريخ، والمحدّثون في كتب الحديث عن ولادة الإمام المهديّ المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، كما بشّر بولادته من تقدّم منهم ولم يدرك عصر ولادته وزمن حياته عليه الصّلاة والسّلام، كما أنّ هناك من الصُّلحاء والعلماء والأخيار مَنْ حاز شرف اللّقاء بالإمام عليه السلام، سواء في زمن الغيبة الصُّغرى، أو قبل ذلك في عهد أبيه الإمام أبي محمّد الحسن العسكري صلوات الله عليهما، وأخبرونا عنه وعن شمائله وبعض أوصافه، ممّا لا يدع مجالاً للشبهة والارتياب[1]، ووردت في زمن غيبته الصُّغرى تواقيع خاصّة لبعض الصّالحين من شيعته من ناحيته المقدّسة كالتّوقيع الّذي تشرّف بنيله الشيخ ابن بابويه القمّيّ الصّدوق -والد الصدوقين- وما حازه الشيخ المفيد قدّس الله سرّه، كما وردتنا من طريق الثّقات وأجلّة الأصحاب تواقيع عامّة من ناحيته المقدّسة ومنها زيارة جدّة سيّد الشّهداء أبي عبدالله الحسين عليه أفضل صلوات المصلّين الّتي اشتهرت بزيارة النّاحية المقدّسة، ناهيك عن كثيرٍ من القرائن والشّواهد الدّالّة والموجبة للقطع واليقين على حياته

⇦ مختلفة في: مجمع البيان: ١٥٢/٣، التّبيان: ٢٧٥/٩، تفسير القرطبي: ٣٢٥/٦، كمال الدّين: ٦، الغيبة للنعماني: ١٥، وغيرها.

(١) وسيتأتي تفاصيل ذلك كلّه إن شاء الله تعالى.

ووجوده، لكنّها رغم كثرتها وتظافرها وتـواتـر بـعضها واشـتهار بعضها الآخر، بل رغم تسالم الطّائفة وإطباق علماء المذهب الحقّ على حياته ووجوده يخرج علينا زنديق دجّال عميل بـين حـين وحـين بدعاوى كاذبة وأباطيل ومزاعم هنا وهناك مـا أنـزل الله بهـا مـن سلطان، زاعماً أن لا دليل قطعيّاً في المذهب وكتب الحديث والأخبار على وجوده الشّريف وحياته، ولم تردعه كـلّ هـذه الحـقائق عـن الخوض فيما لا يعنيه، فأطلق بلسانه ما كشف عورته، و«المرء مخبوءٌ تحت لسانه»[1]، وأظهر بجهله عن مدى جهله والنّـاس أعـداء مـا جهلوا، فبدا يتخبّط تخبّط السّقيم وهو في نشوة السُّكر تلعب الخمرة برأسه، ولا يكاد من سكرته يفيق ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُورٍ ﴾[2]، وهم في سكرتهم يعمهون، ولمّا كان هذا وأشباهه من شياطين الجنّ والإنس لا سبيل لهم إلى الهداية.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴾[3]، و ﴿ خَتَمَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ

---

(١) نهج البلاغة: ٣٨/٤، ٩٣.

(٢) سورة النور: ٤٠.

(٣) سورة آل عمران: ٩٠.

وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾[1]، وهم أيضاً: ﴿ يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[2]، حتّى قال تعالى عنهم: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً ﴾[3] لنقصٍ وعيبٍ في قابليتهم لا لقصور من جهة اقتضاء إطلاق الهداية ولا من جهة فاعليّة الفاعل؛ ولأنّ الهداية الخاصّة أيضاً لا إطلاق لها ولا تعميم فيها حتّى تَحُفَّ بهم شموليّتها لأنّها الحكمة بعينها ـ إذ الهداية والاهتداء إلى الإمامة لطفٌ خاصّ وهي الحكمة ـ الّتي قال تعالى عنها: ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدى لِلْمُتَّقِينَ ﴾[5]، وذلك ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾[6]؛ لذا لم أعْنِ بهذا الكتاب إلّا من أفرغ قلبه من الشّرك الخفيّ ـ أعني الرّياء ـ، والكفر المخفي ـ أعني النّفاق ـ، و ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[7].

---

(١) سورة البقرة: ٧.

(٢) سورة البقرة: ٩.

(٣) سورة البقرة: ١٠.

(٤) سورة فصّلت: ٣٥.

(٥) سورة البقرة: ٢.

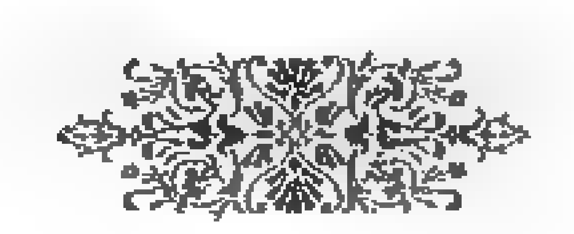
(٦) سورة القصص: ٥٦.

(٧) سورة الشّعراء: ٨٩.

ولهذا بدأت كتابي هذا واستهلّيته بالبحث عن ولادة مولانا الأعظم صاحب العصر والزّمان عجّل الله تعالى فرجه الشّريف، ثمّ حياته الشّريفة، وأخيراً حاولت استقصاء أهمّ ما يتعلّق بذاته وحياته إلى حين ظهوره عجّل الله فرجه الشّريف وما بعد ظهوره وما يحدث في دولته الكريمة الّتي هي غاية آمال العارفين ومنتهى مقصود المؤمنين.

وقد كتبت ذلك على هيئة دروس كما صنعت في بعض كرّاساتي السّابقة، في حلقات يتبع بعضها بعضاً عسى أن ينتفع بها كافّة المؤمنين والمنصفين، لا سيّما أجيال الغد والمستقبل ممّن تقع علينا مسؤولية إرشادهم وتوعيتهم، وتقع عليهم مسؤولية حمل الأمانة وانتظار الفرج القريب والظهور المرتقب، وأن ينفعني بها يوم فاقتي ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[1].

والحمد لله ربّ العالمين



(١) الشُّعراء: ٨٨ و ٨٩.

الدّرس الحادي عشر

هوية الإمام المهدي عليه السلام / ١



الإمام محمّد بن الحسن المهدي صاحب الزّمان عليه السلام.

هو الإمام الثّاني عشر من أئمّة أهل البيت عليهم السلام ، خاتم الأوصياء ، وثالث المحمّدين ، وهو سميُّ رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكنيُّه[1]، كما كُنّي بابن الحسن العسكري ، بن عليّ الهادي ، بن محمّد الجواد ، بن عليّ الرّضا ، بن موسى الكاظم ، بن جعفر الصّادق ، بن محمّد الباقر ،

---

(١) كمال الدّين : ٣٧٨ ، كما صرّحت بذلك الروايات ، وستأتي عمّا قريب إن شاء الله تعالى .

وذكروا من أسماءه عبدالله والمهدي وأحمد (الخرائج والجرائح : ١١٤٩/٣ و ١١٥٠).

ابن عليّ السّجّاد، بن الحسين الشّهيد، بن عليّ بن أبي طالب عليهم أفضل صلوات المصلّين.

أمّه عليه السلام: أمُّ ولد[1]، ويقال لها نرجس[2]، ويقال لها صيقل[3]، ويقال لها سوسن[4]، ويقال لها ريحانة[5]، وقيل: مريم بنت زيد العلوية[6]، وكانت خير أَمَةٍ، وفي رواية أنّ اسمها مليكة بنت

---

(١) أي كانت جارية، وسيأتي تفصيل ذلك في قصّة شرائها بواسطة الإمام الهادي عليه السلام وعتقها ثمّ تزويجها لابنه أبي محمّد الحسن العسكري عليهما السلام، والظّاهر من إطلاق أمّ ولد عليها أنّه عليه السلام وهبها لابنه أبي محمّد عليه السلام فأولدها وهي جارية.

(٢) عيون أخبار الرّضا عليه السلام: ٤٨/٢. كمال الدّين: ٣٠٧، ٤١٧، ٤٢٤، ٤٢٦، ٤٢٧. روضة الواعظين للنيشابوري: ٢٥٢. وسائل الشّيعة: ٢٤٤/١٦ و: ٤٩٠/١١ و: ٢٦٨/٢٠. (ونرجس تعريب أصله في الرّومانيّة نركاسيس).

(٣) شرح أُصول الكافي: ٢٢٨/٦. روضة الواعظين: ٢٦٦. وسائل الشّيعة: ٢٥٣/١٢.

(٤) شرح أُصول الكافي: ٢٢٨/٦. روضة الواعظين: ٢٦٦، وسائل الشّيعة: ٢٦٨/٢٠. الكافي: ٥٠٢/١. عيون أخبار الرّضا عليه السلام: ٤٨/٢.

(٥) روضة الواعظين: ٢٦٦، كمال الدّين: ٤٣٢. وسائل الشّيعة: ٢٦٨/٢٠.

(٦) الحدائق: ٤٤٠/٧١.

يشوعا[١] بن قيصر ملك الرّوم، وأمّها بنت شمعون الصّفا وصيّ عيسى عليه السلام، ولقبها نرجس.

كنيته ككنية رسول الله صلى الله عليه وآله[٢]، وقد يكنّى بأبي جعفر[٣]، وأبي صالح[٤].

لقبه: الحجّة[٥]، والمهدي[٦]، والخلف الصّالح[٧]، والقائم[٨]،

---

(١) كمال الدّين: ٤١٧. روضة الواعظين: ٢٥٢.

(٢) والأخبار في ذلك كثيرة، ستأتي إن شاء الله تعالى.

(٣) بحار الأنوار: ٣٧/٥١.

(٤) وهي أشهر كناه لا سيّما في زماننا هذا، غير أنّه لم نجد لها مصدراً من الأخبار، ويبدو أنّها منسوبة إلى المرحوم العلّامة بحر العلوم نوّر الله مرقده.

(٥) الإمامة والتّبصرة لابن بابويه القمّي: ١٠٣، ١١٨، ١٥٣. الكافي: ٣٢٨/١، ٣٣٣. كفاية الأثر: ١٤، ١٦٥.

(٦) الصّحيفة السّجّاديّة: ٩٠. بصائر الدّرجات: ٩٠. الإمامة والتّبصرة: ١٤. الكافي: ٨/٢، وقيل هو اسمه (الخرائج والجرائح: ١١٤٩/٣).

(٧) كمال الدّين: ٤٣٤.

(٨) المحاسن: ٨٨. الصّحيفة السّجّاديّة (الأبطحي): ٩١، ٤٠١. الإمامة والتّبصرة: ١. الكافي: ٢٢١/١، ٣٤٢، ٣٧١، ٣٧٢. الكافي: ٦٢٠/٢، ٦٣٣. الكافي: ١٨٥/٤. الكافي: ٣٧٩/٥.

والمنتظر[1]، وصاحب الأمر[2]، وإمام العصر[3]، وصاحب الزّمان[4]، وبقيّة الله[5]، والزّكي[6]، والهادي[7]، والغائب[8]، والناطق[9]، والثّائر[10]، والمأمول[11]، والوتر[12]، والمديل[13]، والمعتصم[14]، والمنتقم[15]، والكرّار[16]، والقابض[17]، والباسط[18]، والساعة[19]، والقيامة[20]، والوارث[21]، والجابر[22]، وسدرة

---

(١) نهج البلاغة: ١/١٤٦. الصّحيفة السّجّاديّة (الأبطحي): ٩١. الإمامة والتّبصرة: ٢، ٣. الكافي: ١/٣٣٧، ٣٧٢.

(٢) بصائر الدّرجات: ٤١٤. الإمامة والتّبصرة: ١١٥.

(٣) المحاسن: ٣٠. خاتمة المستدرك: ١/١١٩.

(٤) الصّحيفة السّجّاديّة (الأبطحي): ١/٢٤٦. كمال الدّين: ٣٣. مستدرك الوسائل: ٨/١٣٤.

(٥) الكافي: ١/٤١٢، ٤٧٢. عيون أخبار الرّضا عليه السلام: ٢/٢٩. كمال الدّين: ٣٨٤. وسائل الشّيعة: ١٤/٦٠٠.

(٦) و (٧) الصّحيفة السّجّاديّة (الأبطحي): ٩٠.

(٨) الخرائج والجرائح: ٣/١١٦٥. بحار الأنوار: ٢٤/٥٣.

قال صاحب المستدرك رحمه الله: «الثالثة: كثرة ألقابه وأساميه وكناه الشّائعة، وقد أنهيناها في كتابنا الموسوم بالنجم الثّاقب إلى ١٨٢» (مستدرك الوسائل: ١٢/٢٨٧).

(٩ - ٢٢) دلائل الإمامة: ٥٠٢، وفيه أكثر ألقابه عليه السلام، فمن أراد المزيد فليرجع إليه.

المنتهى [١]، والصّراط [٢]، والسّبيل [٣]، والسّيّد [٤]، والرّجل [٥].

نوّابه: عثمان بن سعيد العمري، ثمّ ابنه محمّد بن عثمان، ثمّ الحسين بن روح، ثمّ عليّ بن محمّد السُّمري، وهم سفراؤه ونوّابه الخواصّ.

نقش خاتمه: قيل: أنا حجّة الله وخاصّته.

شاعره: ابن الرّومي.

النهي عن تسميته باسمه الشّريف

س: هل صحّ أنّ الأئمّة عليهم السلام نهوا شيعتهم عن تسمية الإمام المهدي عليه السلام باسمه الشريف؟

ج: ورد في كثير من الأخبار والرّوايات النّهي عن تسميته عليه السلام، وإليك جملة منها:

١ ـ عن أبي هاشم الجعفري، قال: سمعت أبا الحسن العسكري عليه السلام

(١ ـ ٣) دلائل الإمامة: ٥٠٢، وفيه أكثر ألقابه عليه السلام، فمن أراد المزيد فليرجع إليه.

(٤) كمال الدّين: ٤٣١.

(٥) الكافي: ١/٥١٧.

يقول: «الخلف من بعدي ابني الحسن، فكيف لكم بالخلف بعد الخلف؟». قلت: ولِمَ؟ جعلني الله فداك.

قال: «لأنّكم لا ترون شخصه، ولا يحلُّ لكم ذكره باسمه». قلت: فكيف نذكره؟

فقال: «قولوا الحجّة من آل محمّد صلوات الله عليه وسلامه»[1].

٢ ـ عن عبدالعظيم بن عبدالله الحسني (في رواية طويلة إلى أن قال:)

فقال عليّ عليه السلام (أي الإمام الهادي): «ومن بعدي الحسن ابني، فكيف للنّاس بالخلف من بعده؟» قال: فقلت: وكيف ذاك يامولاي؟

قال: «لأنّه لا يُرى شخصه، ولا يحلّ ذكره باسمه حتّى يخرج فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[2].

---

(١) الإمامة والتّبصرة: ١١٩. كمال الدّين للصدوق: ٢/٦٤٨ و: ٣٨١. بحار الأنوار: ٥١/٣٢. الغيبة للطوسي: ٢٨١. الإرشاد: ٤١٠. إعلام الورى: ٤٦٥. كشف الغمّة: ٢/٤٦٤. الكافي: ١/٣٢٨ و ٣٣٣. علل الشّرائع: ١/٢٤٥، والراوي هو أبوهاشم داود بن القاسم الجعفري.

(٢) الأمالي للصدوق: ٤١٩. التّوحيد للصدوق: ٨٢. كمال الدّين للصدوق: ٣٨٠. كفاية الأثر للقمّي: ٢٨٧. وسائل الشّيعة: ١٦/٢٤١.

٣ ـ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «صاحب هذا الأمر رجل لا يسمّيه باسمه إلّا كافر»(١).

٤ ـ سأل عمر (عليّاً) أمير المؤمنين عن اسم المهدي عليه السلام، فقال (عليّ عليه السلام): «أمّا اسمه فلا، إنّ حبيبي وخليلي عهد إليّ أن لا أُحدّث باسمه حتّى يبعثه الله عزّ وجلّ وهو ممّا استودع الله عزّ وجلّ رسوله في علمه»(٢).

٥ ـ عن الإمام الصّادق عليه السلام (في حديث آخره): «يغيب عنكم شخصه ولا يحلّ لكم تسميته»(٣).

٦ ـ عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام (في حديث آخره): «الّذي تخفى على النّاس ولادته، ولا يحلّ لهم تسميته حتّى يظهره الله عزّ وجلّ فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»(٤).

---

(١) الإمامة والتّبصرة: ١١٧. الكافي: ١/٣٣٣. عيون أخبار الرّضا عليه السلام: ٢/٦٨.

(٢) الإمامة والتّبصرة: ١١٨.

(٣) كمال الدّين: ٣٣٣، ٣٣٨، ٤١١. وسائل الشّيعة: ١٦/٢٤١. كفاية الأثر للخزّاز القمّي: ٢٨٧.

(٤) كمال الدّين: ٣٦٩. كفاية الأثر الخزّاز القمّي: ٢٧١. وسائل الشّيعة: ١٦/٢٤١.

٧ ـ وفي رواية عبدالعظيم الحسني عن الإمام الجواد عليه السلام (جاء فيها): «**ويحرم عليهم تسميته**»[١].

٨ ـ وفي رواية عن أبي عبدالله عليه السلام (جاء في آخرها): «**ولا يحلّ لهم تسميته**»[٢].

٩ ـ وعن الرّضا عليه السلام أنّه قال: «**لا يرى جسمه، ولا يسمّى باسمه**»[٣].

١٠ ـ عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: «**إيّاكم والتّنويه باسمه**»[٤].

١١ ـ وعن رسول الله صلى الله عليه وآله في خبر في صفة المهدي عليه السلام، أنّه قال: «**وهو الّذي لا يسمّيه باسمه ظاهراً قبل قيامه إلّا كافر به**»[٥].

١٢ ـ في الخبر عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام أنّه قال: «**ابن ابني الحسن، لا يرى جسمه، ولا يسمّى باسمه بعد غيبته أحد حتّى يراه ويعلن باسمه، فليسمّه كلّ الخلق**» (ثمّ يقول السّائل:) فقلنا له:

---

(١) كمال الدّين: ٣٧٨. وسائل الشّيعة: ٢٣٤/١٦.

(٢) كمال الدّين: ٤١١. مستدرك الوسائل: ٢٨٢/١٢.

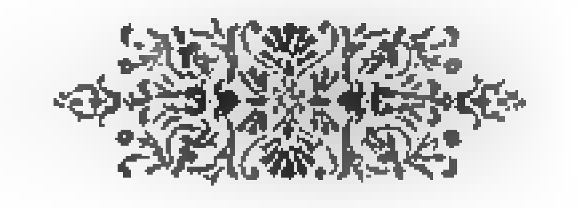
(٣) كمال الدّين: ٣٧٠. مستدرك الوسائل: ٢٨٥/١٢.

(٤) مستدرك الوسائل: ٢٨٤/١٢.

(٥) المصدر المتقدّم: ٢٨٥.

يا سيّدنا ، فإن قلنا: صاحب الغيبة ، وصاحب الزّمان ، والمـهدي ؟ قال: « هو كلّه جائز مطلقاً ، وإنّما نهيتكم عن التّصريح باسمه الخفي عن أعدائنا ، فلا يعرفوه »[1].

١٣ ـ وفي الخبر عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: « إيّاكم والتّنويه باسم المهدي »[2].



(١) مستدرك الوسائل: ١٢/٢٨٦.

(٢) المصدر المتقدّم: ٢٨٥.

الدّرس الثّاني عشر

هوية الإمام المهدي عليه السلام / ٢



لهذا السبب كانوا يعبّرون عنه عليه السلام في الأخبار وكلام الرّواة وما شابه ذلك بـ:

القائم، والصّاحب، والحجّة، وصاحب الأمر، وصاحب الدّار[١]، وصاحب الزّمان، والمهدي، والحضرة[٢]، والنّاحية المقدّسة[٣]

(١) وسائل الشّيعة: ٥٤٠/٩. الغيبة للطوسي: ٢٩٠. بحار الأنوار: ٣٥٠/٥١. الكافي: ٣٢٨/١.

(٢) المقنع للصدوق: ٥. الهداية للصدوق: ٢٠٨. الانتصار: ٤٦. الإمامة والتّبصرة: ١٦٥.

(٣) الهداية: ٣٧. مصباح المتهجّد: ٨٠٣. مستدرك الوسائل: ٥١٧/٢ و: ٧٥/٦.

والرّجل، والغريم[1]، والغلام، وغير ذلك من غير تصريح باسمه الشّريف.

قال الشّيخ المفيد عليه الرّحمة عن نعت الغريم: «وهذا رمز كانت الشّيعة تعرفه قديماً بينها ويكون خطابها عليه للتقيّة»[2].

أقول: وإطلاق الغريم على صاحب الأمر عجّل الله تعالى فرجه لكونه صاحباً للحقّ المغصوب والخلافة المغتصبة، ومطالباً بها حين يظهر.

بحث روائي: ذهب أعلام الطّائفة في تفسير هذه الأخبار إلى مذاهب مختلفة:

١ ـ أنّها تدلّ على عدم جواز تسميته باسمه مطلقاً[3].

٢ ـ أنّها تدلّ على عدم جواز تسميته باسمه في الغيبة الصّغرى فقط[4].

---

(١) كمال الدّين: ٤٨٦. وسائل الشّيعة: ٤٠٨/١٩. الإرشاد: ٣٦٢. بحار الأنوار: ٢٩٤/٥١.

(٢) الإرشاد: ٣٦٢/٢.

(٣) شرح أصول الكافي: ٢٢٥/٦. عيون أخبار الرّضا عليه السلام: ٤٨/٢. كمال الدّين: ٣٠٧. كتاب الأربعين للماحوزي: ٣٩٢.

(٤) شرح أصول الكافي: ٢٢٥/٦.

٣ ـ أنّها تدلّ على عدم جواز ذلك عند الخوف والتّقيّة، سواء كان الخوف عليه سلام الله عليه أو عليهم ـ أي على الشّيعة ـ[١].

٤ ـ اختصاصها بالتّقيّة والخوف عليه صلوات الله عليه[٢].

٥ ـ اختصاصها بالتقيّة والخوف عليهم[٣].

٦ ـ أنّها تدلّ على عدم تسمية الإنسان نفسه باسمه الشّريف مع التكنّي بكنيته في الوقت ذاته[٤].

وكيف كان فقد حمل الشّيخ الصّدوق أعلى الله مقامه[٥] وجملة من الأصحاب قدّس الله أرواحهم[٦]، النّهي الوارد في هذه الأخبار على ظاهره فأفتوا بالتحريم ـ أي بتحريم تسميته باسمه عليه السلام ـ مطلقاً؛

---

(١) شرح أُصول الكافي: ٦/٢٢٥.

(٢) شرح أُصول الكافي: ٦/٢٢٥. مجموعة الرّسائل الشيخ لطف الله الصّافي: ٢/١٩٨. القواعد الفقهيّة الشّيخ مكارم الشّيرازي: ١/٥٠٥.

(٣) احتمال لم أجد له قائلاً، ولا دلّت عليه رواية.

(٤) احتمال لم أجد له قائلاً، ولكن تدلّ عليه الرّواية رقم ١٢ لإمكان حملها على هذا المعنى.

(٥) عيون أخبار الرّضا عليه السلام: ٢/٤٨. قال رحمه الله: «جاء هذا الحديث هكذا بتسمية القائم عليه السلام، والّذي أذهب إليه النّهي عن تسميته عليه السلام» (كمال الدين: ٣٠٧).

(٦) شرح أُصول الكافي: ٦/٢٢٥.

لأنّ هذا النّهي في نظرهم من خصائصه ﷺ كغيبته وطول عمره وملكه وما شابه ذلك[1].

قال المرحوم الطّبرسي ﵀: «ولا يحلّ لأحد أن يسمّيه باسمه، ولا أن يكنّيه بكنيته قبل خروجه من الغيبة؛ لما قدر ورد النّهي عن ذلك، وإنّما يعبّر عنه ﷺ بأحد ألقابه»[2].

وقال صاحب الوسائل ﵀ بخلاف ذلك، حيث قال بعد ما نقل عن عليّ بن عاصم الكوفي أنّه «خرج في توقيعات صاحب الزّمان ﷺ: ملعون ملعون من سمّاني في محفل من النّاس».

أقول: «فيه وفي أمثاله دلالة على ما قلناه في العنوان لاختصاصه بالمحفل، وهو مظنّة التّقيّة والمفسدة، وبالناس كثيراً منا يطلق هذا اللّفظ على العامّة فهو قرينة أيضاً»[3].

لكن يمكن حمل النّهي فيها على الكراهة، كما هو مذهب جماعة من الأعلام[4]، أو على شدّة الكراهة، كما هو مذهب جماعة آخرين[5]،

(١) شرح أُصول الكافي: ٦/٢٢٥.

(٢) تاج المواليد: ٦١.

(٣) وسائل الشّيعة: ٦١/٢٤٢.

(٤) كما يبدو من شارح أُصول الكافي: ٦/٢٢٥.

(٥) وهو احتمال وارد أيضاً، بل أشدّ ملائمة للأخبار.

وإنّما حملوه على الكراهة لحكمة لا يعلمها إلّا الله تعالى.

قالوا: ولا ينافيه التّشديد الوارد في الأخبار البالغ إلى حدّ التكفير، فقد ورد في المكروهات أمثال ذلك، كقوله عليه السلام: «من اتّخذ شعراً ولم يفرّقه فرّقه الله بمنشار من نار»[1].

قالوا: ويؤيّد الكراهة التّصريح باسمه في بعض الأحاديث، كحديث اللّوح الّذي دفعه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى فاطمة عليها السلام، وفيه أسماء الأئمّة عليهم السلام وغيره من الأخبار[2].

قال صاحب الوسائل رحمه الله بعد نقله لجملة من أخبار التّسمية:

---

(١) المنتهى للعلّامة: ٥٣/١، ٣٢١. تذكرة العلّامة: ٧٠/١ و: ٢٥٥/٢. تحرير العلّامة: ٧٢/١.

(٢) حديث اللّوح حديث طويل مضمونه أنّ جابر بن عبدالله الأنصاري عاد الزّهراء عليها السلام فرأى في يدها لوحاً فيه اسم الرسول صلى الله عليه وآله والزّهراء سلام الله عليها والأئمّة الاثني عشر عليهم السلام، رواه الكليني في الكافي: ٥٢٧/١ والصّدوق في كمال الدّين: ٣٠٨، وفي العيون: ٣٤/١، والمفيد في الاختصاص: ٢٠٥، والطوسي في الغيبة: ٩٣، والنّعماني أيضاً في الغيبة: ٢٩، ومصادر أُخرى كثيرة.

ومن سائر الأخبار: الهداية الكبرى للخصيبي: ٣٦١. مقتضب الأثر للجوهري: ١٣ و٧. أوائل المقالات للمفيد: ٢٨٤. الغيبة للطوسي: ١٤٩. الاحتجاج للطبرسي: ٢٢٤/١، وهناك أخبار أُخرى كثيرة.

«أقول: هذا لا ينافي الحمل على التّقيّة والتّخصيص بوقت الخوف يظنّ، لما تقدّم من التّصريح بوجوب التّقيّة إلى أن يخرج صاحب الزّمان عليه السلام، ولكنّ التّقيّة في هذه المدّة لا تشتمل جميع الأشخاص والأزمان، لما مرّ أيضاً، فهذه من جملة القرائن على ما قلنا؛ لأنّ هذه المدّة هي مدّة التّقيّة»[1].

وقال أيضاً: أقول: والأحاديث في التّصريح باسم المهدي محمّد بن الحسن عليهما السلام، وفي الأمر بتسميته عموماً وخصوصاً وتلويحاً، فعلاً وتقريراً في النّصوص. والزّيارات والدّعوات والتّعقيبات والتّلقين وغير ذلك كثيرة جدّاً، قد تقدّم جملة من ذلك ويأتي جملة أُخرى، وهو دالّ على ما قلناه في العنوان»[2].

وقال رحمه الله في موضع آخر: «قد صرّح باسمه عليه السلام جماعة من علمائنا في كتب الحديث والأُصول والكلام وغيرها، منهم العلّامة، والمحقّق، والمقداد، والمرتضى، والمفيد، وابن طاووس، وغيرهم والمنع نادر، وقد حقّقناه في رسالة مفردة»[3].

---

(١) وسائل الشّيعة: ٦١/٢٤٠.

(٢) وسائل الشّيعة: ٦١/٢٤٣.

(٣) وسائل الشّيعة: ٦١/٢٤٦.

أقول: ذكره باسمه الشّريف في هذه الأخبار قبل ولادته ومن أجل التّعريف به على نحو الإجمال لا ينافي حرمة تسميته باسمه عليه السلام بعد ولادته وإلى يوم ظهوره وخروجه؛ إذ ظاهر هذه الأخبار النّهي التّحريمي المتعلّق بما بعد الولادة حتّى الظّهور كما هو صريح الحديث رقم (٣ و ٤ و ٦ و ١٢)، فراجع، والحرمة سببها الخوف من قتله عليه السلام والتّقيّة.

نعم يمكن حملها على الكراهة لسيرة الأصحاب والأعلام قدّست أسرارهم؛ ذلك أنّهم ذكروه عليه السلام باسمه الشّريف في كتبهم في عصر الغيبتين[1]، وهو أوْلى، وأوْلى منه حينئذٍ حمله على الإباحة. لكن ظاهر الرّوايات اختصاص النّهي بالنداء والذّكر اللّساني لا مطلق ذكره عليه السلام، ولو بالكتابة، وعليه فشأنها شأن قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضاً﴾[2]، وبالتالي فحملها على التّحريم مطلقاً كما هو صريح بعضها، أوْلى من التّصرّف فيها وحملها

---

(١) كوالد الشّيخ البهائي في وصول الأخيار: ٤٤. العلّامة المجلسي في بحاره: ١٩/٢٨٤ و: ٢٨/٤٦. الشّيخ عبّاس القمّي في الكنى والألقاب: ١٩/٣. والطّريحي في مجمع البحرين: ٣/٥٧١ و: ٤/٤١٨، وغيرهم كثيرون.

(٢) سورة النّور: ٦٣.

على الكراهة ؛ لأنّه اجتهاد حينئذٍ في مقابل النّصّ ، والعلم عند الله تعالى ورسوله وأوليائه عليهم الصّلاة والسّلام ، لكن هذا المعنى أيضاً لا يتمّ على بعض هذه الأخبار لا سيّما بضميمة قول عثمان بن سعيد العمري حين قيل له : فالاسم ؟ قال : «**إيّاك أن تبحث عن هذا فإنّ عند القوم أنّ هذا النسل قد انقطع**»[1].

وقول محمّد بن عثمان العمري ﷺ لمّا سئل عن الاسم ؟ «**محرّم عليكم أن تسألوا عن ذلك ، ولا أقول هذا من عندي ، فليس لي أن أحلّل ولا أحرّم ، ولكن عنه ﷺ ، فإنّ الأمر عند السّلطان أنّ أبا محمّد ﷺ مضى ولم يخلف ولداً ـ إلى أن قال : ـ وإذا وقع الاسم وقع الطلب ، فاتّقوا الله وأمسكوا عن ذلك**»[2].

ومثل قوله حين قيل له : فالإسم ؟ قال : «**محرّم عليكم أن تسألوا عن ذلك ، ولا أقول هذا من عندي ، فليس لي أن أحلّل ولا أحرّم ، ولكن عنه ﷺ ...الخ**»[3].

وأيضاً ما في بعض التّوقيعات : «**إن دللتم على الاسم أذاعوه**

---

(١) كمال الدّين : ٤٤٢. بحار الأنوار : ٣٣/٥١.

(٢) وسائل الشّيعة : ٢٤٠/١٦.

(٣) الكافي : ٣٣٠/١. الغيبة للطوسي : ٢٤٤. بحار الأنوار : ٣٤٨/٥١.

وإن عرفوا المكان دلّوا عليه»[١].

وما في بعضها: «فإنّهم إن وقفوا على الاسم أذاعوه، وإن وقفوا على المكان دلّوا عليه»[٢].

وقول الإمام محمّدالباقر عليه السلام حين قال له أبو خالد الكابلي: أُريد أن تسمّيه لي حتّى أعرفه باسمه؟ فقال: «سألتني والله يا أبا خالد عن سؤال مجهدٍ، ولقد سألتني عن أمر ـ ما كنت محدّثاً به أحداً، و ـ لو كنت محدّثاً به أحداً لحدّثتك، ولقد سألتني عن أمر لو أنّ بني فاطمة عرفوه، حرصوا على أن يقطعوه بضعةً بضعةً»[٣].

وجاء في البحار بهذا اللفظ: «سألتني والله يا أبا خالد عن سؤال مجهدٍ، ولقد سألتني عن أمر ما، لو كنت محدّثاً به أحداً لحدّثتك... الخ»[٤].

كما ينافي الحمل على الكراهة ما مرّ من أنّه: «يحرم عليهم تسميته»[٥]، ممّا يدلّ على تحريم التّصريح لحكمة وللخوف، وأيضاً

(١) وسائل الشّيعة: ١٦/٢٤٠. كتاب الأربعين للماحوزي: ٣٩٢.

(٢) الغيبة للطوسي: ٣٦٤. بحار الأنوار: ٥١/٣٥١.

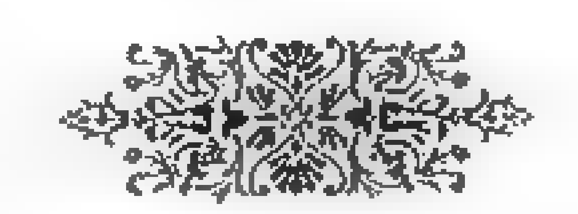
(٣) الغيبة للنعماني: ٢٨٨. الغيبة للطوسي: ٣٣٣.

(٤) بحار الأنوار: ٥١/٣١.

(٥) كمال الدّين: ٣٧٨.

قوله عليه السلام: «لا يحلّ لهم تسميته»[1]، أو: **«لا يحلّ لهم تسميته حتّى يُظهره الله تعالى»**[2]، أو: **«لا أُحدّث باسمه حتّى يبعثه الله عزّ وجلّ»**[3]، أو: **«هو الّذي لا يسمّيه باسمه ظاهراً قبل قيامه إلّا كافر»**[4]، وما شابه ذلك.

٦ ـ قيل: ويمكن الجمع بينها بأنّ التّصريح بالاسم مكروه مطلقاً، والتّسمية صريحاً وكنايةً محرّمة في زمن التّقية والخوف، وبذلك يرتفع جميع التّنافي بين تلك الأخبار، وهو أفضل الوجوه المختارة، لا سيّما أنّ اسمه عليه السلام ورد في جملة من الأخبار وكلام الأعلام على نحو الحروف المقطّعة «م ح م د»[5]. والعلم عند الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وأوليائه عليهم السلام.



(١) كمال الدّين: ٤١٦.

(٢) كمال الدّين: ٣٦٩.

(٣) الإمامة والتّبصرة.

(٤) مستدرك الوسائل.

(٥) كما في حديث اللّوح على رواية بحار الأنوار: ٣٧٨/٥٢. مدينة المعاجز: ١٩٤/٨.

الدّرس الثّالث عشر

شبهات وردود

بسم الله الرحمن الرحيم

□ **لماذا نجد أُمّهات بعض الأئمّة ـ ومنهنّ أُمّ الحجّة ـ عليهما السلام من الجواري والإماء؟ علماً بأنّ الأئمّة المعصومين عليهم السلام صفوة الخلق وخيرة العباد، وللأُمّ أعظم الأثر في طيب الولادة، وحسن النّشأة؛ إذ اللّبن يُعدي كما في الحديث الشريف وثابت بالوجدان.**

■ **أوّلاً**: لكي يعرف الجميع أنّ الإسلام مبرّأ من العنصريّة والتّفرقة، وأنّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1] حقيقة وليس

(١) سورة الحجرات: ١٣.

مجرّد شعار أجوف.

ثانياً: لكي يضرب المسلمون بالعادات الجاهلية المخالفة لروح الإسلام والإنسانيّة عرض الجدار؛ وذلك أنّ الزّواج بالجارية كان عاراً في الجاهليّة، حتّى أنّهم كانوا إذا أرادوا الطّعن في أحدهم نعتوه بابن الجارية وطعنوا فيه من جهة أُمّه بأنّه ابن أُمّ ولد، أي أنّه ابن جارية، واستمرّت هذه العادة لدى كثيرين من العرب المسلمين، فأراد أئمّة الإسلام أن يكسروا هذا الحاجز، ويضعوا لهذه الممارسة الخاطئة حدّاً.

ثالثاً: ليكون ذلك دافعاً للجواري إلى اعتناق الإسلام، سيّما أنّ النّساء أشدّ تأثّراً بحسن المعاملة، وأكثر ترويجاً للدين ومكارم العادات تضحّي في سبيلها إن مالت إليها بقلبها وتعلّقت بها نفسها، وما أحسن قول الشّاعر:

الأُمّ مدرسة إذا أعددتها أعددت جيلاً طيّب الأعراق

رابعاً: لكي يعلم العدو أنّ الإسلام من شدّة عطفه على الإنسان وترحّمه وعدله كافل لحقوقه وحقوق أعراضه حتّى في الحروب وبعدها، وأنّ في الإسلام كلّ ما تحتاجه البشرية من الأعراف والقوانين الّتي تكفل له سعادة الدّارين، وهو دافع بل من أعظم

الدّوافع لاعتناق الدّين المبين.

خامساً: المهمّ أن تكون المرأة من أُسرة عريقة، نشأت في المنبت الحسن تتحلّى بالحياء والعفّة وحسن السّيرة والسّلوك وطيب الولادة لتكون امرأة صالحة وأُمّاً مثاليّة، وهذا ما كان ديدنهم عليهم السلام في اختيار الزّوجة الّتي تكون أُمّاً لأولادهم؛ ولأنّنا نشهد بأنّهم كانوا في الأصلاب الشّامخة والأرحام المطهّرة، وأنت تعلم أنّ بين الإماء والجواري من تتحلّى بأفضل هذه النّعوت والأوصاف.

سادساً: لعلّنا لم نبالغ إذا قلنا بأنّ أُمّهات الأئمّة الأطهار عليهم السلام وعليهنّ السّلام أفضل النّساء في أزمانهنّ على الإطلاق، طبعاً ممّن يجوز للإمام عليه السلام الزّواج بهنّ لا على الإطلاق بحيث يشمل النّساء الهاشميّات والسّيّدات العلويّات، ولا نمنع أن يكون بعضهنّ ـ على الأقلّ ـ أفضل من جميع النّسوة في زمانهنّ على الإطلاق، وكيف كان فلا أقلّ من كون بعض أُمّهات الأئمّة عليهم السلام من أفضل النّسوة في عصورهنّ، بل في جميع الأعصار.

وهذه الحقيقة تتجلّى في سيّدتنا أُمّ مولانا الحجّة عجّل الله تعالى فرجه في قولهم عليهم السلام: **«ابن خيرة الإماء»** أو **«ابن سيّدة الإماء»**، وأنت تعلم أنّ جميع النّسوة إماء كما أنّ جميع الرّجال عبيد؛ لأنّ الجميع إماء لله تعالى وعبيد له جلّ وعلا، بل الشّرف كلّه في ذلك،

ولا توصيف أعظم من أن يقال للمرأة: «أَمَة الله»، ويقال للرجل: «عبدالله»، فقولهم عليهم السلام: «خيرة الإماء»، أو «سيّدة الإماء» معناه سيّدة النّساء المؤمنات، لا أنّها سيّدة الجواري وخيرتها دون الحرّات من النّسوة.

سابعاً: لعلّ هناك بعض العوامل السّياسيّة والأمنيّة أيضاً كانت دخيلة في ذلك، أعني أنّ الإمام لشّدة الرقابة الأمنيّة الّتي كانت عليه، والقمع الّذي كان يُمارس ضدّه وضدّ أهل بيته لم يجد أحياناً طريقاً لحماية نفسه ونسله إلّا بهذا الطّريق، أي الزّواج بالجارية.

ثامناً: ويحتمل أيضاً عدم وجود الأكفأ منهنّ في الهاشميّات ممّن يمكن الزّواج منهنّ، فوقعت الخيرة عليهنّ لذلك، فسلام الله ورضوانه عليهنّ.

تاسعاً: بالإضافة إلى ما ورد في الأخبار المؤكّدة على أنّ أُمّ مولانا الحجّة عليه السلام لم تكن امرأة عادية بل هي من سلالة شمعون الصّفا وصيّ عيسى بن مريم عليهما السلام، كما سيأتي في قصّة سبيها وشرائها إن شاء الله تعالى، ومثل هذه المنقبة تجدها لسائر أُمّهات الأئمّة رضوان الله وسلامه عليهنّ جميعاً.

□ **لماذا كلّ هذا النّهي عن تسميته عليه السلام رغم أنّا لا نجد له أي تأثير عملي في حياتنا اليوميّة، ولم يتطرّق إليه أحد من فقهائنا في**

مطاوي فتاواهم؟

■ نعم، لم يتعرّضوا لهذه المسألة كثيراً في الكتب الفقهيّة، بل لم يتعرّضوا لها أصلاً. نعم، تعرّض لها بعض علمائنا في المسائل العقائديّة في حياة الإمام الحجّة عليه الصّلاة والسّلام، كالمرحوم الشّيخ الصّدوق وغيره من المتقدّمين. نعم، رأيت بعض المتأخّرين تعرّض لهذه المسألة في مباحثه الفقهيّة الاستدلاليّة[1]، لكنّا لم نألفه في

---

(١) قال آية الله العظمى الشّيخ ناصر مكارم الشّيرازي في القواعد الفقهيّة ج١، ص٤٩٤ و ٤٩٥، في آخر مبحث التّقيّة بعد ما قسّم أحاديث التّسمية إلى عدّة أقسام:

«٩ ـ هل يحرم تسميته ﷺ باسمه الشّريف؟ المشهور بين جمع من المحدّثين حرمة تسميته أرواحنا له الفداء باسمه الخاصّ، دون ألقابه المعروفة، فهل هذا حكم يختصّ بزمان الغيبة الصّغرى دون الكبرى، كما نقله العلّامة المجلسي في المجلّد ١٣ من بحار الأنوار عن بعض؟ أو أنّه عامّ لكلّ زمان ومكان إلى أن يظهر ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، أو أنّ حرمتها دائرة مدار التّقيّة والخوف، فعند عدم الخوف جائز، وعند وجوده حرام، بل لا يختصّ ذلك به أرواحنا فداه، ويجري في غيره من الأئمّة عليهم السلام؟

اختار ذلك شيخنا الشّيخ الحرّ العاملي في الوسائل في مفتتح هذا الباب وصرّح به أيضاً في ختامه»، ثمّ ذكر الأخبار الواردة في هذا الباب، وقسّمها إلى طوائف، ثمّ قال في الصفحة ٥٠٢: ⇦

⇦ «هذا هو ما ورد في هذا الباب من طوائف الأخبار وكلمات الأصحاب، ولا ينبغي الشّكّ في أنّ القول بمنع التّسمية تعبّداً كلام خالٍ عن التّحقيق وإن صرّح به بعض الأكابر، بل الظّاهر أنّ المنع منه يدور مدار وجود ملاك التّقيّة، وفي غيره كأمثال زماننا هذا لا يمنع على التّحقيق.

وما أفاده العلّامة المجلسي ﷺ بعد ذكر بعض ما دلّ على النّهي عن التّسمية إلى أن يظهر القائم عليه السلام: «أنّ هذه التّحدّيات مصرّحة في نفي قول من خصّ ذلك بزمان الغيبة الصّغرى تعويلاً على بعض العلل المستنبطة والاستبعادات الوهميّة»، ممنوع جدّاً لما قد عرفت من أنّ هذا ليس علّة مستنبطة، واستبعاداً وهميّاً، بل صريح به في روايات عديدة ليست بأقلّ من غيرها، هذا مضافاً إلى ما دلّ على جواز التّسمية والتّصريح به، وقد عرفتها في الطّائفة الرّابعة وهي أكثر عدداً وأقوى دلالةً من غيرها.

والحاصل أنّ المنع يدور مدار الخوف عليه عليه السلام، أو علينا بالموازين المعتبرة؛ وذلك لأمور:

أوّلاً: أنّ هذا هو الطّريق الوحيد في الجمع بين الأخبار، وحمل مطلقها على مقيّدها، فالمطلقات وهي الطّائفة الأولى بل الثّانية أيضاً ـ فإنّها مطلقة من ناحية الخوف وعدمه، وإن كانت مغيّاة بظهوره، فإنّه لا ينافي تقييدها بما ذكرنا ـ تقيد بالطائفة الثّانية الدّالّة على دوران الحكم مدار التّقيّة، ولو لا ذلك تعارضت وتساقطت لو قلنا بأنّ كلّ طائفة منها قطعيّة أو كالقطعيّة لتظافرها، أو يقال بالتخيير بناءً على كون أسنادها ظنّيّة، وعندئذٍ يمكن الحكم بالجواز.

⇦

⇦ ومن أقوى القرائن على الجمع الّذي ذكرنا هو الطّائفة الرّابعة المصرّحة بجواز التّسمية في الجملة، وليت شعري ماذا يقول القائل بحرمة التّسمية مطلقاً في هذه الطائفة المتظافرة جدّاً؟ فهل يمكن طرح جميعها مع كثرتها وفتوى كثير من الأصحاب على طبقها؟ أو يمكن ترجيح غيرها عليها؟

كلّا لا طريق إلى حلّها إلّا بما ذكرنا.

ثانياً: قد وردت أحاديث كثيرة من طرق أهل البيت عليهم السلام والعامّة، صرّح فيها بأنّ اسم المهدي اسم النّبيّ، وكنيته عليه السلام كنيته صلى الله عليه وآله. ومن المعلوم أنّ هذا في قوّة التّسمية، فإنّ الظّاهر من بعض الأخبار الدّالّة على عدم ذكر الاسم، هو عدم الدّلالة عليه بحيث لا يعلم المخاطب من النّاس ما يكون اسمه الشّريف، لا مجرّد التّلفظ به، اللّهمّ إلّا أن يقال: إنّ ذلك وإن كان مفاد بعض أخبار الباب، ولكن ينافيه بعضها الآخر الدالّ على حرمة التّلفّظ به، لا الدّلالة عليه، ولو بنحو من الكناية، فراجع وتدبّر.

ثالثاً: إنّ القول بحرمة التلفّظ باسمه الشّريف من دون التّقيّة ومحذور آخر مع جواز الدّلالة عليه بالكناية، أو بمثل (م ح م د) يحتاج إلى تعبّد شديد، فأي حزازة في ذكر اسمه الشّريف في اللّفظ مع جواز ذكرها كناية، كالقول بأنّ اسمه اسم جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، أو بالحروف المقطّعة، مع فرض عدم أي محذور ظاهر بتاتاً؟ وأيُّ شبيه لمثل هذا الحكم في الأحكام الشّرعية؟ ومثل هذا الاستبعاد وإن لم يكن بنفسه دليلاً في الأحكام الفقهيّة، إلّا أنّه يمكن جعله تأييداً لما ذكرنا.

ويؤيّده أيضاً بعض ما ورد في عدم جواز التّصريح باسم غيره عليه السلام ⇦

كتب الأعلام قديماً وحديثاً ، وهذا كلّه لا يمنع من أهمّيّة هذا الأمر ، ولا يقلّل من شأنه ؛ لتعلّقه بصاحب الأمر أرواحنا فداه ، لا سيّما في تلك العصور الّتي كان الخوف فيها أشدّ والتّقيّة أعظم ؛ إذ عيون

⇦ من الأئمّة عليهم السلام عند التّقيّة ، فلا يختصّ الحكم باسمه الشّريف ، مثل ما رواه الكليني بإسناده إلى عنبسة ، عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : « **إيّاكم وذكر عليّ وفاطمة عليهما السلام ، فإنّ النّاس ليس شيء أبغض إليهم من ذكر عليّ وفاطمة** » .

ومن العجب ما حكي عن الصّدوق رحمه الله أنّه بعد الاعتراف بالتصريح باسمه في رواية اللّوح قال : « جاء هذا الحديث هكذا بتسمية القائم ، والّذي أذهب إليه النّهي عن التّسمية ، انتهى » .

وقد عرفت أنّه لا ينحصر التّصريح باسمه الشّريف برواية اللّوح ، ولا ينحصر الدّليل بروايات الطّائفة الرّابعة المصرّحة بالاسم ، ومع ذلك لِمَ لم يختر القول بالجواز عند عدم التّقيّة كما اختاره صاحب الوسائل ، ويظهر من كثير من الأصحاب ؟

فلعلّه رآه موافقاً للاحتياط ، وهو وإن كان كذلك إلّا أنّ الاحتياط في عمل النّفس شيء والفتوى بالأحتياط شيء آخر . وبالجملة هذا الاحتياط ضعيف جدّاً لا يجب مراعاته .

فتلخّص عن جميع ما ذكر ، جواز التّسمية باسمه الشّريف ـ وهو (محمّد بن الحسن العسكري) عجّل الله تعالى له الفرج ـ في أمثال زماننا هذا ممّا لا تقيّة فيه من هذه النّاحية » .

الأعداء كانت تراقب الشّيعة في كلّ مكان، وأزلامهم كانوا يتربّصون بهم ويطاردونهم ويندسّون في أوساطهم وبين ظهرانيهم للنيل منهم ومن إمام زمانهم؛ إذ كانت جماعة من خيرة الأصحاب وخيار الطّائفة الحقّة يعرفونه، وقد يلاقونه في مجالسهم ومحافلهم ومواضع عديدة فيدلّون عليه من غير قصد منهم.

ثمّ هذه الخطورة وإن قلّت بعد الغيبة الكبرى، إلّا أنّ ارتباطه عليه السلام بالأخيار ومشاهدتهم له في بعض الحين لم ينقطع، والتّقيّة والخوف عليه لا يزالان ممّا ابتُلي به شيعتهم، فالتعريف به على أي نحو كان وفي أي زمان ومكان حرام إذا كان خلافاً للتقيّة، وقد يؤدّي إلى المخاطرة والمجازفة بحياته الشّريفة صلوات الله وسلامه عليه.

□ **إذا كان الأمر كذلك، والسّبب في النّهي عن تسميته، ذلك، فلماذا اقتصر النّهي على تسميته باسمه الشّريف دون ألقابه وكناه، ولعلّ في اللّقب والكنية مخالفة للتقيّة أيضاً، وإيقاع له عليه السلام في الخطر والتّهلكة؟ ألا ترى أنّ ما تزعمه يقتضي النّهي عن كلّ ما يدلّ على شخصه عليه السلام ويعرّضه للخطر؟**

■ نعم، إنّا نرى أنّ كلّ ما يعرّض حياة الإمام أرواحنا فداه للخطر حرام، بل من أعظم المحرّمات وأكبر الكبائر، ولا يقتصر على ذكره

باسمه. ولهذا أعتقد بأنّ النّهي لا يقتصر على تسميته باسمه الشّريف مع الخوف على نفسه المقدّسة الزّكيّة. نعم، ربّما تكون في النّهي عن تسميته خصوصيّة وهو أمر اختصّه الله تعالى كما خصّ نبيّه ﷺ وسائر الأئمّة عليهم السلام بعدم مناداتهم ولا مخاطبتهم بأسمائهم الشّريفة، كما هو صريح قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضاً﴾[1] الّذي يشمل الأئمّة عليهم السلام أيضاً بعموم المعنى لا بخصوص اللّفظ حيث أنّهم عليهم السلام يشاركون رسول الله ﷺ في تلك الأحكام.

■ **أليس الله تعالى قادراً على حفظ وليّه عليه السلام وقد خصّه بالغيبة كي يحفظه من خطر الأعداء، فما الحاجة إلى النّهي عن تعريفه إذا رآه من يعرفه في الملأ العامّ؟**

□ إنّ الله تعالى قادر على كلّ شيء، لكنّه أجرى في أنبياءه وأولياءه سنّته، ويأبى الله أن يجري الأُمور إلّا بأسبابها. نعم، الإعجاز وخرق العادة والطبيعة من الأمور الّتي لا يجريها الباري جلّ وعلا إلّا عند الضّرورة القصوى، حيث لا طريق لحفظ شريعته أو وليّه إلّا بها أو لإتمام الحجّة على عباده، وإلّا فمن تتبّع سيرة الأنبياء والرّسل

---

(١) سورة النّور: ٦٣.

والأولياء يجدهم أكثر النّاس ابتلاءً وأشدّهم فتنة، وأقلّهم درءاً للخطر عن نفسه بالإعجاز وخوارق العادة، بل من شدّة حرصهم على إمرار معاشهم وحياتهم بالطرق المألوفة، والتّمسّك بالأسباب الطبيعيّة كادوا يكونون بحسب الظّاهر أقلّ النّاس ارتباطاً بالغيب وأبعدهم عن الكرامات والمعاجز، حتّى ظنّ النّاس بهم سوءاً، وشكّوا كثيراً في نبوّتهم واتّصالهم بالغيب من هذه النّاحية، ﴿وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً﴾[1]، وهذه السّيرة منهم صلوات الله عليهم كان أمراً طبيعيّاً بعد أن سلّمنا بأنّهم بشر مرسلون إلى كافّة النّاس، وعليهم أن يعوّدوهم على الحياة بالأسباب الطبيعيّة والتّوكل على الله تبارك وتعالى بعد الإيمان به، ولهذا أمّ موسى كانت حريصة على إخفاء جنينها، كما حرصت على إخفاء ولادته، وإخفاء شخصه حتّى تمّ له الرّشد والبلوغ وبعث بالنبوّة، رغم أنّه عاش في قصر فرعون وتربّى بين عينيه وفي حجره، وهكذا جميع أحداث حياته وحياة سائر الأنبياء والرّسل[2]، إلّا ما توقّف منها على الإعجاز، ولم يكن بدٌّ في

---

(١) سورة الفرقان: ٧.

(٢) راجع: كتب التّفسير، سيرة الأنبياء عليهم السلام، قصص الأنبياء عليهم السلام، ⇦

صون الشّريعة أو حفظ النّبيّ من الإعجاز.

والحاصل: أنّه يجب على الإمام ـ كغيره من النّاس ـ أن يحفظ نفسه، بل حفظ نفسه ﷺ أوجب؛ لأنّه يمثّل إرادة الله تعالى في الأرض وهو حجّته على العباد، كما يجب على المؤمنين بل كافّة الخلق أن يحفظوه ويذودوا عنه، كلّ ذلك أخذاً بالأسباب الطّبيعيّة: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾[1]، وعليه فيحرم عليهم التّعريف به على أي نحو كان، ولا يجوز ذكر اسمه مطلقاً بحسب ظاهر الأدلّة، ولا مجال لتأويل بعضها بل كثير منها.

نعم، لعلّ ما ورد في بعض الأدلّة من ذكره باسمه الشّريف روحي له الفداء، وما جرى من سيرة الأعلام في ذكره باسمه ﷺ في كتبهم وعلى ألسنتهم يوحي إلى عدم النّهي التّحريمي في غير موضع الخوف والتّقيّة، ويمكن حمل ذلك إلى اختلاف الأزمنة والظّروف، وذلك لاحتمال التّحريم مطلقاً في بعض الأزمنة ثمّ ارتفاع ذلك لتغيير الظّرف والزّمان. إذن:

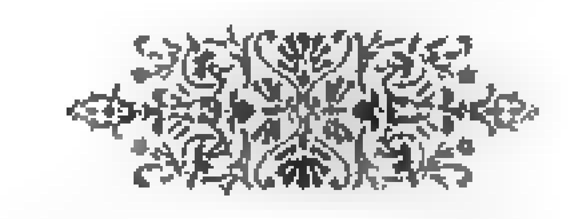
⇦ مثل كتاب قصص الأنبياء للسيّد نعمة الله الجزائري ﵀، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة عن حياة الأنبياء صلوات الله عليهم كلّها يدلّ على ذلك.

(١) سورة الأحزاب: ٦.

١ ـ أن ينادى الإمام ويخاطب باسمه عليه السلام فهو حرام مطلقاً.

٢ ـ أن يذكر بأي نحو بحيث يعرّضه للخطر فهو حرام أيضاً.

٣ ـ ولم تثبت الحرمة لغير ذلك.



الدّرس الرّابع عشر

أوصافه وشمائله عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ عن حذيفة اليمان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«المهدي من ولدي، وجهه كالكوكب الدُّرّيّ، فاللون لون عربي، والجسم جسم إسرائيلي، ...»[1].

٢ ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام في رواية إلى أن قال:

«هو شابٌ مربوع، حسن الوجه، حسن الشَّعر، يسيل شعره على منكبيه، ويعلو نور وجهه سواد شعر لحيته ورأسه، بأبي

---

(١) نوادر المعجزات للطبري الشّيعي: ١٩٦. دلائل الإمامة للطبري الشّيعي: ٤٤١. بحار الأنوار: ٩٥/٥١.
والجسم إسرائيلي: أي كأجسام بني إسرائيل في ضخامتها وقوّتها.

ابن خيرة الإماء»[1].

٣ ـ عن الحارث الهمداني، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: **«المهدي أقبل**[2]**، جعد**[3]**، بخدّه خال»**[4].

٤ ـ عن سفيان الثّوري، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: **«المهدي رجل من ولدي، أرى وجهه كالكوكب الدُّرّي، اللّون لون عربي، والجسم جسم إسرائيلي»**[5].

٥ ـ وعن أبي جعفر محمّد بن علي عليه السلام أنّه قال: **«يقوم المهدي عليه السلام وليس في رأسه ولا لحيته طاقة بيضاء»**[6].

---

(١) الإرشاد: ٣٨٢/٢. الغيبة للطوسي: ٤٧٠. **مربوع**: أي عريض ما بين المنكبين.

(٢) **أقبل** أصله القَبَلَ ـ محرّكة ـ ومعناه على ما في النّهاية: إقبال سواد العين على الأنف.

وعلى ما في القاموس هو إقبال إحدى الحدقتين على الأُخرى، أو: إقبال نظر كلّ من العينين على صاحبتها، كأنّه ينظر إلى طرف أنفه.

(٣) **جعد** من الأجعد: أي كثيف شعر الرّأس والوجه.

(٤) الغيبة للنعماني: ٣٠٤.

(٥) شرح الأخبار للقاضي النّعمان المغربي: ٣٧٨.

(٦) شرح الأخبار للمغربي: ٣٨٠.

طاقة بيضاء: كناية عن الشّعر الأبيض.

٦ ـ وعن أبي أُمامة الباهلي ، قال: قـال رسـول الله صلى الله عليه وآله ـ إلى أن قال: ـ «المهدي من ولدي ابن أربعين سنة ، كأنّ وجهه كوكب دُرّي ، في خدّه الأيمن خال أسود ، عليه عباءتان قطوانيّتان ، كأنّه من رجال بني إسرائيل... الخ»(١).

٧ ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصف المهدي ـ إلى أن قال: ـ «باسم نبيّكم ، يشبهه في الخَلْق والخُلُق»(٢).

٨ ـ عن إبراهيم بن مهزيار رضي الله عنه أنّه عليه السلام قال: «واضح الجبين ، أبلج الحاجب ، مسنون الخدّين ، (أقنى الأنف) ، أشمّ ، أروع ، كأنّه غصن بان ، وكأنّ صفحة غرّته كوكب دُرّيّ ، بخدّه الأيمن خال كأنّه فتاة مسك على بياض الفضّة ، وإذا برأسه وفـرة سـمحاء سبطة تـطالع شحمة أُذُنه ، له سَمْتٌ ما رأت العيون أقصد منه ، ولا أعرف حُسـناً وسكينة وحياءاً»(٣).

---

(١) بحار الأنوار: ٩٦/٥١.

(٢) الغيبة للنعماني: ٢١٤.

(٣) مدينة المعاجز: ١٩٤/٤.

أبلج الحاجب: دقيقه وطويله. مسنون الخدّين: كأن قد سنّ عن خدّيه اللّحم ، أي خفّف ، أي وجهه خفيف اللّحم ، والقنا في الأنف: طوله ودقّة أرنبته مع احديداب في وسطه ، والشمم: هو الارتفاع في الأنف ، ⇐

٩ ـ الفصول المهمّة: «شابٌ مربوع القامة، حسن الوجه، والشَّعر يسيل على منكبيه، أقنى الأنف، أجلى الجبهة»(١).

١٠ ـ وعن عليّ بن مهزيار أنّه عجّل الله فرجه: «كغصن بان، أو قضيب ريحان، سمحٌ، سخيٌّ، تقيٌّ، نقيٌّ، ليس بالطويل الشّامخ، ولا بالقصير اللّازق، بل مربوع القامة، مدوّر الهامة، صلت الجبين، أزجّ الحاجبين، أقنى الأنف، سهل الخدّين، على خدّه الأيمن خال كأنّه فتات مسك على رضراضة عنبر»(٢).

١١ ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام وهو على المنبر: «يخرج من ولدي في آخر الزّمان أبيض مشربٌ حمرة، مندح البطن، عريض الفخذين،

⇦ فالأشمّ المرتفع الأنف. رجل أروع: حيّ النّفس، ذكي. وغصن بان: أي طوله كغصن شجرة البان رطب ليّن ليس بصلب. والغُرّة: بياض في الجبهة. فتاتة الشّيء: رضاضه، وفتاتة المسك: أجزاؤه الدقاق الصّغار ورضاضه. وفرة سمحة سبطة: أي شعره وفير كثير، وسمح: ناعم، وسبط: طويل ناعم. تطالع: تبلغ شحمة أذنه. السمت: حُسْن النّحو والمسلك والطّريقة، فحسن السّمت والطّريقة.

(١) بحار الأنوار: ٤٤/٥١.

(٢) مستدرك سفينة البحار: ٣٣٤/١٠.

مدوّر الهامة: مدوّر الرأس. صلت الجبين أملس الجبين.

عظيم مشاش المنكبين ، بظهره شامتان : شـامة عـلى لون جـلده ، وشامة على شبه شامة النّبيّ صلى الله عليه وآله ، له اسمان : اسـم يـخفى ، واسـم يعلن ، فأمّا الّذي يخفى فأحمد ، وأمّا الّذي يعلن فمحمّد »[1].

١٢ ـ عن الحسين عليه السلام ، قال : « في التّاسع من ولدي سنّة من يوسف وسنّة من موسى بن عمران عليهما السلام ، وهو قائمنا أهل البيت... الخ »[2].

١٣ ـ وعنه عليه السلام ، قال : « في القائم منّا سُنن من الأنبياء عليهم السلام ، سُنّة من نوح ، وسُنّة من إبراهيم ، وسُنّة من موسى ، وسُنّة مـن عـيسى ، وسُنّة من أيّوب ، وسُنّة من محمّد صلى الله عليه وآله .

فأمّا من نوح : فطول عمره ، وأمّـا مـن إبـراهـيم : فـخفاء الولادة واعتزال الناس ، وأمّا من موسى : فالخوف والغيبة ، وأمّا من عيسى : فاختلاف النّاس فيه ، وأمّا من أيّوب : فالفرج بعد البلوى ، وأمّا مـن

---

(١) الخـرائـج والجـرائـح : ٣/١١٥٠. بـحار الأنـوار : ٥١/٣٥. إعـلام الورى : ٢/٢٩٤.

مشرب حمرة : أي اختلط لون وجهه الأبيض باللّون الأحمر اختلاطاً بسيطاً معتدلاً ، فلونه يميل إلى الحمرة . مندح البطن : أي متّسع البطن . المشاش : عظيم رؤوس العظام ، فرؤوس عظام منكبيه عظيمة .

(٢) كمال الدّين : ١/٣١٧. إثبات الهـداة : ٦/٣٩٧. بـحار الأنـوار : ٥١/١٣٢. كشف الغمّة : ٣/٣١٢.

محمّد ﷺ: فالخروج بالسيف»[1].

١٤ ـ وفي رواية أُخرى: «**كأنّ وجهه كوكب دُرّي، في خدّه الأيمن خالٌ أسود**»[2]، وفي ثالثة: «**أفرق الثّنايا**[3]**، أجلى**[4] **الجبهة**»[5].

١٥ ـ وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**أجلى الجبين**[6]**، أقنى الأنف**[7]**، ضخم البطن، أزيل الفخذين، بفخذه اليمنى شامة، أفلج**[8] **الثّنايا**»[9].

---

(١) علم اليقين: ٧٩٣/٢. كمال الدّين: ٥٧٦.

(٢) بحار الأنوار: ٨٠/٥١. كشف الغمّة: ٢٦٩/٣ و ٢٨٩. ينابيع المودّة: ٢٩٦/٣ و ٣٨٤.

(٣) أي بين ضرسيه الأماميّين فجوة.

(٤) انحسار الشّعر عن الجبهة.

(٥) بحار الأنوار: ٨٠/٥١ و ٩٦. كشف الغمّة: ٢٦٩/٣ و ٢٨٩. ينابيع المودّة ٢٦٣/٣ و ٢٧٠.

(٦) انحسار الشّعر وانكشافه عن الجبين، والجبين هو طرفا الجبهة يميناً وشمالاً.

(٧) القنا في الأنف: طوله ودقّة أرنبته مع حدب في وسطه ـ لسان العرب: ٢٠٣/١٥.

(٨) الفلج: التّباعد. أفلج الثّنايا: أي في الأسنان تباعد ما بين الثّنايا، وهي الأسنان الأماميّة.

(٩) الغيبة للنعماني: ٢١٥.

١٦ ـ وعن الباقر عليه السلام: «المشرب حمرة، الغائر العينين، المشرف الحاجبين، العريض ما بين المنكبين، برأسه حزاز، بوجهه أثر»[١].

١٧ ـ وعن إسعاف الرّاغبين للصبان المصري: «أنّه شابٌّ أكحل العينين، أزجّ[٢] الحاجبين، أقنى الأنف، كثّ اللّحية، على خدّه الأيمن خال، وعلى يده اليمنى خال»[٣].

١٨ ـ وفي الفصول المهمّة: «صفته بين السّمرة والبياض»[٤].

١٩ ـ وفي الخبر: «إذا خرج يكون شيخ السّنّ، شابّ المنظر، يحسبه النّاظر ابن أربعين سنة أو دونها»[٥].

ويمكن تلخيص الرّوايات في الأُمور التّالية:

فهو عجّل الله تعالى فرجه:

١ ـ من أهل بيته. ٢ ـ اسمه كاسمه. ٣ ـ يشبه رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) الغيبة للنعماني: ٢١٥.

الإشراب: خلط لون بلون كأنّ أحد اللّونين سقى اللّون الآخر. يقال: بياض مشرب حمرة ـ بالتخفيف ـ إذا كانت الحمرة خفيفة.

(٢) الزّج والأزجّ: الحاجب الطّويل الدقيق.

(٣) تقدّم ذكره.

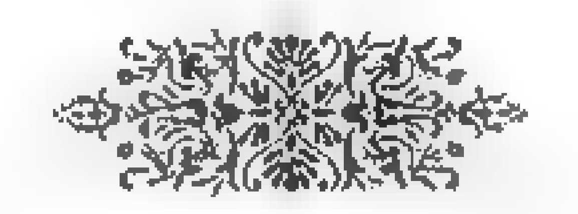
(٤) ينابيع المودّة: ٣٤٣/٣.

(٥) بحار الأنوار: ٢٣٨/٥٠.

في خلقه وخلقه. ٤ـ يصلحه الله في ليلة على رأس غمامة فيها ملك ينادي هذا المهدي خليفة الله فاتّبعوه. ٥ ـ فيذعن له النّـاس، ويشربون حبّه. ٦ ـ يمدّه الله بثلاثة آلاف من الملائكة، جبرئيل على مقدّمته وميكائيل على ساقته. ٧ ـ أنصاره بعدّة أهل بدر. ٨ ـ وأهل الكهف منهم. ٩ ـ يخرج بالسيف. ١٠ ـ ويملك شرق الأرض وغربها. ١١ ـ فيملؤ الأرض قسطاً وعدلاً مـلئت ظـلماً وجوراً. ١٢ ـ يُظهر الإسلام. ١٣ ـ ويـرضى عـنه سـاكـن السّماء وساكن الأرض. ١٤ ـ أسعدالنّاس بـه أهـل الكـوفة. ١٥ ـ تخصب الأرض في زمانه. ١٦ ـ وتُخـــرج كـــنوزها. ١٧ ـ يحثو المال حثواً ولا يعدّه عدّاً. ١٨ ـ يصلّي خلفه عيسى بن مريم. ١٩ ـ ويساعد عيسى على قتل الدّجّال. ٢٠ ـ يخرج في وتر من السّنين، سنة إحدى، أو ثلاث، أو خمس، أو سبع، أو تسع. ٢١ ـ يملك ستّ سنين، أو سبعاً، أو ثماناً، أو تسعاً. ٢٢ ـ السنة من سنيّه مقدار عشر سنين. ٢٣ ـ يستخرج تابوت السّكينة من غار أنطاكية، وأسفار التّوراة من جبل بالشام. ٢٤ ـ ويظهر من الدّين ما هـو الدّيـن عـليه في نـفسه، مـا لو كـان رسـول الله ﷺ كان يحكم. ٢٥ ـ على خدّه الأيمـن خـال كـأنّه كـوكب درّي.

٢٦ ـ كأنّ وجهه كوكب درّي. ٢٧ ـ أفرق الثّنايا. ٢٨ ـ أجلى الجبهة والجبين. ٢٩ ـ شاب مربوع، حسن الوجه والشعر، يسيل شعره على منكبيه. ٣٠ ـ يعلو نور وجهه سواد شعر لحيته ورأسه. ٣١ ـ أقنى الأنف. ٣٢ ـ ضخم البطن. ٣٣ ـ بفخذه اليمنى شامة. ٣٤ ـ أفلج الثّنايا. ٣٥ ـ مشرب حمرة. ٣٦ ـ غائر العينين. ٣٧ ـ عريض ما بين المنكبين. ٣٨ ـ برأسه حزاز. ٣٩ ـ بوجهه أثر. ٤٠ ـ كثّ اللّحية. ٤١ ـ على يده اليمنى خال. ٤٢ ـ بين السمرة والبياض. ٤٣ ـ عليه عباءتان قطوانيّتان. ٤٤ ـ لونه عربي. ٤٥ ـ جسمه إسرائيلي. ٤٦ ـ كثير الشّعر. ٤٧ ـ ابن أربعين سنة. ٤٨ ـ واضح الحاجبين. ٤٩ ـ أبلج الحاجب. ٥٠ ـ مسنون الخدّين. ٥١ ـ أشمّ. ٥٢ ـ أروع. ٥٣ ـ أقصد النّاس جميعاً. ٥٤ ـ حسن السّمت والأخلاق. ٥٥ ـ كأنّه غصن بان. ٥٦ ـ سمحٌ. ٥٧ ـ سخيٌّ. ٥٨ ـ تقيٌّ. ٥٩ ـ نقيٌّ. ٦٠ ـ أملس الجبين. ٦١ ـ عريض الفخذين. ٦٢ ـ مندح البطن. ٦٣ ـ بظهره شامتان. ٦٤ ـ له إسمان اسم خفي واسم جلي. ٦٥ ـ فيه خصال الأنبياء. ٦٦ ـ أعرف النّاس حسناً وسكينة وحياءاً. ٦٧ ـ شعره ناعم طويل يتدلّى على

أُذنيه. ٦٨ ـ ليس في وجهه ولا لحيته شعر أبيض. ٦٩ ـ عند خروجه يكون شيخ السّنّ، شاب المنظر. ٧٠ـ من ذرّيّة رسول الله ﷺ، من صلب عليّ وفاطمة عليهما السلام، وهو التّاسع من ولد الحسين صلوات الله عليه.



الدّرس الخامس عشر

شبهات وردود

بسم الله الرحمن الرحيم

□ **في الرّواية الخامسة في مجموعة أوصافه وشمائله: «ليس في رأسه ولا لحيته طاقة بيضاء»، وفي بعض الرّوايات ـ مثل الرّواية (١٨) ـ أنّه شابّ المنظر وابن أربعين، وفي بعضها: دون الأربعين، وفي نفس الرّواية ـ ١٨ ـ: أنّه شيخ السّنّ، كلّ ذلك عند قيامه عليه السلام وظهوره عجّل الله تعالى فرجه، فكيف يمكن الجمع بين كبر سنّه وشباب منظره عليه السلام؟**

■ بعد ما أثبتنا وجوده وحياته، وسيأتي ذلك مفصّلاً في محلّه أيضاً، وإذا علمنا أنّ طول حياته أرواحنا فداه من خصائصه الّتي لا بدّ منها، حيث لا يجوز خلوّ الأرض من الحجّة لا تشريعاً ولا تكويناً،

وحيث علمنا أنّ الحجج بعد رسول الله ﷺ معدودون محصورون في اثني عشر إماماً لا يزيدون ولا ينقصون، ثمّ كتب للحجّة المهدي أرواحنا فداه أن يكون الثّاني عشر الّذي يطول عمره دهراً وقروناً لا يعلمها إلّا الله تعالى ليخرج حين يؤذن له بالخروج، فيجب أن يحفظه من توارد الزّمان وتعاقب اللّيالي والأيّام؛ ليكون دوماً في غاية النّشاط، وعنفوان الشّباب، لئلا يشقّ عليه حمل الأمانة ولا يصعب عليه أداء الرّسالة، سيّما أنّه يخرج بالسيف ليطهّر الأرض بالقتال، فلابدّ من بسطة في العلم والجسم وعنفوان الشّباب. فاجتمعت فيه أكمل الخصال وأحسنها، وليس هذا على الله تعالى بعزيز.

□ **وضّح لنا المراد من الرّواية العاشرة؟**

■ المراد أنّه شبيه رسول الله ﷺ في كلّ شيء، حتّى في الاسم، فهو كجدّه الرّسول ﷺ سمّي في السّماء (أحمد)، وفي الأرض (بأبي القاسم محمّد)، اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد.

□ **هل ما ذكرت من الأوصاف والشّمائل ملازمة له ﷺ طيلة حياته، أم بعضها قابل للتغيير، أم هي تختصّ بحين الظّهور؟**

■ لا شكّ أنّ الصّفات الجسمانيّة الّتي وردت في الرّوايات ناظرة إلى

زمن الظّهور، وبما أنّ الوصف لا يزول عادة فهي فيه وهو عليها مدى الحياة، كما انّ الشّمائل الأخلاقيّة والأوصاف المعنويّة هي فيه منذ الولادة حتّى الوفاة، بطريق أوْلى. نعم، هناك حالات تسمّى أوصافاً مجازاً، فهي قابلة للزوال والتّغيير، فمن الصّفات الجسمانيّة الثّابتة عادة خلقته روحي لتراب مقدمه الفداء، مثلاً: على خدّه الأيمن خال، أفرق الثّنايا، أجلى الجبهة والجبين، مربوع القامة، أقنى الأنف، وما شابه ذلك.

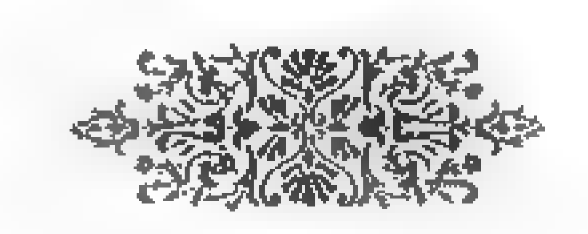
ومن الشّمائل الأخلاقيّة والأوصاف المعنويّة شبهه برسول الله ﷺ، فهو لعلى خلق عظيم من الجود والكرم والسّماحة والشّجاعة والعلم والعبادة وهلمّ جرّاً، لا يقاس به أحد من الخلق بعد أجداده الطّاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

ومن حالاته وأحوالهﷺ، وهي في العادة قابلة للتغيير طول شعره روحي لمقدمه الفداء، وعليه عباءتان قطوانيّتان، وسائر أوصاف ثيابه وعمامته روحي فداه، فإنّها جميعاً قابلة للتغيير.

□ **ما الحاجة إلى ذكر هذه الأوصاف على كثرتها، ودقّة النظر فيها، والتّوسّع حولها؟**

■ لا عجب من ذلك إذا ما وقفنا على أهمّيّة الإمام المهدي أرواحنا له

الفداء . وعظمته ، وأهميّة الرّسالة الّتي يحملها ، وعظمة الحدث الّذي ينتظره ؛ إذ الغاية الّتي تنتظر ظهوره والهدف الّذي يسعى إليـه مـن تطهير الأرض وإقامة العدل أعظم غاية وقع من أجلها الخلق ، وهي غاية آمال الأنبياء والمرسلين والعباد الصّالحين ، إذا عرفنا ذلك وقفنا على الحكمة من هذا التّأكيد في أوصافه عليه السلام ، فأمّا العناية القصوى الّتي أولاها أئمّتنا صلوات الله عليهم أمر المهدي عجّل الله تعالى فرجـه ، فإنّها على مستوى الحدث ، وتدلّ على عظمته ، وأمّا ما أولاه علمائنا الأعلام لهذه الحقيقة فلعلّه قليل في حقّه ، لم يرق إلى مستوى الحدث المرتقب.



الدّرس السّادس عشر

الإمام المهدي عليه السلام في الكتاب والسنّة

بسم الله الرحمن الرحيم

المهدي عليه السلام في القرآن:

١ ـ عن الصّادق عليه السلام في معنى قوله عزّ وجلّ: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾[1].

قال عليه السلام: «نزلت في القائم وأصحابه، يجتمعون على غير ميعاد»[2].

---

(١) سورة النُّور: ٥٥.

(٢) الغيبة للنعماني: ٢٤٠، ورواها صاحب الينابيع عن الإمام زين العابدين عليه السلام و: ٢٤٥/٣، وأيضاً عن الباقر والصّادق عليهما السلام.

٢ ـ وعن الصّادق عليه السلام أيضاً في قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعاً ﴾[١].

قال عليه السلام: «نزلت في القائم وأصحابه، يجتمعون على غير ميعاد»[٢].

٣ ـ وعنه عليه السلام في تفسير قوله عزّ وجلّ: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾[٣].

قال عليه السلام: «هي في القائم عليه السلام وأصحابه»[٤].

٤ ـ وعنه عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ ﴾[٥].

قال: «الله يعرفهم، ولكن نزلت في القائم يعرفهم بسيماهم فيخبطهم بالسيف هو وأصحابه خبطاً»[٦].

٥ ـ عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ

---

(١) سورة البقرة: ١٤٨.

(٢) الغيبة للنعماني: ٢٤١.

(٣) سورة الحجّ: ٣٩.

(٤) الغيبة للنعماني: ٢٤١.

(٥) الرحمن: ٤١.

(٦) الغيبة للنعماني: ٢٤٢.

مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾[1]، فقال:

«هذه الآية نزلت في القائم. يقول: إن أصبح إمامكم غائباً عنكم لا تدرون أين هو، فمن يأتيكم بإمام ظاهر، يأتيكم بأخبار السّماء والأرض وحلال الله عزّ وجلّ وحرامه»، ثمّ قال عليه السلام: «والله ما جاء تأويل هذه الآية، ولا بدّ أن يجيء تأويلها»[2].

٦ ـ عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾[3].

قال: «نزلت في القائم عليه السلام، وكان جبرئيل عليه السلام على الميزاب في صورة طير أبيض، فيكون أوّل خلق الله مبايعة له ـ أعني جبرئيل ـ، ويبايعه النّاس الثّلاثماءة وثلاثة عشر، فمن كان ابتلي بالمسير وافى في تلك السّاعة، ومن (لم يبتل بالمسير) فُقِد في فراشه، وهو قول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: المفقودون في فرشهم...»[4].

٧ ـ وفي الحديث أنّ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ

(١) سورة الملك: ٣٠.

(٢) الإمامة والتّبصرة: ١١٥. كمال الدّين: ٣٢٦.

(٣) سورة النّمل: ٦٢.

(٤) الغيبة للنعماني: ٣١٤.

مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾[١].

«أنّها نزلت في القائم عليه السلام وأصحابه»[٢].

٨ ـ وفي قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾[٣].

«أنّها نزلت في القائم المهدي عليه السلام»[٤].

٩ ـ وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ ﴾[٥].

«أنّها نزلت في المهدي عجّل الله تعالى فرجه»[٦].

١٠ ـ وعن الباقر والصّادق عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾[٧].

---

(١) سورة المائدة: ٥٤.

(٢) تفسير القمّي: ١/١٧٠.

(٣) سورة البراءة: ٣٣.

(٤) بحار الأنوار: ٥١/٥٠.

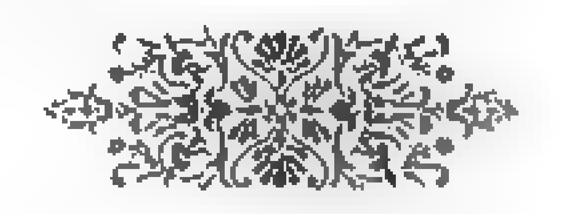
(٥) سورة الزّخرف: ٦١.

(٦) ينابيع المودّة: ٢/٤٥٣.

(٧) سورة الأنبياء: ١٠٥.

قالا: «**هم القائم وأصحابه**»[1].

وآيات أُخرى كثيرة وقع تأويلها أو تفسيرها على الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه اكتفينا بهذا المقدار رعاية للاختصار، ومن أراد المزيد فعليه بكتب الحديث والسّيرة والتّفسير والتّأريخ من الفريقين الشّيعة والسّنّة، لا سيّما كتب الغيبة للنعماني والطّوسي رحمهما الله.



(١) ينابيع المودّة: ٣/٢٤٣.

الدّرس السّابع عشر

الإمام المهدي عليه السلام في الأخبار / ١



الإمام المهدي عجّل الله فرجه في الأخبار والأحاديث:

١ ـ عن جابر بن عبدالله الأنصاري، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: **«المهدي من ولدي، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، أشبه النّاس بي خَلْقاً وخُلُقاً، تكون له غيبة وحيرة تضلّ فيها الأمم، ثمّ يقبل كالشهاب الثّاقب يملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً»**[1].

٢ ـ عن الصّادق عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله: **«القائم من ولدي،**

(١) كمال الدّين: ٢٨٦. كفاية الأثر للخزّاز القمّي: ٦٧. وروي عن الإمام الصّادق عليه السلام باختلاف يسير وزيادة في الإمامة والتّبصرة: ١١٩، وفي كمال الدّين: ٢٨٦.

اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، وشمائله شمائلي، وسُنّته سُنّتي، يقيم الناس على ملّتي وشريعتي، ويدعوهم إلى كتاب الله عزّ وجلّ، من أطاعه أطاعني، ومن عصاه عصاني، ومن أنكره في غيبته فقد أنكرني، ومن كذّبه فقد كذّبني، ومن صدّقه فقد صدّقني، إلى الله أشكو المكذّبين لي في أمره، والجاحدين لقولي في شأنه، المضلّين لأمّتي عن طريقته، ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[1]»[2].

٣ ـ عن الصّادق، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أنكر القائم من ولدي فقد أنكرني»[3].

٤ ـ عن ابن عبّاس، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله: «إنّ عليّ بن أبي طالب إمام أُمّتي وخليفتي عليها من بعدي، ومن ولده القائم المنتظر، الّذي يملأ الله عزّ وجلّ به الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، والّذي بعثني بالحقّ بشيراً إنّ الثّابتين على القول به في زمان غيبته لأعزّ من الكبريت الأحمر».

فقام إليه جابر بن عبدالله الأنصاري فقال: يا رسول الله،

---

(١) سورة الشُّعراء: ٢٢٧.

(٢) و (٣) بحار الأنوار: ٥١/٧٣.

وللقائم من ولدك غيبة ؟

قال : «إي وربّي ، وليمحّص الله الّذين آمنوا ويمحق الكافرين . يا جابر ، إنّ هذا الأمر من أمر الله ، وسرّ من سرّ الله مطويٌّ عن عباده . فإيّاك والشكّ فيه ، فإنّ الشكّ في أمر الله عزّ وجلّ كفر»[(١)].

٥ ـ عن أبي سعيد الخدري ، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال لفاطمة : «يا بُنيّه ، إنّا أُعطينا أهل البيت سبعاً ، لم يعطها أحد قبلنا ، نبيّنا خير الأنبياء وهو أبوك ، ووصيّنا خير الأوصياء وهو بعلك ، وشهيدنا خير الشّهداء وهو عمّ أبيك حمزة ، ومنّا من له جناحان خضيبان يطير بهما في الجنّة ، وهو ابن عمّك جعفر ، ومنّا سبطا هذه الأُمّة ، وهما ابناك الحسن والحسين ، ومنّا والله الّذي لا إلٰه إلّا هو ، مهدي هذه الأُمّة الّذي يصلّي خلفه عيسى بن مريم» ، ثمّ ضرب يده على منكب الحسين عليه السلام فقال : «من هذا» ثلاثاً[(٢)].

٦ ـ عن الرّضا عليه السلام ، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال : «لا تقوم السّاعة حتّى يقوم القائم الحقّ منّا ، وذلك حين يأذن الله عزّ وجلّ له ، ومن تبعه نجا ، ومن تخلّف عنه هلك ، الله الله عباد الله ، فأتوه ولو على الثّلج .

---

(١) كمال الدّين : ٢٨٧.

(٢) الغيبة للطوسي : ١٩٢.

فإنّه خليفة الله عزّ وجلّ، وخليفتي»[1].

٧ ـ عن الرّضا عليه السلام، عن آبائه، عن عليّ عليهم السلام، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله: «لا تذهب الدُّنيا حتّى يقوم بأمر أُمّتي رجل من ولد الحسين عليه السلام، يملؤها عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[2].

٨ ـ عن الصّادق عليه السلام، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال لعليّ عليه السلام: «ألا أُبشّرك، ألا أُخبرك يا علي؟ فقال: بلى يا رسول الله، فقال: كان جبرئيل عندي آنفاً، وأخبرني أنّ القائم الّذي يخرج في آخر الزّمان فيملأ الأرض عدلاً (كما ملئت ظلماً وجوراً)، من ذرّيّتك، من ولد الحسين»[3].

٩ ـ وقال صلى الله عليه وآله لجعفر بن أبي طالب: «يا جعفر، ألا أُبشّرك، قال: بلى يا رسول الله، فقال: كان جبرئيل عندي آنفاً، فأخبرني أنّ الّذي يدفعها إلى القائم هو من ذرّيّتك، أتدري من هو؟ قال: لا قال: ذاك الّذي وجهه كالدّينار، وأسنانه كالمنشار، وسيفه كحريق النّار،

---

(١) بحار الأنوار: ٦٥/٥١، ورد مثل هذا الحديث في البحار: ٢٢٢/٣٦، عن أبي أُمامة عنه صلى الله عليه وآله مع اختلاف يسير.

(٢) بحار الأنوار: ٦٦/٥١.

(٣) الغيبة للنعماني: ٢٤٧.

يدخل الجبل ذليلاً، ويخرج منه عزيزاً، يكتنفه جبرئيل وميكائيل»[(١)].

١٠ ـ عن الباقر عليه السلام، عن جابر بن عبدالله الأنصاري، قال: دخلت على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين يديها لوح فيه أسماء الأوصياء والأئمّة من ولدها، فعددت اثنا عشر اسماً آخرهم القائم من ولد فاطمة، ثلاثة منهم محمّد، وأربعة منهم علي[(٢)].

١١ ـ عن أبي جعفر الثّاني، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام، قال: «للقائم منّا غيبة أمدها طويل، كأنّي بالشيعة يجولون جولان النَّعَم في غيبته، يطلبون المرعى فلا يجدونه، ألا فمن ثبت منهم على دينه لم يقسُ قلبه لطول أمد غيبة إمامه، فهو معي في درجتي يوم القيامة»، ثمّ قال عليه السلام: «إنّ القائم منّا إذا قام لم يكن لأحد في عنقه بيعة، فلذلك تخفى ولادته ويغيب شخصه»[(٣)].

١٢ ـ عن الرّضا، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام جميعاً أنّه قال للحسين عليه السلام: «التّاسع من ولدك يا حسين هو القائم بالحقّ، المظهر

---

(١) بحار الأنوار: ٧٧/٥١.

(٢) الإرشاد للمفيد: ٣٤٦.

(٣) بحار الأنوار: ١٠٩/٥١، مستدرك سفينة البحار: ٥٠٨/١٠.

للدين، الباسط للعدل».

قال الحسين عليه السلام: «فقلت: يا أمير المؤمنين، وإنّ ذلك لكائن؟».

فقال: «إي والّذي بعث محمّداً بالنبوّة واصطفاه على جميع البريّة، ولكن بعد غيبةٍ وحيرةٍ لا يثبت فيها على دينه إلّا المباشرون لروح اليقين، الّذين أخذ الله ميثاقهم بولايتنا، وكتب في قلوبهم الإيمان، وأيّدهم بروح منه»[1].

١٣ ـ عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: «صاحب هذا الأمر من ولدي، هو الّذي يقال: مات، أو هلك، لا بل في أي وادٍ سلك»[2].

١٤ ـ عن الأصبغ بن نباتة، عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: فوجدته مفكّراً قلت: يا مولاي، أراك مُفكراً؟

قال: «في مولود يكونُ من ظهر الحادي عشر من ولدي، وهو المهدي الّذي يملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، تكون له غيبة يُضلّ بها أقواماً، ويهدي بها آخرين، أُولئك خيار هذه الأمّة مع

---

(١) بحار الأنوار: ١١٠/١٥.

(٢) الغيبة للنعماني: ١٥٦. الغيبة للطوسي: ٤٢٥.

أبرار هذه العترة». فقلت: ثمّ ماذا؟

قال: «يفعل الله ما يشاء من الرّجعة البيضاء، والكـرّة الزّهـراء، وإحضار الأنفس الشّحّ والقصاص، والأخذ بالحقّ، والمجازاة بكلّ سلف، ثمّ يغفر الله لمن شاء»[١].

١٥ ـ عن جعفر بن محمّد ﷺ، عن أبيه، عن جدّه، عن الحسين بن عليّ ﷺ، قال: جاء رجل إلى أمير المؤمنين ﷺ، فقال له: يا أمير المؤمنين، نبّئنا بمهديّكم هذا؟

فقال: «إذا درج الدارجون[٢]، وقلّ المؤمنون، وذهب المجلبون[٣]، فهناك هناك[٤]، فقال: يا أمير المؤمنين، ممّن الرّجل؟ فقال: من بني هاشم، من ذروة[٥] طود[٦] العرب، وبحر مغيضها[٧]

---

(١) الهداية الكبرى للخصيبي: ٣٦٢.

(٢) دَرَجَ الرّجل: مشى، والقوم ماتوا وانقرضوا. والدّارج، أي إذا مات.

(٣) المجلبون: المجتمعون من كلّ مكان للحرب وضجّوا وصاحوا، فإذا ذهب هؤلاء.

(٤) فهناك هناك: كناية عن وقت الظّهور؛ لأنّها من علاماته.

(٥) الذّروة بضمّ الذّال وكسرها: أعلى مكان الشّيء، وأعلى كلّ شيء.

(٦) الطّود بفتح الطّاء: الجبل العظيم، فبنو هاشم قمّة جبل العرب.

(٧) المغيض: ما يجتمع فيه الماء، شبّهه ﷺ ببحر في أطرافه مغائض ⇐

إذا وردت، ومخفر[1] أهلها إذا أُتيت، ومعدن صفوتها إذا اكتدرت[2]، لا يجبن إذا المنايا هكعت[3]، ولا يخور إذا المنون اكتنعت[4]، ولا ينكل إذا الكماة[5] اصطرعت[6]. مشمّر[7]، مغلولب[8]، ظفر[9]، ضرغامة[10]، حصد مخدش

⇦ وغدران يجتمع فيها الماء.

(١) **المخفر**: الحامي والمجير ،أي مأمن العرب وحاميها ومجيرها، إذا أتى عليها الدّهر.

(٢) **الصّفوة**: الخالص، والكدار نقيض الصّافي، فهو ﷺ معدن الخلوص عندما يكتدر ويتكدر النّاس لا سيّما العرب.

(٣) **هكعت**: أي نزلت، فهو ﷺ لا يجبن خوفاً من الموت في المعركة.

(٤) **لا يخور**: لا يفتر ولا يضعف. **المنون**: الموت والدّهر. **اكتنع**: دنا وقرب، فهو ﷺ لا يضعف إذا دنت المنون منه.

(٥) **لا ينكل**: لا يجبن ولا ينكص. **الكماة** بضمّ الكاف: جمع الكمي، وهو الشّجاع أو لابس السّلاح.

(٦) **الاصطراع**: هو المصارعة، أي لا ينكص على عقبه، ولا يفرّ إذا الشّجعان المدجّجون بالسلاح تصارعوا معه.

(٧) **مشمّر**: جادّ، مثل قولهم شمّر فلان عن ساعد الجدّ.

(٨) **مغلولب**: متكاثر قوي غالب.

(٩) **ظفر**: بكسر الفاء، وظفير: أي مظفر منتصر، لا يحاول أمراً إلّا ظفر به.

(١٠) **ضرغامة**: بكسر الضّاد، الأسد والشّجاع.

ذكر[١]، سيف من سيوف الله رأس، قثم[٢]، نشؤ رأسه في باذخ[٣] السّؤدد، وعارز[٤] مجده في أكرم المحتد[٥]، فلا يصرفنّك عن بيعته صارف عارض ينوص[٦] إلى الفتنة كلّ مناص، إن قال فشرٌّ، وإن سكت فذو دعاير»[٧].

---

(١) **حصد**: بكسر الصّاد، يحصد أُصول الظّالمين وفروع الغيّ والشّقاق.
المخدش: بكسر الميم وضمّها هو السّند والكاهل فهو سندهم ومعتمدهم.
وقيل: من أخدش، أي يخدش الكفّار ويطعنهم. والذّكر من الرّجال ـ بكسر الذّال ـ هو القوي الشّجاع.

(٢) **قثم**: بضمّ القاف وفتح الثّاء، هو الجموع للخير والّذي كثر عطاؤه، والرّأس أعلى كلّ شيء وسيّد القوم.

(٣) **الباذخ**: المرتفع العالي. **السّؤدد**: المجد والسّيادة والشّرف، فهو عليه السلام قد نشأ في أعلى قمم العلو والمجد والسّيادة والشّرف.

(٤) **عارز مجده**: أي مجده العارز الثّابت، متعرز الشّيء في الشّيء إذا أثبته فيه وأدخله.

(٥) **المحتد**: يلفظ كمجلس، هو الأصل، فمجده عليه السلام عارز وثابت في أكرم الأصول.

(٦) **ينوص**: ينهض، والمناص هو الملجأ، ومعنى الجملة: لا يمنعك ولا يصرفك عن بيعته عليه السلام صارفٌ عارض عن بيعته ينهض إلى الفتنة ويتّخذها ملجئاً لنفسه.

(٧) **دعاير**: من الدّعارة، وهي الخبث والفساد والشّرّ والفسق.

ثمّ رجع إلى صفة المهدي عليه السلام ، فقال :

«أوسعكم كهفاً[1] ، وأكثركم علماً ، وأوصلكم رحماً ، اللّهمّ فاجعل بعثه خروجاً من الغمّة ، واجمع به شمل الأمّة ، فإن خار[2] الله لك فاعزم ، ولا تنثنِ[3] عنه إن وُفّقت له ، ولا تجوزنّ عنه إن هديت إليه ، هاه[4] ـ وأومأ بيده إلى صدره ـ شوقاً إلى رؤيته»[5].

١٧ ـ لمّا صالح الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام معاوية بن أبي سفيان ، دخل عليه النّاس فلامه بعضهم على بيعته ، فقال عليه السلام :

«ويحكم ما تدرون ما عملت ، والله الّذي عملت خير لشيعتي ممّا طلعت عليه الشّمس أو غربت ، ألا تعلمون أنّي إمامكم ومفترض الطّاعة عليكم ، وأحد سيّدي شباب أهل الجنّة بنصّ من رسول الله صلى الله عليه وآله ؟».

---

(١) الكهف : هو الملاذ والملجأ الّذي يلجأ إليه الإنسان عند شعوره بالخطر.

(٢) خار : من الخيرة والاستخارة ، وهو طلب الخير.

(٣) لا تنثنِ : أي لا تنعطف عنه ولا تمل إلى غيره.

(٤) قوله عليه السلام : «هاه» ، مثل «آه» ، كأنّه تنفّس الصّعداء ، أو تأوّه متألّماً من شدّة شوقه إليه واشتياقه إلى رؤيته ونصرته ، ولهذا أشار عليه السلام إلى صدره الشّريف وقال متحسّراً : «شوقاً إلى رؤيته».

(٥) الغيبة للنعماني : ٢١٥.

قالوا: بلى.

قال: «أما علمتم أنّ الخضر لمّا خرق السّفينة وأقام الجدار وقتل الغلام كان ذلك سخطاً لموسى بن عمران عليه السلام إذ خفي عليه وجه الحكمة في ذلك، وكان ذلك عند الله تعالى حكمة وصواباً؟

أما علمتم أنّه ما منّا أحد إلّا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلّا القائم الّذي يصلّي خلفه روح الله عيسى بن مريم عليه السلام فإنّ الله عزّ وجلّ يخفي ولادته، ويغيّب شخصه، لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج؟

ذاك التّاسع من ولد أخي الحسين ابن سيّدة الإماء، يطيل الله عمره في غيبته، ثمّ يظهره بقدرته في صورة شاب ابن دون الأربعين سنة، ذلك ليعلم أنّ الله على كلّ شيء قدير»[١].

١٨ ـ عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه، عن الحسين بن عليّ عليهما السلام أنّه قال: «في التّاسع من ولدي سُنّةٌ من يوسف، وسُنّة من موسى بن عمران، وهو قائمنا أهل البيت، يصلح الله تبارك وتعالى

---

(١) الاحتجاج: ٢/١٠، ومثل هذا الخبر في البحار: ١٩/٤٤ و: ١٣٢/٥١ و: ٢٧٩/٥٢.

أمره في ليلة واحدة»[1].

١٩ ـ عن الحسين بن عليّ عليه السلام: «قائم هذه الأمّة هو التّاسع من ولدي، وهو صاحب الغيبة، وهو الّذي يقسَّم ميراثه وهو حيٌّ»[2].

٢٠ ـ وعنه عليه السلام: «منّا اثنا عشر مهدياً أوّلهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وآخرهم التّاسع من ولدي، وهو القائم بالحقّ، يحيي الله تعالى به الأرض بعد موتها، ويظهر به دين الحقّ على الدّين كلّه ولو كره المشركون، له غيبة يرتدّ فيها قوم، ويثبت على الدّين فيها آخرون فيؤذون، ويقال لهم متى هذا الوعد إن كنتم صادقين، أما إنّ الصّابر في غيبته على الأذى والتّكذيب بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله»[3].

٢١ ـ وعنه عليه السلام: «لو لم يبق من الدّنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله عزّ وجلّ ذلك اليوم حتّى يخرج رجل من ولدي يملؤها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، كذلك سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول»[4].

---

(١) و (٢) بحار الأنوار: ١٣٣/٥١.

(٣) بحار الأنوار: ٣٨٥/٣٦، ومثله في شرح الأخبار للقاضي النّعمان المغربي: ٥٦٨/٣.

(٤) بحار الأنوار: ١٣٣/٥١.

٢٢ ـ قيل للحسين عليه السلام: أنت صاحب هذا الأمر؟

قال: «لا، لكن صاحب هذا الأمر الطّريد الشّريد الموتور بأبيه، المكنّى بعمّه، يضع سيفه على عاتقه ثمانية أشهر»[١].

٢٣ عن عليّ بن الحسين عليهما السلام، قال: «القائم منّا تخفى ولادته عن النّاس حتّى يقولوا لم يولد بعد، ليخرج حين يخرج وليس لأحد في عنقه بيعة»[٢].

٢٤ ـ عن عليّ بن الحسين عليهما السلام: «لتأتينّ فتنةٌ كقطع الليل المظلم، لا ينجو إلّا من أخذ الله ميثاقه، أُولئك مصابيح الهدى وينابيع العلم، ينجيهم الله من كلّ فتنة مظلمة، كأنّي بصاحبكم قد علا فوق نجفكم بظهر كوفان، في ثلاثمأة وبضعة عشر رجلاً، جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن شماله، وإسرافيل أمامه، معه راية رسول الله صلى الله عليه وآله قد نشرها، لا يهوي بها إلى قوم إلّا أهلكهم الله عزّ وجلّ»[٣].

٢٥ ـ وعنه عليه السلام: «يكون بعد الحسين عليه السلام تسعة أئمّة، تاسعهم

---

(١) بحار الأنوار: ١٣٤/٥١.

(٢) المصدر المتقدّم: ١٣٥.

(٣) الأمالي للمفيد: ٤٥. بحار الأنوار: ١٣٥/٥١.

قائمهم»[1].

٢٦ ـ عن أُمّ هاني الثّقفيّة، عن الباقر عليه السلام في حديث قال: «هذا مولود في آخر الزّمان، هو المهدي من هذه العترة، تكون له حيرة وغيبة يضلّ فيها أقوام، ويهتدي فيها أقوام، ويا طوبى لك إن أدركته، ويا طوبى لمن أدركه»[2].

٢٧ ـ وعنه عليه السلام أنّه ذكر سيرة الخلفاء الرّاشدين، فلمّا بلغ آخرهم قال: «الثّاني عشر الّذي يصلّي عيسى بن مريم عليه السلام خلفه، عليك بسُنّته والقرآن الكريم»[3].

٢٨ ـ عن أبي حمزة الثّمالي، عن الباقر عليه السلام أنّه قال: «يا أبا حمزة، من المحتوم الّذي حتمه الله قيام قائمنا، فمن شكّ فيما أقول لقي الله وهو به كافر».

ثمّ قال: «بأبي وأمّي المسمّى باسمي، والمكنّى بكنيتي، السّابع من بعدي، بأبي (مَنْ) يملأ الأرض عدلاً (وقسطاً)

---

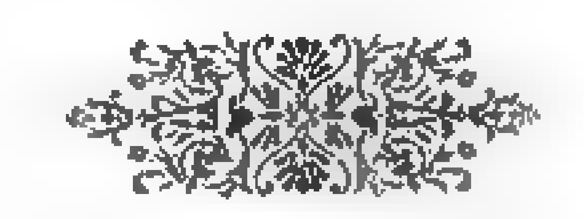
(١) الإرشاد: ٢/٣٤٧. الاستنصار للكراجكي: ١٧، وروي عن الصّادق عليه السلام مثله في الصّراط المستقيم للعاملي: ٢/١٣٤.

(٢) كمال الدّين: ٣٣٠.

(٣) بحار الأنوار: ٥١/١٣٧.

كما ملئت ظلماً وجوراً.

يا أبا حمزة ، من أدركه فيسلّم له ما سلّم لمحمّد وعليّ ، فقد وجبت له الجنّة ، ومن لم يسلّم فقد حرّم الله عليه الجنة ، ومأواه النّار وبئس مثوى الظّالمين»[١].



(١) بحار الأنوار: ١٣٩/٥١.

الدّرس الثّامن عشر

الإمام المهدي عليه السلام في الأخبار / ٢



٢٩ ـ عن سدير، عن الصّادق عليه السلام: «إنّ في القائم عليه السلام سُنّةً من يوسف».

قلت: كأنّك تذكر حيرة أو غيبة؟

قال لي: «وما تنكر من هذا، هذه الأُمّة أشباه الخنازير؟ إنّ إخوة يوسف كانوا أسباطاً أولاد أنبياء تاجروا يوسف وبايعوه وخاطبوه وهم إخوته وهو أخوهم، فلم يعرفوه حتّى قال لهم يوسف: أنا يوسف، فما تنكر هذه الأُمّة الملعونة أن يكون الله عزّ وجلّ في وقت من الأوقات يريد أن يستر حجّته؟ لقد كان يوسف إليه ملك مصر، وكان بينه وبين والده مسيرة ثمانية عشر يوماً، فلو أراد الله عزّ وجلّ أن يُعرّف مكانه لقدر على ذلك، والله لقد سار يعقوب وولده عند

البشارة تسعة أيام من بدوهم إلى مصر، فما تنكر هذه الأُمّة أن يكون الله يفعل بحجّته ما فعل بيوسف أن يكون يسير في أسواقهم، ويطأ بسطهم، وهم لا يعرفونه حتّى يأذن الله عزّ وجلّ أن يُعرّفهم نفسه كما أذن ليوسف حين قال: ﴿ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ * قَالُوا أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي ﴾(1)»(2).

٣٠ ـ عن الصّادق عليه السلام: «من أقرّ بجميع الأئمّة وجحد المهدي، كان كمن أقرّ بجميع الأنبياء وجحد محمّداً صلى الله عليه وآله نبوته».

فقيل له: يابن رسول الله، فمن المهدي من ولدك؟

قال: «الخامس من ولد السّابع، يغيب عنكم شخصه، ولا يحلّ لكم تسميته»(3).

٣١ ـ وعنه عليه السلام: «إنّ الله تبارك وتعالى خلق أربعة عشر نوراً قبل خلق الخلق بأربعة عشر ألف عام، فهي أرواحنا».

---

(١) سورة يوسف: ٨٩ و ٩٠.

(٢) بحار الأنوار: ٢٨٣/١٢ و: ١٤٢/٥١، وعنه عليه السلام في الخرائج والجرائح للراوندي مثله مع اختلاف يسير، وهكذا في دلائل الإمامة: ٥٣١.

(٣) بحار الأنوار: ١٤٣/٥١. ومثله في ١٤٥/٥١ باختلاف يسير، وفي كمال الدّين: ٣٣٣ و ٣٣٨ و ٤١١.

فقيل له: يابن رسول الله، ومن الأربعة عشر؟

فقال: «محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين، والأئمّة من ولد الحسين، آخرهم القائم الّذي يقوم بعد غيبته فيقتل الدّجّال ويُطهّر الأرض من كلّ جور وظلم»(١).

٣٢ ـ وعنه عليه السلام وذكر المهدي: «وهو الثّاني عشر من الأئمّة الهداة»، ثمّ قال: «والله لو بقي في غيبته ما بقي نوح في قومه لم يخرج من الدّنيا حتّى يظهر فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً»(٢).

٣٣ ـ وعنه عليه السلام: «إنّ لصاحب هذا الأمر غيبةً، المتمسّك فيها بدينه كالخارط لشوك القتادة بيده»، ثمّ أطرق مليّاً، ثمّ قال: «إنّ لصاحب هذا الأمر غيبة، فليتّق الله عبد وليتمسّك بدينه»(٣).

---

(١) بحار الأنوار: ٢٣/٥١ و: ١٤٤/٥١. وفي ٤/٢٥ مثله باختلاف يسير، وهكذا في ١١٥/٢٥، وأيضاً في الصّراط المستقيم: ١٣٤/٢.

(٢) بحار الأنوار: ٨٠/٤٢، وفي ٣١٧/٤٧ باختلاف يسير، وهكذا في ١٤٥/٥١.

(٣) الغيبة للنعماني: ١٦٩، وبحار الأنوار: ١١٢/٥٢، ومثله في غيبة الطوسي: ٤٥٥، باختلاف يسير، وهكذا في بحار الأنوار: ١٤٥/٥١، وفي ١٣٥/٥٢ أيضاً.

٣٤ ـ وعنه عليه السلام ، عن القائم عليه السلام : « يا أبا بصير ، هو الخامس من ولد ابني موسى ، ذلك ابن سيّدة الإماء ، يغيب غيبة يرتاب فيها المبطلون ، ثمّ يظهره الله عزّ وجلّ فيفتح على يديه مشارق الأرض ومغاربها ، وينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلّي خلفه ، وتشرق الأرض بنور ربّها ، ولا تبقى في الأرض بقعة عبد فيها غير الله عزّ وجلّ إلّا عبد الله فيها ، ويكون الدين كلّه لله ولو كره المشركون »[1].

٣٥ ـ عن الصّادق عليه السلام أيضاً : « ينتج الله في هذه الأمّة رجلاً منّي وأنا منه ، يسوق الله به بركات السّماوات والأرض ، فتنزل السّماء قطرها ، وتخرج الأرض بذرها ، وتأمن وحوشها وسباعها ، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، ويقتل ، حتّى يقول الجاهل : لو كان هذا من ذرّيّة محمّد لرحم »[2].

٣٦ ـ وعن الإمام الكاظم عليه السلام في حديث : قيل له : ويكون في الأئمّة من يغيب ؟

قال : « نعم ، يغيب عن أبصار النّاس شخصه ولا يغيب عن قلوب

---

(١) بحار الأنوار : ١٤٦/٥١ . كمال الدّين : ٣٤٥ .

(٢) بحار الأنوار : ١٤٦/٥١ .

المؤمنين ذكره ، وهو الثّاني عشر منّا ، يُسهّل الله له كلّ عسير ، ويذلّل له كلّ صعب ، ويظهر له كنوز الأرض ، ويقرّب له كلّ بعيد ، ويبير به كلّ جبّار عنيد ، ويهلك على يديه كلّ شيطان مريد ، ذاك ابن سيّدة الإماء ، الّذي تخفى على النّاس ولادته ، ولا يحلّ لهم تسميته حتّى يظهره (الله) عزّ وجلّ فيملأ به الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملئت جوراً وظلماً »[١].

٣٧ ـ وعنه عليه السلام : أنّه قيل له : يابن رسول الله ، أنت القائم بالحقّ ؟

فقال : « أنا القائم بالحقّ ، ولكنّ القائم الّذي يُطهّر الأرض من أعداء الله عزّ وجلّ ، ويملؤها عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ، هو الخامس من ولدي ، له غيبة يطول أمدها خوفاً على نفسه ، يرتدّ فيها أقوام ، ويثبت فيها آخرون ».

ثمّ قال عليه السلام : « طوبى لشيعتنا المتمسّكين بحبلنا في غيبة قائمنا ، الثّابتين على موالاتنا ، والبراءة من أعدائنا ، أُولئك منّا ، ونحن منهم ، قد رضوا بنا أئمّةً ، ورضينا بهم شيعةً ، فطوبى لهم ، ثمّ طوبى لهم ، وهم والله معنا في درجاتنا يوم القيامة »[٢].

---

(١) بحار الأنوار : ٥١/١٥٠ ، وجاء في كمال الدين : ٣٦٨ باختلاف يسير.

(٢) كمال الدّين : ٣٦١ ، وجاء في كفاية الأثر للخزّاز القمّي : ٢٦٩ بـ

٣٨ ـ وعن الهروي ، قال: سمعت دعبل بن عليّ الخزاعي يقول: أنشدتُ مولاي عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام قصيدتي الّتي أوّلها:

مدارسُ آيات خَلَتْ من تلاوةٍ ومنزلُ وحيٍ مُقفرُ العرصات

فلمّا انتهيت إلى قولي:

خروج إمام لامحالة خارج يقوم على اسم الله والبركاتِ
يميز فينا كلَّ حقٍّ وباطلٍ ويجزي على النّعماء والنّقماتِ

بكى الرّضا عليه السلام بكاءً شديداً، ثمّ رفع رأسه إليّ فقال لي: **«يا خزاعي، نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين. فهل تدري من هذا الإمام، ومتى يقوم؟»**.

فقلت: لا، يا مولاي إلّا أنّي سمعت بخروج إمام منكم يُطهّر الأرض من الفساد، ويملؤها عدلاً (كما ملئت جوراً)، فقال:

«يا دعبل، الإمام بعدي محمّد ابني، وبعد محمّد ابنه عليّ، وبعد عليّ ابنه الحسن، وبعد الحسن ابنه الحجّة القائم المنتظر في غيبته، المطاع في ظهوره، لو لم يبق من الدّنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله عزّ وجلّ ذلك اليوم حتّى يخرج فيملؤها عدلاً كما ملئت جوراً.

⇐ باختلاف يسير، وهكذا في البحار: ١٥١/٥١، وفي كشف الغمّة: ٣٣/٣

وأمّا متى ؟ فإخبار عن الوقت ، ولقد حدّثني أبي ، عن أبيه ، عن آبائه عليهم السلام أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قيل له : يا رسول الله ، متى يخرج القائم من ذرّيّتك ؟ فقال : مَثَلُه مِثْلُ السّاعة الّتي لا يجلّيها لوقتها إلّا هو ، ثقلت في السّماوات والأرض ، لا تأتيكم إلّا بغتة »[١].

٣٩ ـ عن محمّد بن عليّ الجواد عليه السلام ، قال : « إنّ القائم منّا هو المهدي الّذي يجب أن ينتظر في غيبته ، ويطاع في ظهوره ، وهو الثّالث من ولدي ، والّذي بعث محمّداً صلى الله عليه وآله بالنبوّة ، وخصّنا بالإمامة أنّه لو لم يبق من الدّنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يخرج فيه ، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملئت جوراً وظلماً ، وإنّ الله تبارك وتعالى ليصلح أمره في ليلته ، كما أصلح أمر كليمه موسى عليه السلام ؛ إذ ذهب ليقتبس لأهله ناراً فرجع وهو رسول نبيّ ».

ثمّ قال عليه السلام : « أفضل أعمال شيعتنا انتظار الفرج »[٢].

---

(١) كمال الدّين : ٣٧٣ ، ومثله باختلاف يسير في البحار ، وفي كفاية الأثر للخزّاز : ٢٧٦ ، وعيون أخبار الرّضا عليه السلام : ١/٢٩٧ . شرح الأخبار للمغربي : ٣/٣٥٢ . بحار الأنوار : ٤٩/٢٣٧ و : ٥١/١٥٤ .

(٢) كمال الدّين : ٣٧٧ . ومثله باختلاف يسير في كفاية الأثر للخزّاز : ٢٨١ ، والخرائج والجرائح : ٣/١١٧١ ، الصّراط المستقيم للعاملي : ٢/٢٣١ ، وبحار الأنوار : ١٥٦ ، وإعلام الورى : ٢/٢٤٢ .

٤٠ ـ عن عبدالعظيم الحسني: قلت لمحمّد بن عليّ بن موسى عليه السلام: إنّي لأرجو أن تكون القائم من أهل بيت محمّد، الّذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

فقال عليه السلام: «يا أبا القاسم، ما منّا إلّا قائم بأمر الله عزّ وجلّ، وهادٍ إلى دين الله، ولست القائم الّذي يُطهّر الله به الأرض من أهل الكفر والجحود، ويملؤها عدلاً وقسطاً، هو الّذي يخفى على النّاس ولادته، ويغيب عنهم شخصه، ويحرم عليهم تسميته، وهو سميّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وكنيُّهُ، وهو الّذي تطوى له الأرض، ويذلّ له كلّ صعب، يجتمع إليه من أصحابه عدد أهل بدر، ثلاثمأة وثلاثة عشر رجلاً، من أقاصي الأرض، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعاً إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1]، فإذا اجتمعت له هذه العِدّة من أهل الأرض، أظهر أمره، فإذا أكمل له العقد وهو عشرة آلاف رجل، خرج بإذن الله، فلا يزال يقتل أعداء الله حتّى يرضى الله تبارك وتعالى».

قلت له: يا سيّدي، وكيف يعلم أنّ الله قد رضي؟

---

(١) سورة البقرة: ١٤٨.

قال: «يلقي في قلبه الرّحمة»[١].

٤١ ـ وعنه عليه السلام: «الإمام بعدي ابني، أمره أمري، وقوله قولي، وطاعته طاعتي»، وذكر في ابنه الحسن مثل ذلك ثمّ سكت، فقيل له: يابن رسول الله، فمن الإمام بعد الحسن؟ فبكى عليه السلام بكاءً شديداً.

ثمّ قال: «إنّ من بعد الحسن ابنه القائم بالحقّ، المنتظر»، فقيل: يابن رسول الله ولم سمّي القائم؟

قال: «لأنّه يقوم بعد موت ذكره، وارتداد أكثر القائلين بإمامته».

قيل: ولم سُمّي المنتظر؟

قال: «لأنّه له غيبة تكثر أيّامها، ويطول أمدها، فينتظر خروجه المخلصون، وينكره المرتابون، ويستهزئ بذكره الجاحدون، ويكذب فيها الوقّاتون، ويهلك فيها المستعجلون، وينجو فيها المسلّمون»[٢].

---

(١) بحار الأنوار: ١٥٧/٥١ و: ٢٨٣/٥٢، ومثله باختلاف يسير في: إعلام الورى: ٢٤٢/٢، والاحتجاج: ٢٥٠/٢، وكفاية الأثر: ٢٨٢، وكمال الدّين: ٣٧٨.

(٢) كمال الدين: ٣٧٨، بحار الأنوار: ٣٠/٥١ و: ١٥٨/٥١. الأنوار البهيّة: ٣٤٧.

٤٢ ـ عن الإمام عليّ بن محمّد الهادي ﷺ: «الخلف من بعدي ابني الحسن، فكيف لكم بالخلف بعد الخلف؟».

فقلت: ولِمَ جعلني الله فداك؟

فقال: «لأنّكم لا ترون شخصه، ولا يحلّ لكم ذكره باسمه».

قلت: فكيف نذكره؟

قال: «قولوا الحجّة من آل محمّد ﷺ»[(١)].

٤٣ ـ وعنه ﷺ: «صاحب هذا الأمر من يقول النّاس إنّه لم يولد بعد»[(٢)].

٤٤ ـ عن محمّد بن عليّ بن بلال أنّه قال: خرج إليَّ من أبي محمّد الحسن بن عليّ العسكري ﷺ قبل مضيّه بسنتين يخبرني بالخلف من بعده، ثمّ خرج إليَّ من قبل مضيّه بثلاثة أيّام يخبرني بالخلف من بعده[(٣)].

٤٥ ـ وعن أبي هاشم الجعفري، قال: قلت لأبي محمّد الحسن بن

---

(١) كمال الدّين: ٣٨١، ٦٤٨. كفاية الأثر للخزّاز: ٢٨٩، ومثله أحاديث كثيرة لكن باختلاف يسير.

(٢) الخرائج والجرائح: ١١٧٣/٣. بحار الأنوار: ١٥٩/٥١.

(٣) الإرشاد: ٣٤٨/٢، ومثله باختلاف يسير في بحار الأنوار: ٣٣٥/٥١.

عليّ عليه السلام: جلالتك تمنعني من مسألتك، أفتأذن لي أن أسألك؟

فقال: «سَلْ».

فقلت: يا سيّدي، هل لك ولد؟

قال: «نعم».

فقلت: فإن حدث بك حدث فأين أسأل عنه؟

قال: «بالمدينة»[1].

٤٦ ـ عن عمرو الأهوازي، قال: أراني أبو محمّد عليه السلام ابنه، وقال: «هذا صاحبكم بعدي»[2].

٤٧ ـ وعن العمري، قال: مضى أبو محمّد عليه السلام وخلّف ولداً له[3].

٤٨ ـ وعن أبي محمّد العسكري عليه السلام: «كأنّي بكم وقد اختلفتم بعدي في الخلف منّي، أما إنّ المقرّ بالأئمّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله،

---

(١) شرح أُصول الكافي: ٢٢٦/٦. ومثله باختلاف يسير في: الكافي: ٣٢٨/١. روضة الواعظين: ٢٦٢. الإرشاد: ٣٤٨/٢. الغيبة للطوسي: ٢٣٢. بحار الأنوار: ١٦١/٥١. كشف الغمّة: ٢٤٦/٣.

(٢) روضة الواعظين: ٢٦٢. شرح الأخبار للمغربي: ٣١٤/٣. الإرشاد: ٣٤٨/٢. إعلام الورى: ٢٥٢/٢. كشف الغمّة: ٢٤٦/٣.

(٣) الإرشاد: ٣٤٩/٢. المستجاد من الإرشاد للعلّامة الحلّي: ٢٣٨. كشف الغمّة: ٢٤٦/٣.

المنكر لولدي، كمن أقرّ بجميع أنبياء الله ورسله ثمّ أنكر نبوّة محمّد ﷺ، والمنكر لرسول الله ﷺ كمن أنكر جميع أنبياء الله؛ لأنّ طاعة آخرنا كطاعة أوّلنا، والمنكر لآخرنا كالمنكر لأوّلنا، أما إنّ لولدي غيبة يرتاب فيها النّاس إلّا من عصمه الله عزّ وجلّ»[1].

٤٩ ـ عن محمّد بن عثمان العمري، عن أبيه، قال: سئل أبو محمّد الحسن بن عليّ عليه السلام وأنا عنده عن الخبر الّذي روي عن آبائه عليهم السلام: «أنّ الأرض لن تخلو من حجّة لله على خلقه إلى يوم القيامة، وأنّ من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة».

فقال عليه السلام: «إنّ هذا حقّ كما أنّ النّهار حقّ».

فقيل له: يابن رسول الله، فمن الحجّة والإمام بعدك؟

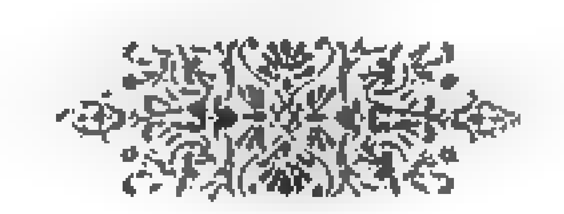
فقال: «ابني محمّد هو الإمام والحجّة بعدي، من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهليّة، أما إنّ له غيبة يحار فيها الجاهلون، ويهلك فيها المبطلون، ويكذب فيها الوقّاتون، ثمّ يخرج فكأنّي أنظر إلى الأعلام البيض تخفق فوق رأسه بنجف الكوفة»[2].

---

(١) كمال الدّين: ٤٠٩، ومثله في بحار الأنوار: ١٦٠/٥١ مع اختلاف يسير، وفي إعلام الورى: ٢٥٢/٢، وهكذا في كشف الغمّة: ٣٣٥/٣.

(٢) إعلام الورى: ٢٥٣/٢، ومثله باختلاف يسير في كشف الغمّة: ⇦

٥٠ ـ عن أحمد بن إسحاق بن سعد، قال: سمعت أبا محمّد الحسن بن عليّ العسكري عليهما السلام يقول: «الحمد لله الّذي لم يخرجني من الدّنيا حتّى أراني الخلف من بعدي، أشبه النّاس برسول الله صلى الله عليه وآله خَلْقاً وخُلُقاً، ويحفظه الله تبارك وتعالى في غيبته، ثمّ يظهره فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً»[1].



⇦ ٣/٣٣٥، وكفاية الأثر: ٢٩٦.

(١) كمال الدّين: ٤٠٩. كفاية الأثر: ٢٩٥. بحار الأنوار: ٥١/١٦١.

الدّرس التّاسع عشر

شبهات وردود / ١

بسم الله الرحمن الرحيم

□ **ورد في بعض أحاديث العامّة عن رسول الله ﷺ: «المهدي من ولدي، اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي»، ونحن نقول: إنّ أباه الإمام الحسن العسكري عليه السلام كما قالوا أيضاً إنّه من صلب الحسن بن عليّ عليه السلام، وهو عندنا من صلب الحسين عليه السلام، فما الحلّ؟**

■ أوّلاً: لقلّة اهتمام العامّة بشأن المهدي عجّل الله فرجه، ممّا أدّى هذا التّساهل وعدم الاهتمام إلى وضع أخبار وأحاديث محرّفة في كتبهم عن المهدي عليه السلام، ليصرفوا وجه الأُمّة عن المهدي المنتظر الموعود أرواحنا فداه، رغم اعترافهم بأنّه عليه السلام من عترة رسول الله ﷺ، وقد عـهدنا

منهم ذلك في كلّ ما يثبت موقفاً أو فضيلة أو مقاماً لأهل البيت صلوات الله عليهم.

ثانياً: لعبت الأنظمة السياسية، لاسيّما في العهد العبّاسي، دوراً كبيراً في وضع هذه الأحاديث والترويج لها صرفاً للوجوه عن المهدي صلوات الله عليه، وهذه الحالة ظهرت في عصر أبي العبّاس السفّاح والمنصور الدّوانيقي قبل قيام بني العبّاس وإنشاء ملكهم حين سعى بنوالعبّاس وأزلامهم إلى تنصيب محمّد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام بعد أن لقّبوه بالمهدي الموعود ليصرفوا وجوه النّاس عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام بعد أن لم يستجيبا للقيام معهم على الدولة الأُمويّة، وهكذا ليصرفوا الوجوه عن سائر أئمّة أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين، تبعاً لذلك، وإن قام وخرج محمّد بن عبدالله رضي الله عنه بعد ذلك على المنصور في خلافته، حتّى نال الشّهادة على يديه[1].

---

(١) راجع: مقاتل الطالبيّين: ١٦٦ ـ ١٨٣. المسائل الجاروديّة للشيخ المفيد: ١١. هامش الاحتجاج: ١٣١ و ١٥٣. الخرائج والجرائح: ٧٦٤. عمدة الطّالب لابن عنبسة: ٥١، و: ١٠٢ ـ ١٠٥. بحار الأنوار: ٢٠٥/٤٧ و: ٢٩١/٤٧.

ثالثاً: تكرّرت الحالة ذاتها في عهد المهدي العبّاسي الّذي ادّعى أيضاً أنّه المهدي الموعود[1]، وكان اسمه محمّد المهدي ابن عبدالله المنصور.

رابعاً: وعادت هذه الدّعوى في العهد الفاطمي ـ في الدّولة الفاطمية ـ إبّان حكم الخليفة الفاطمي الأوّل المهدي أو الثّالث المنصور بالله، أو المعزّ لدين الله، الّذي ادّعى المهدويّة لنفسه، وغيرهما[2].

وكيف كان فإنّه زور وبهتان وتزوير للحقائق المسلّمة، وتلاعب في التّأريخ، بل هو تزوير وتلاعب في عقائد المسلمين، وهو من أقبح أنواع التّزوير وأشنعه، الّذي يكشف عن مدى حقد رواتها، ومدى حقد هؤلاء الوضّاعين الكذّابين، لأهل بيت رسول الله ﷺ وعترته الهاديّة، ويعبّر عن صلافة الواضعين والرّاوين لها، وجهل المعتقدين بها، وسيأتي في محلّه إن شاء الله تعالى جملة ممّن ادّعى المهدويّة.

---

(١) بحار الأنوار: ٨٦/٥١، الهامش (١) و: ١٨٩/٥١، الهامش (١) أيضاً. معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام للكوراني: /٦٥ و: ١٨٩/١.

(٢) شرح الأخبار للنعماني: ٨٨/١، وفي: ٦٢/٢ و٢٩٣ و٣٤٩ و٣٥٠، وراجع هامش الجزء الثّاني منه للمحقّق المدقّق العلّامة السيّد الجلالي ـ دام عزّه ـ صفحة ٣٥٠.

□ كلّ ما ورد في هذا الفصل من الأحاديث كان عن المصادر الشّيعيّة ، فهلّا أوردتم شيئاً بهذا الخصوص عن مصادر غيرهم من المسلمين ؟

■ بلى ، سيأتي في الفصل القادم بحث مفصّل حول المهدي صلوات الله عليه في مصادر المسلمين ، وأقوال علماء الفريقين ، إن شاء الله تعالى .

□ في بعض الأخبار أنّ المهدي صلوات الله عليه سيأتي بدين جديد ، فهل هذا صحيح ؟ وما المراد منه ؟

■ نعم ، ورد ذلك على لسان المعصومين عليهم صلوات الرّحمن ، واشتهر عنهم ، وليس المراد أنّه سيأتي بدين سوى دين جدّه المصطفى ﷺ ، بل يكون الدّين قبل ظهوره أرواحنا له الفداء قد انطمس نوره ، واندرست معالمه ، وحُرِّفت أحكامه ، وأُخفيت حقائقه ، كما سيأتي تفاصيلها في الأبواب الّتي عقدناها لبيان علامات قبل الظّهور ، ومنها قوله عليه الصّلاة والسّلام : « سيأتي على النّاس زمان لا يبقى من الإسلام إلّا اسمه ، ولا من القرآن إلّا رسمه »[1] .

---

(١) الكافي : ٨/٣٠٨ . كنز العمّال : ١١/٢٨٠ . ومثله باختلاف يسير روايات كثيرة في كتب الطرفين .

⇦

أضف إلى ذلك اختلال أحوال المؤمنين وارتداد أكثرهم عن الدّين وانحرافهم عن الصّراط المبين، تبعاً لوقوع الخلل والانحراف في الشّريعة الغرّاء، حتّى يصير المؤمن كالكبريت الأحمر، بل أعزّ منه ومن حمر النّعم، وحينئذٍ يبدو إحياء الدّين وتجديد معالمه بمثابة الإتيان بدين جديد؛ إذ الجيل الّذي يظهر فيه مولانا الإمام المهدي روحي فداه أبعد ما يكون عن روح الإسلام وأحكامه وقوانينه بسبب ما يحدق به من سوء التّعليم والتّربية، ولهذا نسبت هذه المقولة إلى النّاس المعاصرين لظهور الحجّة صلوات الله عليه.

وهذا لا يمنع من وجود طائفة قليلة العدد، ضعيفة العدّة والمدد، لا يكترثون بما حلّ بعامّة النّاس، وما يجري على معظم الشّعوب، من الوقوع في حبائل الفتن ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾[1] والسّقوط في هاوية الضّلال، ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ

⇨ وقال مولانا أمير البيان صلوات الله وسلامه عليه: «مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا بِاسْمِهِ، وَلَا تَعْرِفُونَ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا رَسْمَهُ» ـ نهج البلاغة: ٢/١٥٥.

وقال عليه السلام: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَىٰ فِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رَسْمُهُ، وَمِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا اسْمُهُ» ـ نهج البلاغة: ٤/٨٧.

(١) سورة العنكبوت: ٢.

وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللهِ﴾[1]؛ لتكون هذه الفئة القليلة أُمّة تهدي إلى الحقّ وتتمسّك بأواصر الدّين المبين، رابطة الجأش، ثابتة القدم، راسخة الخطى، لا تأخذها في الله لومة لائم، وهي الفرقة الناجية المتمسّكة بالحبل المتين: «إنّي تارك فيكم الثّقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً»[2]، فتكون حجّة على سائر الطّوائف والأُمم، يحتجّ بهم على من استسلم منهم للغواية، ومن مال عن سبل الهداية.

□ **جاء في بعض الأخبار ـ كالحديث الثّالث ـ أنّ «من أنكر القائم من ولدي فقد أنكرني»، فما وجه الملازمة بين إنكار الإمام المهدي عليه السلام وبين إنكاره صلى الله عليه وآله؟**

---

(١) سورة البقرة: ٢١٤.

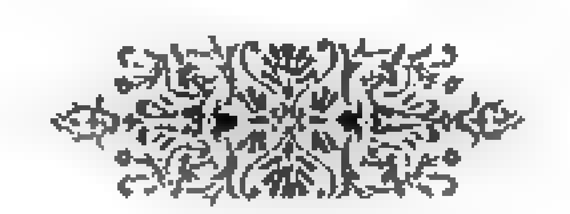
(٢) خلاصة عبقات الأنوار: ٢٨/١. ومثله باختلاف يسير أو كثير في الألفاظ مع اتّحاد في المعنى:
مناقب أمير المؤمنين عليه السلام: ١١٣/٢. المسترشد للطبري الشّيعي: ٥٥٩. دلائل الإمامة: ٢٠. الهداية الكبرى للخصيبي: ١٨. التّعجب للكراجكي: ٢٨. أمالي المفيد: ٣٦. أمالي الطّوسي: ٢٢٣. الاحتجاج: ١٤٧/٢. العمدة لابن بطريق: ٧١. ذخائر العقبى: ١٦. بحار الأنوار: ١٠٠/٢، ٢٢٦ و: ٢١/٥.

■ الوجه في غاية الوضوح بعد الّذي ذكرناه في المقدّمة، وفي طيّ الدروس السابقة، محصّل ذلك أنّ الإمام المهدي أرواحنا له الفداء هو الوصيّ الخاتم للنبيّ الخاتم ﷺ الّذي تعقد على ظهوره آمال الأنبياء، وجاءت به وبدولته بشارات الكتب السّماويّة، والمأمول الّذي تتحقّق به وبظهوره دولة الحقّ، فهو عصارة جهود الأنبياء، لا سيّما نبيّنا ﷺ، وخلاصة شرائع السّماء، سيّما الشّريعة الإسلاميّة الغرّاء؛ إذ بصارمه المحمّدي ينقطع دابر الكفر والنفاق ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾[1]، وبصولته الحيدريّة تتحقّق إرادة الله تبارك وتعالى في خلقه، وحكمته في أرضه وسماءه، وبطلعته البهيّة تشرق الأرض بنور ربّها، وبيديه ينصب ميزان العدل في أرجاء المعمورة، وبخروجه تظهر آيات الله وآلاؤه وبيّناته، وتقطع أيدي الظّالمين، ويجرّ الظّلم أذيال الخيبة من الأرض ليرحل بشقاءه من غير رجعة، فلا يكون الحكم إلّا لله، ولا يكون التّحكيم إلّا إلى وليّ الله أرواحنا فداه، ليملأها قسطاً وعدلاً بعدما ملئت جوراً وظلماً، وإذا تمّ ذلك تجلّى لك وجه الملازمة بين إنكار هذا صلوات الله عليه وإنكار ذاك ﷺ؛ إذ ينجز الله على يدي هذا ما وعد به ذاك ﷺ، فالوصي

---

(١) سورة البقرة: ١٩٣.

الخاتم أرواحنا له الفداء يحقّق كلّ ما جاء به ومن أجله النبيّ الخاتم ﷺ.



الدّرس العشرون

شبهات وردود / ٢

بسم الله الرحمن الرحيم

□ **في الحديث التّاسع المروي عن رسول الله ﷺ: «ذاك الّذي وجهه كالدينار، وأسنانه كالمنشار، وسيفه كحريق النّار، يدخل الجبل ذليلاً، ويخرج منه عزيزاً...الخ» هلّا وضّحت لنا ذلك كلّه؟**

■ أمّا قوله ﷺ: «وجهه كالدينار» فإنّه يرمز إلى أنّ وجهه يتلألأ كدينار الذّهب وقطعة الذّهب المصفّى في سماحته وبشاشته وصفائه وصدقه ووضوحه وخلوّه من الغشّ والرّياء والشّوائب كلّها.

وأمّا قوله ﷺ: «أسنانه كالمنشار» لعلّة بيان لوصف أسنانه أنّها مرتّبة على هيئة أسنان المنشار، أي غير متلاصقة، بل بينها فواصل

وفجوات، ولعلّه إشارة إلى أنّ بيانه فرقان كحدّ المنشار يفصل بين الحقّ والباطل.

و«سيفه كحريق النّار» إشارة إلى أنّه سيخرج بسيف رسول الله ﷺ وهو ذو الفقار، الّذي في قطعه لدابر الظّالمين، واستئصال الكافرين والمعاندين كحديد من النّار، أو كحريق من النّار يُصبّ فوق رؤوسهم.

وأمّا دخوله روحي له الفداء الجبل ذليلاً، فإشارة إلى قلّة ناصريه ووحدته في أزمنة حال الغيبة، وخروجه بعد ذلك منه عزيزاً منصوراً عند اكتمال ناصريه واجتماع الخلق إليه وانقيادهم له.

□ **جاء في الرّواية الثّانية عشرة عن أمير المؤمنين عليه الصّلاة والسّلام: «ألا فمن ثبت منهم على دينه لم يقس قلبه لطول أمد غيبة إمامه»، فما المراد من ذلك؟**

■ المراد أنّ الانقطاع عن الإمام المعصوم أيّاً كان، وعدم الاتّصال به مباشرة يبعث على قساوة القلب ونسيان الآخرة ونتيجته تكون ﴿نَسُوا اللهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾[1] و: ﴿نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[2]؛

---

(١) سورة الحشر: ١٩.

(٢) التّوبة: ٦٧.

لأنّه الحجّة الّذي يذكّر العبد بالله تعالى وبالآخرة ، والحبل المتين الّذي يوصله ويربطه بربّه جلّ وعلا ، ممّا يحول دون قساوة قلبه ، ويقرّبه إلى ربّه جلّت عظمته ، فكان لابدّ من وجود بديل ينفي قساوة القلب عن العبد ، ويعوّضه عن انقطاعه عن إمامه ﷺ ، ولا بديل عن ذلك إلّا التّعلّق والارتباط به مع الواسطة من خلال أصحابه ونوّابه ووكلاءه الخواصّ ، أو نوّابه بالنيابة العامّة كالفقهاء والمجتهدين والعلماء والمحدّثين ممّن توفّرت فيهم الخصال الحميدة من الورع والتّقوى ، فيعمل بما رووه عنه ﷺ وأفتوا به في كافّة مجالات الحياة ومرافقها ، وهذا الأمر لا يختصّ بالإمام الغائب عجّل الله تعالى فرجه ، وإنّما شامل للأئمّة الأطهار جميعاً للظروف الّتي حالت دون اتّصال العباد بهم.

□ **ما المراد من الحديث الثّالث عشر : « يقال : مات أو هلك ، بل في أي وادٍ سلك » ؟**

■ ذلك إشارة منه صلوات الله عليه إلى اختلاف أقوال المسلمين وآرائهم في شأن المهدي المنتظر أرواحنا له الفداء ، وسيأتي مفصّلاً عند البحث عن الغيبة إن شاء الله تعالى .

□ ما المراد بالرجعة البيضاء في الحديث الرّابع عشر ؟

■ اعلم أنّنا نحن أصحاب الفرقة الناجية نعتقد أنّ هناك رجعتين: رجعة للإمام المهدي الموعود بعد غيبة طويلة ، وهو حيٌّ يرزق ؛ ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، وقد عقد هذا الكتاب لهذه الرّجعة ، وهناك رجعة أُخرى لمن رحلوا عن دار الفناء إلى دار البقاء ، وغابوا بأجسامهم عنّا ، وهي لرسول الله ﷺ والأئمّة من آله صلوات الله عليهم وجملة من خيار أصحابهم رضوان الله عليهم ، وللأشرار من أعدائهم الّذين قاتلوهم أو قتلوهم وظلموهم ؛ ليحكم رسول الله وأهل بيته ﷺ وخيار أصحابهم بين النّاس بالقسط والعدل في دار الدّنيا ، ويقتصّوا وينتقموا ممّن ظلمهم قبل يوم القيامة ، وستأتي تفاصيل هذه الرّجعة في ختام الحلقة الأخيرة من هذه المجموعة إن شاء الله تعالى.

□ في بعض الأخبار -كما في الخبر السّابع عشر- أنّه: «ما منّا أحد إلّا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلّا القائم» ، وفي الخبر أيضاً: «لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج» ، فما المراد من هذه البيعة ؟ وكيف يكون في عنقهم عليهم السلام بيعة للطواغيت ؟ وكيف لا تكون في عنق الحجّة أرواحنا فداه

بيعة ؟ وهل تمنع البيعة للطاغية من الخروج عليه ؟ أم ماذا ؟

■ اعلم أنّ البيعة سيرة عقلائيّة أقرّها الشّارع الحكيم في الإسلام وهي تؤخذ للحاكم ، ويجب في الإسلام أن تعطى البيعة للحاكم والخليفة العادل المنصوب من قِبل رسول الله ﷺ ؛ لما يتمتّع بها من حقّ الولاية على المسلمين ، ولا تجوز مبايعة غير الخليفة والإمام العادل المعصوم إلّا أن تؤخذ البيعة غصباً أو تعطى تقيّة ، فإنّها جائزة حينئذٍ ، بل واجبة ، وكان في عهد الخلافة الإسلاميّة المغتصبة نظام المبايعة للأمير والخليفة والحاكم أمراً محسوماً ، ونظاماً سياسياً مفروضاً متداولاً لا محيص للنّاس ـ لا سيّما الوجوه والسّادة والمشاهير منهم ـ دون الرّضوخ والتّسليم لها والخضوع أمامها ، وإلّا كان مآلهم القتل ومصيرهم الاغتيال والغدر ، ولم يكن أئمّة أهل البيت صلوات الله عليهم بمنأى من هذه المأساة ولا بملجأ أو مفرّ من هذا البلاء ، حتّى أُرغم الإمام أمير المؤمنين صلوات الله عليه على البيعة للثلاثة الأوائل ، ثمّ أُرغم الإمام الحسن عليه السلام على بيعتهم والبيعة لمعاوية ، وكان تخلّف سيّد الشّهداء والسّبط الأصغر وريحانة رسول الله ﷺ الإمام الحسين صلوات الله عليه عن البيعة ليزيد بن معاوية لعنه الله سبباً في إخراجه من المدينة ومكّة وقتله هو وجميع أهل بيته

وأصحابه شرّ قتلة لم يسبق لها نظير، كما أدّى إلى سبي عياله ونساءه وهم آل الرّسول ﷺ، ومن بعده لزمت البيعة أعناق أئمّتنا لخلفاء الجور وطواغيت الزّمان خلفاً عن سلف بالتقيّة، حتّى انتهت بوفاة الإمام الحسن العسكري صلوات الله عليه، كلّ ذلك حقناً لدمائهم، وصوناً لشيعتهم من السّجن والقتل والاغتيال، هكذا جرت بيعة الطّواغيت بدعة وظلماً وجوراً على أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

وأمّا الحجّة المنتظر فإنّه بعدما جرى عليه قلم التّقدير بالغيبة، واحتجبه الله تعالى خلف ستار الغيب، فحجبه عن أعين النّاس، سلم من التّسليم والرّضوخ لبيعة طواغيت الزّمان لعدم المسوّغ من تقيّة، ولا الإكراه بعد احتجابه أرواحنا له الفداء عن الأنظار، حتّى انتهت فترة الخلافة المغتصبة، المنتزعة من أهلها زوراً وغدراً، وولّى دعاتها وارتفعت بذلك بدعة البيعة للخلفاء المزعومين والسّلاطين الجبابرة، وأنعم الله تعالى علينا بنظام دولي حاكم لا يقوم على أساس البيعة، وحرّر الشّعوب من قيودها، رغم ما في هذا النّظام العالمي الحديث من مساوئ لا يختلف عليها اثنان، لكنّ البيعة ونظام المبايعة للطواغيت الّذي استعبد الشّعوب الإسلاميّة في تلك العصور من أسوء ما تجرّعته تلك الشّعوب، ولاسيّما الأحرار منها، في عصر الخلافة

المزعومة ، لهذا خفيت البيعة وآثارها وسلبياتها ومآسيها عن أذهان أجيالنا في العصور المتأخّرة ، ولم يعد لها ذكر إلّا في طيّات الكتب وبين صفحات التّأريخ.

وبما أنّ البيعة كانت تؤخذ أو تعطى على السّمع والطّاعة لخليفة المسلمين وعدم الخروج عليه ، فإنّ الخروج عليه كان يعرّض المعصوم عليه السلام لسخط من جهة النّاس والمسلمين ، وتأليباً لمشاعر النّاس ، وتأجيجاً للعوامّ ضدّه عليه السلام من قِبل النّظام الحاكم وأجهزة إعلامه ، ممّا يثبّط عزم المسلمين عن نصرته والقتال معه.

نعم ، لا يعني ذلك أنّ طاعة الخليفة المزعوم كانت تجب على من بايعوه ، كلّا لا تجب طاعته لا لمن بايعه طوعاً ولا لمن بايعه كرهاً ، بل لا تجوز طاعته مطلقاً مع الإمكان ووجود المندوحة عن الطّاعة ؛ إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، ولكن من جهة أنّه لا بدّ للنّاس من أمير برّ أو فاجر ، فلا تجوز المخالفة أو الخروج على القوانين دفعاً للضرر الجسيم والمفسدة العظيمة ، وهي استلزام ذلك مفسدة الهرج والمرج الّتي يجب دفعها بكلّ السّبل الممكنة والوسائل المتاحة ، وذلك صوناً للفروج ، وحقنا للدماء ، وحفظاً للحقوق ، واستتباباً للأمن.

□ **في الرواية (١٨): «يصلح الله تبارك وتعالى أمره في ليلة**

واحدة»، ماذا تعني هذه الرّواية، وكيف يمكن ذلك؟

■ المراد أنّ الله تعالى يوفّر أسباب ظهوره عليه السلام في ليلة واحدة، وهو على كلّ شيء قدير، فلا عجب من ذلك.

□ **ما معنى قوله عليه السلام في الحديث (٢٢): «الطّريد، الشّريد، الموتور بأبيه،.. الخ؟**

■ الطّريد الّذي يطارده الأعداء من فجّ إلى فجّ، والمهدي أرواحنا له الفداء أتمّ مصاديق هذا الوصف؛ لأنّه الطّريد منذ ما يربو على ألف ومئتي عام.

والشّريد هو المشرّد من أهله ودياره ووطنه، وهو عليه السلام أيضاً أتمّ مصاديقه، سيّما أنّه مشرّد كلّ هذه السّنين عن حقوقه الحقّة.

والموتور هو المنقطع المفجوع، وأي فجيعة وانقطاع أعظم من فجيعة الحسين عليه الصّلاة والسّلام، ومن أشدّ انقطاعاً عن جدّه وفجيعة بجدّه كمولانا الحجّة أرواحنا فداه، فهو الفرد الوتر الّذي لا نظير له في الخلائق بعد أجداده الطّاهرين، وهو الموتور بأبيه. وأمّا أنّه مكنّى بأبيه فهو أنّه صلوات الله عليه يكنّى بكنية عمّه الإمام الحسن المجتبى صلوات الله وسلامه عليه كما يكنّى بكنية جدّه صلى الله عليه وآله وسلم وهي (أبو القاسم)، وقيل: أُريد به كنيته بأبي عبدالله الّتي هي كنية عمّه

جعفر بن أبي طالب رضوان الله تعالى عليه ، وستكون الفترة الّتي تستغرقه قتاله للأعداء حتّى تحقيق النّصر وإقامة الدّولة هي ثمانية أشهر ، وفي بعضها بين ثمانية وتسعة أشهر.

□ **في الحديث (٢٧) : « عليك بسنّته » ، هل للإمام المهدي عجّل الله فرجه سُنّة خاصّة عدا سُنّة رسول الله ﷺ ؟**

■ كلّا ، هي سُنّة رسول الله ﷺ يحييها وينشرها من جديد ، ولا بأس من نسبة الدّين أو المذهب أو السُّنّة إلى محييها وناشرها أحياناً ،حدث ذلك في نسبة التّشيع إلى الإمام الصّادق صلوات الله عليه حتّى لم يعرف إلّا بالمذهب الجعفري ، وحصل منه التّبادر الّذي هو دليل الحقيقة ؛ لكثرة الاستعمال.

□ **في الرواية (٢٨) عن الإمام الباقر عليه السلام « المكنّى بكنيتي » ، فكيف ذلك ؟**

■ المراد أنّ ممّا يكنّى به الإمام المهدي صلوات الله عليه (أبو جعفر) ، وهي نفس كنية الإمام الباقر صلوات الله عليه.



الدّرس الحادي والعشرون

الإمام المهدي عليه السلام في مصادر المسلمين / ١

بسم الله الرحمن الرحيم

أهمّيّة الاعتقاد بالمهدي الموعود أرواحنا فداه وعظمة شأنه، والغاية السّامية الّتي من أجلها خلق المنتظر الموعود عجّل الله تعالى فرجه، والحقيقة الّتي أحكمتها الأحاديث وجرى عليها قلم التّحقيق والتّوكيد من صاحب الرّسالة صلى الله عليه وآله، حفّزت علماء الإسلام على بذل المزيد من العناية والاهتمام بهذا الشأن الّذي بات أعظم هاجس يؤرّق ضمائرهم، ويزرع الأمل في نفوسهم، وهذا الحدث المرتقب الّذي سيغيّر وجه التّأريخ، وتعود بركاته على الخلائق كافّة، لهذه الأسباب وتلك العلل بذلوا المساعي الحثيثة، وصرفوا الهمم العالية، عاكفين على التّحقيق والتّدقيق عبر الكتابة والتّأليف أملاً منهم في ترسيخ دعائم هذه الحقيقة الغيبيّة، وعملاً بما أملت عليهم الوظيفة الشّرعيّة

من التّبليغ والإرشاد وتوعية الأجيال ، الّتي ظلّت مسؤولية جسيمة عالقة في أعناقهم ، من واقع قوله ﷺ : **«زكاة العلم نشره»**[1] .

وكان لعلماء الإماميّة رضوان الله تعالى عليهم قصب السّبق ، والقدح المعلّى ، والمساهمة العظمى في رفع هذا اللّواء ، ونشر هذه المعالم ، وساهم غيرهم من علماء المسلمين في التّعريف بالمهدي الموعود عجّل الله تعالى فرجه مساهمة دون ما آلت إليه مساعي علماء الإماميّة ، كمّاً وكيفاً ، رغم اختلاف مشاربهم وانتماءاتهم العقائديّة والفكريّة .

فماذا قال علماء الإسلام بهذا الخصوص ، وماذا خطّت أقلامهم ودوّن بنانهم ؟

أوّلاً : الكتب الّتي ألّفها الفريقان من الشّيعة والسّنّة في هذا المجال :

أ ـ أشهر الكتب الشّيعيّة :

كمال الدّين وتمام النّعمة

تأليف : المحدّث الجليل والعالم الكبير الشيخ أبي جعفر محمّد بن

(١) وفي الخبر المروي عن أبي جعفر (الباقر عليه السلام) قال : «زكاة العلم أن تعلّمه عباد الله» ـ الكافي : ٤١/١ .

عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي، الملقّب بالشيخ الصّدوق ـ أعلى الله مقامه الشّريف ـ.

ولد بمدينة قم، أخذ الفقه والحديث من كبار الفقهاء والمحدّثين في عصره كأبيه عليّ بن بابويه، ومحمّد بن الحسن بن الوليد، وأحمد بن عليّ بن إبراهيم بن هاشم القمّي، وأحمد بن محمّد بن يحيى العطّار الأشعري القمّي، والحسن بن إدريس القمّي، وحمزة بن محمّد العلوي، وهم جميعاً من أعلام الطّائفة في العلم والورع.

في عام ٣٤٧هـ. ق هاجر إلى الرّي، وسمع الحديث من الشّيخ أبي الحسن محمّد بن أحمد بن عليّ الأسدي.

وانتقل في عام ٣٥٢هـ. ق إلى مدينة نيشابور ليستفيد من علمائها، وذهب منها إلى المشهد الرّضوي على ساكنه آلاف التّحية والثّناء، ومنه إلى الكوفة، ثمّ بغداد، ثمّ همدان، ثمّ بلخ، ثمّ سرخس، ثمّ إيلاق، ومنه ذهب إلى مكّة المكرّمة، كلّ ذلك حرصاً منه على استماع الحديث وتلقّي العلم من ذويه.

ذكر البعض أنّه تلقّى العلم والحديث عند أكثر من مأتين وخمسين عالماً ومحدّثاً كلّهم من الأجلّاء وذوي الاختصاص، حتّى بلغ أعلى مراتب العلم والمعرفة، وأُطلق عليه «رئيس المحدّثين».

قال رضوان الله عليه في علّة تأليفه لهذا الكتاب:

«أنّي لمّا قضيت وطري من زيارة عليّ بن موسى الرّضا صلوات الله عليه رجعت إلى نيشابور وأقمت فيها، فوجدت أكثر المختلفين إليّ من الشّيعة قد حيّرتهم الغيبة، ودخلت عليهم في أمر القائم عليه السلام الشّبهة، وعدلوا عن طريق التّسليم إلى الآراء والمقاييس، فجعلت أبذل مجهودي في إرشادهم إلى الحقّ، وردّهم إلى الصّواب بالأخبار الواردة في ذلك عن النّبيّ والأئمّة صلوات الله عليهم، حتّى ورد إلينا من بخارا شيخ من أهل الفضل والعلم والنّباهة ببلدة قم، طال ما تمنّيت لقاءه واشتقت إلى مشاهدته لدينه وسديد رأيه واستقامة طريقته، وهو الشّيخ نجم الدّين أبو سعيد محمّد بن الحسن بن محمّد بن أحمد بن عليّ بن الصّلت القمّي ـ أدام الله توفيقه ـ وكان أبي يروي عن جدّه محمّد بن أحمد بن عليّ بن الصّلت ـ قدّس الله روحه ـ ويصف علمه وعمله وزهده وفضله وعبادته، وكان أحمد بن محمّد بن عيسى في فضله وجلالته يروي عن أبي طالب عبدالله بن الصّلت القمّي رضي الله عنه، وبقي حتّى لقيه محمّد بن الحسن الصّفّار وروى عنه، فلمّا أظفرني الله تعالى ذكره بهذا الشّيخ الّذي هو من أهل هذا البيت الرّفيع شكرت الله تعالى ذكره على ما يسّر لي من لقائه وأكرمني به من إخائه وحباني به

من ودّه وصفائه ، فبينا هو يحدّثني ذات يوم إذ ذكر لي عن رجل قد لقيه ببخارا من كبار الفلاسفة والمنطقيّين كلاماً في القائم عليه السلام قد حيّره وشكّكه في أمره لطول غيبته وانقطاع أخباره ، فذكرت له فصولاً في إثبات كونه عليه السلام ، ورويت له أخباراً في غيبته عن النّبيّ والأئمّة عليهم السلام سكنت إليها نفسه ، وزال بها عن قلبه ما كان دخل عليه من الشكّ والارتياب والشّبهة ، وتلقّى ما سمعه من الآثار الصّحيحة بالسمع والطّاعة والقبول والتّسليم ، وسألني أن أُصنّف (له) في هذا المعنى كتاباً ، فأجبته إلى ملتمسه ووعدته جمع ما ابتغي إذا سهّل الله لي العود إلى مستقرّي ووطني بالرّي. فبينا أنا ذات ليلة أُفكّر فيما خلّفت ورائي من أهل وولد وإخوان ونعمة إذ غلبني النّوم ، فرأيت كأنّي بمكّة أطوف حول بيت الله الحرام وأنا في الشّوط السّابع عند الحجر الأسود أستلمه وأُقبّله ، وأقول: أمانتي أدّيتها ، وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة ، فأرى مولانا القائم صاحب الزّمان ـ صلوات الله عليه ـ واقفاً بباب الكعبة ، فأدنو منه على شغل قلب وتقسم فكر ، فعلم عليه السلام ما في نفسي بتفرّسه في وجهي ، فسلّمت عليه ، فردّ عليّ السّلام ، ثمّ قال لي: «لِمَ لا تُصنّف كتاباً في الغيبة حتّى تكفي ما قد همّك ؟». فقلت له: يابن رسول الله ، قد صنّفت في الغيبة أشياء ، فقال عليه السلام : «ليس على ذلك السّبيل آمرك أن تصنّف (ولكن صنّف) الآن كتاباً في الغيبة ،

واذكر فيه غيبات الأنبياء عليهم السلام»، ثمّ مضى صلوات الله عليه، فانتبهت فزعاً إلى الدّعاء والبكاء والبثّ والشّكوى إلى وقت طلوع الفجر. فلمّا أصبحت ابتدأت في تأليف هذا الكتاب ممتثلاً لأمر وليّ الله وحجّته، مستعيناً بالله ومتوكّلاً عليه ومستغفراً من التّقصير. وما توفيقي إلّا بالله، عليه توكّلت وإليه أُنيب»[1].

بدأ الكتاب بمقدّمة عالية المضامين، في غاية الأهمّيّة، ثمّ تعرّض للعناوين التّالية وبحثها بحثاً وافياً، قال عنه العلّامة المحقّق الأُستاذ علي أكبر الغفّاري في مقدّمته:

«كتاب بليغ في موضوعه، ممتاز في بابه، وما رؤي في هذا الموضوع كتاب أنبل منه، ولا أعذب مشرعاً، ولا أطيب منزعاً، ليس لأحد من المتقدّمين ولا المتأخّرين مثله على كثرة ما صنّفوا في ذلك في حدّة الفكر، ونفاذ الخاطر، وما لمؤلّفه من الذّكاء والنّباهة.

تشرق آراؤه القيّمة في تضاعيفه، وأومضت بروق علومه في صفحاته، تدلّ على تضلّعه وبراعته وحسن إيراده وإصداره.

يبحث فيه بحثاً تحليلياً عن شخصيّة الإمام الغائب عليه السلام، ووجوده،

---

(١) كمال الدّين: ٣.

وغيبته، وما يؤول إليه أمره عليه السلام. كلّ ذلك بالأخبار الّتي وردت عن المعصومين عليهم السلام، ويناضل ويبارز فيه مخالفيه ومنكريه، وأجاب عن شبهاتهم، وردّ على تشكيكاتهم ببراهين ساطعة وحجج بالغة داحضة. وأطال البحث في ردّ المنكرين، وأورد فيه أبحاثاً ضافية في إثبات إمامته عليه السلام وغيبته، ويوطّد دعواه المدعومة بالبرهان بآي من القرآن وصحاح من الأخبار عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وعترته الأخيار ما لامزيد عليه.

وجمع فيه ما روي في هذا الموضوع واشتهر بين النّاس، صحيحاً كان أو ضعيفاً، حسناً كان أو زيفاً، لكن لم يحتجّ إلّا بالصحاح أو بالمجمع عليه أو المتواتر منها.

وقال في غير موضع منه كما في ص٥٢٩ و ٦٣٨ بعد نقل أخبار: ليس هذا الحديث وما شاكله من أخبار المعمّرين وغيرهم ممّا اعتمده في أمر الغيبة ووقوعها؛ لأنّ الغيبة إنّما صحّت لي بما صحّ عن النّبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام من ذلك بالأخبار الّتي بمثلها صحّ الإسلام وشرابعه وأحكامه»[1].

(١) مقدّمة المحقّق: ١٩.

ثمّ شرع في الردّ على شبهات الفِرق الإسلامية المختلفة في غيبة الإمام أرواحنا له الفداء، كالكيسانيّة والنّاووسيّة والواقفيّة والزّيديّة وغيرها.

ثمّ أقام أجلى البراهين وأسطع الأدلّة على وجود الإمام الغائب روحي له الفداء مستشهداً بحياة الأنبياء ومستنداً إلى الأئمّة الهداة عليهم السلام.

تنبيه: وإن كان هذا الكتاب كسائر كتب الحديث لا يخلو من روايات مرسلة أو ضعيفة لكنّه يحوي كثيراً من الصّحاح والحسان من الأخبار، واعتمد في إثبات الغيبة والظّهور على الصّحيح منها دون غيرها.

الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد

تأليف: المحدّث المتكلّم جامع المعقول والمنقول الشّيخ محمّد بن محمّد بن النّعمان العكبري، الملقّب بالشيخ المفيد ـ أعلى الله مقامه الشّريف ـ.

زعيم الطّائفة الحقّة بلا منازع في القرنين الرّابع والخامس الهجريّين. ولد عام ٣٣٦هـ. ق في قرية عُكبرا، كان أبوه من أهل البصرة، انتقل إلى واسط واشتغل بالتدريس وكان معلّماً بها،

لهذا لقّب الشّيخ المفيد بابن المعلّم قبل أن يلقّب بالمفيد ، ثمّ أخذه أبوه إلى مدينة بغداد ليشتغل بالتعليم.

تلقّى الشّيخ المفيد دراسته وعلومه في بغداد حتّى تشرّف بمحضر الأعلام كالصدوق ، ومحمّد بن جنيد الإسكافي ، وأبي عليّ الصّولي ، وأبي غالب الرّازي ، وابن قولويه القمّي ، وغيرهم.

شرع بالتدريس في جانب الكرخ من بغداد ، فتخرّج من حلقات درسه العديد من العلماء الأعلام كالسيّد المرتضى علم الهدى ، والسيّد الرّضي ، والنّجاشي ، والشّيخ الطوسي وابن حمزة وأضرابهم.

توفّي عام ٤١٣هـ. ق ودفن بمنزله في بغداد ، حتّى نقلوا جثمانه إلى مقبرة قريش فيما بعد ودفنوه إلى جوار الإمام الجواد عليه السلام .

مؤلّفاته كثيرة جدّاً عدّ النّجاشي منها (٧٨) كتاباً ، منها كتاب الإرشادالّذي خصّ القسم الأخير من الجزء الثّاني منه بحياة الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه مستنداً في ذلك إلى الأدلّة العقليّة والنقليّة.

الفصول العشرة في الغيبة

تأليف: زعيم الطّائفة الأوحد الشّيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه.

تعرّض فيه للإجابة على عشرة أسئلة حول الإمام المهدي صلوات الله عليه، وهي رسالة تمثّل أهمّ آراءه ﷺ وتغني عن سائر ما كتبه في هذا المجال.

وقد طبع باسم «المسائل العشرة في الغيبة» و«الأجوبة عن المسائل العشرة».

وهي عبارة عن مسائل هامّة حول الإمام الحجّة صلوات الله عليه يجيب عنها، وهي غاية في الأهميّة لمن أراد الاطّلاع على حياة الإمام وغيبته والمذاهب الشّيعيّة المختلفة.

رسالة ثانية في الغيبة

تأليف: زعيم الطّائفة الشّيخ المفيد أعلى الله مقامه الشّريف.

وهو عبارة عن الإجابة على مجموعة من الأسئلة الّتي وردته من مسائل عن الغيبة والظّهور، والدّليل العقلي والنّقلي على وجود صاحب الأمر أرواحنا له الفداء.

وقد أثرى الشّيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه المكتبة الإسلامية

بهذه الكتب وغيرها من الرّسائل حول صاحب العصر والزّمان عجّل الله تعالى فرجه، مثل: «خمس رسائل في إثبات الحجّة»، وقد طبعت له أربع رسائل أُخرى في هذا الخصوص.

إثبات الوصيّة للمسعودي

تأليف: المؤرّخ الجليل والمحدّث والرّجالي الخبير أبي الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ المسعودي.

أخذ علومه في بغداد ثمّ انتقل إلى مصر ومنها إلى البصرة كلّ ذلك سعياً وراء طلب العلم والمعرفة، كما سافر إلى جملة من المدن الفارسيّة في ذلك الزّمان، وهكذا الهند والصّين وأنهى سياحته العلميّة هذه في عمّان الأردن، ثمّ سافر إلى فلسطين والشّام طلباً للزيادة من جديد حتّى حطّ رحاله بمصر ومات فيها.

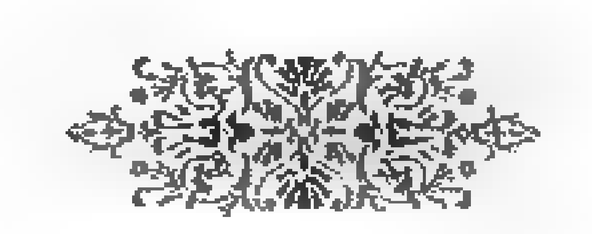
والكتاب دراسة مفصّلة في تأريخ خلق الجنّ والإنس والملائكة وجنود العقل والجهل، وتأريخ الأنبياء لاسيّما نبيّنا الخاتم صلى الله عليه وآله، ونزول القرآن و...، ثمّ تأريخ الأئمّة الأطهار والأحداث الّتي وقعت في عهدهم وجرت عليهم، وفي الختام تعرّض لإثبات إمامة صاحب العصر أرواحنا فداه وجملة من خصائصه وانتظار الفرج وعلائم الظّهور.

كفاية الأثر

تأليف: الفقيه المحدّث القدير والثّقة المتكلّم النّحرير أبي القاسم عليّ بن محمّد بن عليّ الخزّاز القمّي الرّازي، من علماء القرن الرّابع الهجري، ومن تلامذة الشّيخ الصّدوق ﷺ. ولد بمدينة قم المقدّسة وعاش بالرّي، وهذا الكتاب أثر نفيس حول الإمام المهدي أرواحنا له الفداء وفي غاية الجودة والإتّقان.

كتاب الغيبة

تأليف: العلّامة، المحدّث، الشّيخ محمّد بن إبراهيم النّعماني من تلامذة الشّيخ الصّدوق، ومن أعلام القرن الرّابع الهجري، بحث فيه مسألة الإمامة وأهمّ ما يتعلّق بحياة الإمام الغائب ﷺ على ضوء الأخبار والأحاديث.



الدّرس الثّاني والعشرون

الإمام المهدي عليه السلام في مصادر المسلمين / ٢



المقنع في الغيبة

تأليف: زعيم الطّائفة ونقيب الطّالبيّين، الفقيه المحدّث المتكلّم الجامع للمعقول والمنقول السيّد المرتضى علم الهدى من نوابغ القرن الرّابع والخامس الهجريّين، تلمّذ على يد الشّيخ المفيد أعلى الله مقامهما، وغيره من أعلام ذلك العصر، بعد ما ولد في بغداد، وتخرّج من حلقات درسه الكثير من الأعلام.

هذه الرّسالة رغم صغر حجمها تعدّ من أتقن وأفضل ما كتب في هذا المجال، تحوي أدلّة عقليّة ونقليّة على ولادته وغيبته وظهوره وعلمه عليه الصّلاة والسّلام.

البرهان على صحّة طول عمر صاحب الزّمان (عج)

تأليف: العلّامة الفقيه، والمتكلّم النّبيه، والمحدّث الخبير محمّد الكراجكي الطّرابلسي. تلمّذ على يد الشّيخ المفيد ﷺ وغيره من أعلام ذلك العصر.

ففي الجزء الثّاني من كتابه كنز الفوائد الّذي يعدّ من أعظم تصانيف الإماميّة تعرّض للبحث عن طول عمر صاحب الزّمان أرواحنا له الفداء، وقدّم فيه بحثاً وافياً.

إعلام الورى بأعلام الهدى

تأليف: الفقيه، المحدّث، المفسّر، أمين الإسلام، أبي عليّ الفضل بن الحسن الطوسي.

ولد بمدينة طوس الفارسيّة، وتلقّى علومه فيها وفي غيرها من المراكز العلميّة الشّيعيّة.

وقدّم في كتابه هذا بحثاً وافياً شافياً حول الإمام الغائب ﷺ.

كتاب الغيبة

تأليف: شيخ الطّائفة وزعيمها بلا منازع، الفقيه، المتكلّم، المحدّث، الجامع للعلوم، أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي أعلى الله

مقامه الشّريف.

ولد في طوس من محافظة خراسان الفارسيّة، ثمّ هاجر إلى العراق ونزل بغداد، أدرك الشّيخ المفيد فتلمّذ على يده طيلة خمسة أعوام، وحضر ما يربو على عشرين عاماً عند السّيّد المرتضى علم الهدى وغيره من الأعلام، وتزعّم الطّائفة حتّى لقّب بشيخها إلى هذا اليوم.

وفي كتابه هذا الّذي يعدّ من أركان الكتب في هذا الخصوص، قدّم بحثاً وافياً مفصّلاً متقناً مستدلّاً قلّ له من نظير حول شخصيّة الإمام وغيبته وظهوره وكلّ ما يحوم حوله صلوات الله عليه.

كشف الغمّة في معرفة الأئمّة

تأليف: العلّامة، المحدّث، أبي الحسن عليّ بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي رحمه الله.

ولد في أربيل شمال العراق، وهو من أعلام القرن السّابع الهجري، كتابه هذا أثر قيّم يستحقّ التّقدير والثّناء، تعرّض في القسم الأخير من الجزء الثّالث لحياة الإمام صاحب الزّمان عجّل الله فرجه، ويتميّز بحثه بالجودة والاتقان، مستوفياً بذلك أهمّ جوانب حياته وما يتعلّق به وبظهوره ودولته الكريمة، ثمّ الإجابة والردّ على أهمّ الشّبهات الّتي تحوم حوله صلوات الله عليه.

شرعة التّسمية حول حرمة التّسمية

تأليف: العلّامة المحقّق، والفقيه الأُصولي، الفيلسوف المدقّق، السّيّد محمّدباقر الدّاماد، الملقّب «مير داماد»، أو «المحقّق الدّاماد». أخذ علومه في مدينة مشهد المقدّسة وتلمّذ على أيدي أساطين عصره. وكتابه هذا عبارة عن بحث علمي محقّق حول مسألة جواز تسمية الإمام عليه السلام في عصر الغيبة أو كراهته أو حرمته.

بحار الأنوار

تأليف: المحقّق المحدّث، والفقيه المسدّد مولانا العلّامة محمّدباقر المجلسي نوّر الله ضريحه المقدّس.

من الأعلام الذين لا تخفى على الأنام جلالة قدره وعظمة شأنه، وكتابه أشهر من نار على علم، حتّى اشتهر رحمه الله به فسمّي بصاحب البحار. فقد عقد الجزء الثّاني عشر منه بالطبعة القديمة، والأجزاء ٥١ و ٥٢ و ٥٣ ـ بحسب الطبعة الجديدة ـ للبحث عن حياة مولانا الحجّة صاحب الزّمان أرواحنا له الفداء، وقد أشبع ذلك بحثاً وتدقيقاً وتحقيقاً وتعليقاً، وهو من أفضل ما كتب في هذا المجال، ولم تخل سائر أجزاء هذا الكتاب من التعرّض لأحاديث المهدي صلوات الله عليه، وما يتعلّق بحياته أرواحنا فداه.

المحجّة فيما نزل في القائم الحجّة (عج)

تأليف: العلّامة الفقيه، والمفسّر المحدّث، السيّد هاشم البحراني رحمه الله، من أعلام القرن العاشر والحادي عشر الهجريّين، تناول في هذا الكتاب بحثاً قرآنياً حول الإمام صاحب الزّمان عجّل الله فرجه، على ترتيب السّور، فاستخرج الآيات المفسَّرة أو المؤوّلة بالأخبار في الإمام صلوات الله عليه، وعدّها مأةً وعشرين آية في الكتب الرّوائيّة.

النّجم الثّاقب في أحوال الإمام الغائب

تأليف: المحقّق المدقّق المتكلّم، والفقيه الرّجالي والمحدّث العلّامة الشّيخ الميرزا حسين النّوري الطبرسي قدّس الله نفسه، شرع في التّعليم بمدينة طهران، ثمّ هاجر إلى العراق واستقرّ في النّجف الأشرف، فتلقّى علومه على أيدي الأعلام والفحول كالشيخ الأعظم الأنصاري رحمه الله، ثمّ الميرزا حسن الشّيرازي رحمه الله بسامراء، ثمّ عاد ليستقرّ بمدينة النّجف الأشرف حتّى فارق الحياة. الكتاب ألّفه باللّغة الفارسيّة.

قال عنه المحدّث النّحرير، والرّجالي الخبير، الشّيخ عبّاس القمّي أعلى الله مقامه في الفوائد الرّضوية: «أمّا علمه فأحسن فنّه الحديث.

ومعرفة الرّجال، والإحاطة بالأقوال، والاطّلاع بدقايق الآيات، ونكات الأخبار بحيث تتحيّر العقول عن كيفيّة استخراجه جواهر الأخبار عن كنوزها، وترجع الأبصار حاسرة عن إدراك طريقته في استنباط إشاراتها ورموزها».

ويتألّف كتابه هذا من اثني عشر باباً تبدأ بالولادة وتنتهي بظهوره عليه السلام.

كشف الأستار

تأليف: أُستاذ الفقهاء في عصره ووحيد دهره، خاتمة المحدّثين الحاج الميرزا حسين النّوري الطّبرسي نوّر الله مرقده.

من أفضل ما كتب في هذا المجال، وهو بحث تحليلي روائي قيّم، يتضمّن فوائد جمّة.

أعيان الشّيعة

تأليف: العلّامة المحقّق، والرّجالي المدقّق، السّيّد محسن الأمين العاملي رحمه الله.

ولد بقرية شقرا من قرى جبل عامل، أنهى دراسته للمقدّمات فيها، ثمّ هاجر إلى النّجف الأشرف وحضر دروس أعلامها.

وكتابه هذا عبارة عن دائرة معارف شيعيّة لمشاهير الطّائفة وأعلامها وزعمائها ، تعرّض في شطر منه للبحث عن الإمام صاحب العصر والزّمان أرواحنا فداه على ضوء الأخبار والرّوايات وأقوال الأعلام من العلماء ، مستوفياً بذلك البحث عن أهمّ جوانب حياته عليه السلام منذ الولادة حتّى الظّهور ، كما يتعرّض فيه إلى الرّدّ على أهل الشّبهات . وهي إحدى عشرة شبهة بناءً على ما في الكتاب .

المهدي

تأليف : العلّامة الفقيه ، والأُصولي النّبيه ، السّيّد صدرالدّين الصدر رحمه الله .

ولد رحمه الله بمدينة كاظمين أو الكاظميّة في أُسرة علميّة عريقة ، تلقّى علومه الابتدائيّة حتّى السّطوح بمدينتي سامراء وكربلاء ، وتلمّذ على أساطين العلم كالشيخ الآغا ضياء الدّين الملقّب بالمحقّق العراقي ، ثمّ هاجر إلى النّجف الأشرف وحضر فيها لدى الفقيه الأُصولي المحقّق المدقّق العلّامة زعيم الحوزات في عصره الشّيخ الآخوند الخراساني المشهور بصاحب الكفاية ، ثمّ تلميذه النّحرير وفحل الزّمان العلّامة الميرزا النّائيني رحمه الله ، ثمّ رحل إلى مدينة مشهد المقدّسة ، ثمّ انتقل إلى قم المقدّسة بدعوة من مؤسّس الحوزة فيها المرحوم الشّيخ عبدالكريم

الحائري ﷺ ، وأقام فيها حتّى فارق الحياة ، وقبره معروف في الحرم الشّريف إلى جوار قبر الشّيخ أعلى الله مقامها.

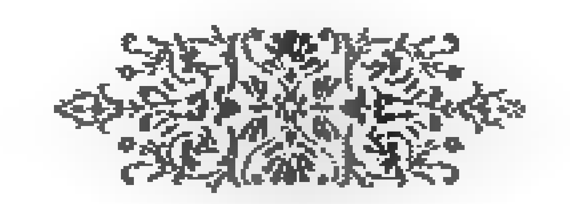
كتابه عبارة عن دراسة علميّة تحقيقيّة مفصّلة حول الإمام المهدي عجّل الله فرجه ، استناداً إلى العقل والنّقل مستوفياً بذلك جميع الجوانب الشّخصيّة وما يرتبط بحياته وولادته وظهوره عليه أفضل الصّلاة وأتمّ التّسليم ، كما هو عبارة عن دراسة تأريخيّة وتحقيق في كتب العامّة واستقراء آرائهم واستقصاء أقوالهم ممّا لا يدع مجالاً للشكّ والشّبهة حول شخصيّة الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه.

أثبت فيه أنّه ﷺ بشارة الله تبارك وتعالى وأنبياءه.

منتخب الأثر

تأليف: آية الله العظمى الصّافي الگلپايگاني دام ظلّه.

كتاب روائي تحقيقي تحليلي ، بحث فيه كلّ ما يتعلّق بشخص الإمام الثّاني عشر عجّل الله تعالى فرجه وسيرته وحياته وغيبته وظهوره ودولته الكريمة.



الدّرس الثّالث والعشرون

الإمام المهدي عليه السلام في مصادر المسلمين / ٣



ب ـ أشهر الكتب السُّنيّة :

نور الأبصار

تأليف : العلّامة سيّد مؤمن بن حسن بن مؤمن الشّبلنجي ، من أعلام أهل السّنّة.

ولد بقرية شبلنج من قرى مصر العربيّة ، حفظ القرآن في العاشرة من عمره ، تلقّ علومه لدى الشّيخ محمّد الخضري المياطي ، والشّيخ محمّد الأشموني ، والشّيخ محمّد الأنباني ، والشّيخ إبراهيم الشّرقاوي وغيرهم من أعلام ذلك العصر ، خصّ شطراً من هذا الكتاب بما

يتعلّق بشأن المهدي المنتظر صلوات الله عليه من الولادة إلى الغـيبة وأسهبها، بل أشبعها دراسة وافية بالنقد والنّقض والإبرام، وهو من خيرة ما كتبه علماء السّنّة في هذا المجال.

القول المختصر في علامات المهدي المنتظر عليه السلام

تأليف: أحمد بن حجر الهيثمي، من أعلام أهل السّنّة. جمـع فـيه روايات كثيرة عن الإمام المهدي صلوات الله عـليه وأنّـه مـن ولد فاطمة، وتواتر الأخبار بمجيء المهدي، وأنّه من أهـل البـيت مـن صلب الحسن والحسين ـعلى حدّ زعمه ـ، وذكر روايات في أوصافه وشمائله ومدّة ملكه وعدله، وأحداث قبل ظـهوره وكـمال سـياسته وتدبيره، وسياسته الماليّة، وتطبيقه للسنّة النّبويّة الحقّة، واخـتلاف النّاس قبل بيعته، والخسف بأعدائه، وكراماته ومدّة مكثه، وعطائه الغزير، وسائر ما يتعلّق به صلوات الله عليه وعجّل الله تعالى فرجه.

الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي السّاعة

تأليف: السّيد محمّد صدّيق حسن، من علماء الهند.

ولد بمدينة قنوج، وتعلّم في دلهي، واشتغل بالتجارة فـاكـتسب ثروة وافرة، وتزوّج بالملكة بهوبال، ترك آثاراً علميّة ومؤلّفات قيّمه بثلاث لغات: العربيّة والهنديّة والفارسيّة.

بدأ كتابه بالأحاديث الواردة في السنن والجوامع الرّوائية والمسانيد وغيرها من الكتب حول المهدي صلوات الله عليه. واستفاد منها التّواتر، ثمّ تعرّض للردّ على شبهات ابن خلدون حول الإمام المهدي أرواحنا له الفداء، ثمّ أورد كلاماً للشوكاني في معرض التّأييد والتّوكيد على ما ذهب إليه. قال: «والأحاديث الواردة في المهدي الّتي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثاً، فيها الصّحيح والحسن والضّعيف المنجبر، وهي متواترة بلا شكّ ولا شبهة. بل يصدق وصف التّواتر على ما هو دونها على جميع الاصطلاحات المحرّرة في الأُصول، وأمّا الآثار عن الصّحابة المصرّحة بالمهدي فهي كثيرة أيضاً... الخ».

كما أشار فيه إلى كتاب السّيّد العلّامة بدر الملّة والدّين محمّد بن إسماعيل اليماني، وما جمعه من الأخبار الواردة بشأن المهدي عليه السلام من آل محمّد صلى الله عليه وآله، وعلامات الظّهور وغير ذلك.

وكيف كان فقد استوفى البحث عن اسم الإمام سلام الله عليه ونسبه ومولده وغير ذلك، كما تطرّق فيه إلى آراء المتصوّفة والشّيخيّة وغيرهم، كالشيخ العلّامة محمّد بن أحمد السّفاريني الحلبي الّذي ذهب إلى حصول القطع بخروج المهدي عليه السلام من الرّوايات والأخبار، والحكم بوجوب الإيمان بخروجه عليه السلام، وأنّه مدوّن في عقائد أهل السّنّة والجماعة.

التّذكرة في أحوال الموتى وأُمور الآخرة

تأليف: الإمام المفسّر، الفقيه، الحافظ القرطبي.

من أشهر علماء العامّة، كان مالكيّاً، وله تأليفات وتصانيف كثيرة، أشهرها على الإطلاق تفسير القرطبي.

تعرّض في الجزء الثّاني من التّذكرة للبحث عن الإمام المهدي عجّل الله فرجه، وعلامات ظهوره في آخر الزّمان، وتطرّق فيه أيضاً إلى ذكر الموطّئين والممهّدين للمهدي سلام الله عليه ومحلّ ظهوره ﷺ، وغيرها من المباحث الهامّة، والكتاب رغم ما فيه من آراء شاذّة لاأساس لها من الصحّة وأخطاء واضحة إلّا أنّه محاولة حسنة في هذا المجال.

فرائد السّمطين
في فضائل المرتضى والبتول والسّبطين

تأليف: شيخ الإسلام صدرالدّين أبي الجامع إبراهيم بن سعد الدّين محمّد بن المؤيّد الجويني الخراساني، من أعلام أهل السّنّة وحفّاظها. قال عنه الذّهبي في تذكرة الحفّاظ: ١٥٠٥/٤: «الإمام، المحدّث، الأوحد، الأكمل، فخر الإسلام،...» إلى أن قال: «وكان شديد الاعتناء بالرواية وتحصيل الاجزاء، وعلى يده أسلم غازان

الملك... الخ».

خصّ قسماً كبيراً من الجزء الثّاني من كتابه هذا بموضوع الإمام المهدي صلوات الله عليه وما يتعلّق به وبظهوره، وقد أبلى بذلك بلاءً حسناً.

ينابيع المودّة

تأليف: الفقيه المتكلّم، الحافظ، سليمان بن إبراهيم بن القندوزي الحنفي، من أعلام السّنّة وكبار محدّثيها.

ولد عام ١٢٢٠هـ بمدينة بلخ، وهاجر إلى بخارى، ثمّ الهند وأفغانستان طلباً للعلم حتّى نال بذلك أعلى مراتب العلم والمعرفة بين علماء السّنّة في عصره، وحاز بمنصب شيخ الإسلام في بخارى.

تضمّن هذا الكتاب بين طيّاته، وعلى وجه التّحديد من الباب السّبعين فصاعداً، تضمّن مباحث قيّمة حول غيبة الإمام صلوات الله عليه، واعتمد الكثير من روايات الفريقين فيه، ولم يدع شاردة ولا واردة من الأخبار والأحاديث الّتي تعني بشأن الإمام المهدي عجّل الله فرجه إلّا وتعرّض لها.

المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصّحيحة وأقوال العلماء وآراء الفِرق المختلفة

تأليف: الدكتور عبدالعليم عبدالعظيم البستوي، وهو رغم ما فيه من الخلط والخبط وكثرة الخطأ والبعد عن الحقيقة؛ لأنّه لم يعتمد على أحاديث العترة الطّاهرة، لكنّه يستحقّ القراءة، ولنا معه ومع نظرائه وقفة في الحلقة القادمة من هذه السلسلة إن شاء الله تعالى.

وكيف كان فقد قام فيه بدراسة وافية تناسب مذهبه ومعتقده، وقدّم بحثاً روائيّاً محقّقاً تحليليّاً عن الإمام المهدي صلوات الله عليه اعتمد فيه قواعد الجرح والتّعديل عند أهل السّنّة والجماعة، ونحن لا نتوقّع من هؤلاء النّواصب أحسن من هذا، وهذه العلّة لا تختصّ بهذا المؤلّف وكتابه، بل السّنّة جارية فيه وفي أشباهه ممّن يبطنون العداء للعترة الطّاهرة، ويظهرون المحبّة لهم نفاقاً، كنفاق بني أُميّة قتلة أهل البيت عليهم السلام؛ وذلك أنّ هؤلاء يعظّمون أعداء أهل البيت وقاتليهم من الأمويّين والعبّاسيّين وغيرهم، ويتظاهرون بالمحبّة لأهل بيت النّبيّ صلى الله عليه وآله.

وليت شعري كيف حال رسول الله صلى الله عليه وآله مع ظالمي عترته وقاتليهم وناصبي عدائهم وهو القائل: «يا عليّ، حربك حربي، وسلمك

سلمي »[1]، وهو القائل: « **يا عليّ ، لا يحبّك إلّا مؤمن ، ولا يبغضك إلّا منافق** »[2]، وقد رووها ونقلوها لكن قست قلوبهم وأُشربوا في قلوبهم العجل ، ولا أظنّهم يرضون بذلك لأنفسهم ، ذلك أنّك لو عاديت لهم صديقاً أو صادقت لهم عدوّاً عادوك وأبغضوك ، ولو عاديت لهم عدوّاً أو صادقت لهم صديقاً أحبّوك وأكرموك ؛ إذ الإنسان مطبوع مفطور على أن يبغض عدوّه وعدوّ صديقه وصديق عدوّه ، وأن يحبّ صديقه وصديق صديقه وعدوّ عدوّه ، لكنّنا قد ابتلينا بأُناس يكيلون بمكيالين ، لا ينصفون لهم عدوّاً ، ولا يعدلون في الحكم ، بل عالمهم ـ المنتحل للعلم ـ لا يقرأ إلّا ما يريد ويعجبه ، ولا ينصف حتّى في القراءة ونسبة الأقوال إلينا ، بل اعتادوا أن يحرّفوا الكلم عن مواضعه ، فالافتراء والكذب دينهم ، والنّفاق والدّخل ديدنهم ؛ لأنّهم إذا نسبوا إلينا شيئاً فإنّما ينقله بعضهم عن بعض ولا ينقلونه إلّا عن أعدائنا من غير أن يتكلّفوا مراجعة مصادرنا تقليداً لآبائهم وأسلافهم ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ

---

(١) تفسير فرات الكوفي: ٢٦٦ ، شواهد التّنزيل للحسكاني: ٤١٦/١.

(٢) خلاصة عبقات الأنوار: ١٣٥/٣.

وفي رواية: « **لا يحبّه إلّا مؤمن ، ولا يبغضه إلّا منافق** » رواها: الغارات: ٥٢٠/٢ ، الفضائل لابن شاذان: ١٢٢.

آثَارِهِم مُهْتَدُونَ﴾[1]، وإن رجعوا إلى بعض مصادرنا بتروا أقوال سلفنا الصّالح، وعبثت أيديهم الخبيثة بنصوصنا، يحرّفون الكلم عن مواضعه، فتبّاً لهم من علماء سوء ابتليت أُمّة نبيّنا ﷺ بهم. فإنّا لله وإنّا إليه راجعون وسيعلم الّذين ظلموا آل محمّد وشيعتهم حقّهم، أي منقلب ينقلبون، والعاقبة للمتّقين، والحمد لله ربّ العالمين.

أخبار المهدي

تأليف: عباد بن يعقوب الرّواجني، المتوفّى سنة ٢٥٠هـ[2].

كتاب المهدي[3]

تأليف: أبي نعيم أحمد بن عبدالله الاصبهاني، المتوفّى سنة ٤٣٠هـ.

البيان بأخبار صاحب الزّمان

تأليف: محمّد بن يوسف الكنجي الشّافعي، المتوفّى سنة ٦٥٨هـ.

---

(١) سورة الزُّخرف: ٢٢.

(٢) راجع المهدي المنتظر بين التّصوّر والتّصديق لمحمّد حسن آل ياسين: ٣٠.

(٣) هكذا سمّاه ابن القيم والسّيوطي في الجامع الصّغير، لكنّه ذكره في العرف الوردي باسم «الأربعين».

عقد الدّرر في أخبار المهدي المنتظر

تأليف: يوسف بن يحيى السّلمي الشّافعي، المتوفّى سنة ٦٨٥هـ.

المهدي المنتظر

تأليف: ابن قيّم الجوزية، المتوفّى سنة ٧٥١هـ.

كتاب الفتن والملاحم

تأليف: عماد الدّين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، المتوفّى سنة ٧٧٤هـ. فقد أفرد فيه جزءاً على حده في ذكر المهدي كما صنع أيضاً في «البداية والنّهاية».

العُرف الوردي في أخبار المهدي

تأليف: جلال الدّين عبدالرّحمن بن أبي بكر السّيوطي، المتوفّى سنة ٩١١هـ.

تلخيص البيان في علامات مهدي آخر الزّمان

تأليف: ابن كمال باشا الحنفي، المتوفّى سنة ٩٤٠هـ.

المُهدي إلى ما ورد في المهدي

تأليف: محمّد بن طولون الدّمشقي، المتوفّى سنة ٩٥٣هـ.

البرهان في علامات مهدي آخر الزّمان

تأليف: عليّ بن حسام الدّين المتّقي الهندي، المتوفّى سنة ٩٧٥هـ.

المهدي من آل الرسول

تأليف: الملّا عليّ بن سلطان القاريّ، المتوفّى سنة ١٠١٤هـ.

ويُعرف أيضاً باسم: «المشرب الوردي في مذهب المهدي».

العواصم من الفتن القواصم

تأليف: ابن بريدة.

فرائد الفكر في الإمام المهدي المنتظر

تأليف: مرعي بن يوسف الكرمي، المقدّسي الحنبلي، المتوفّى سنة ١٠٣٣هـ.

التّوضيح في تواتر ما جاء في المهدي والمنتظر...

تأليف: القاضي محمّد بن عليّ الشّوكاني، المتوفّى سنة ١٢٥٠هـ.

القطر الشّهدي في أوصاف المهدي

تأليف: شهاب الدّين أحمد بن أحمد بن إسماعيل الحلواني الشّافعي، المتوفّى سنة ١٣٠٨هـ.

العطر الوردي في شرح القطر الشّهدي

تأليف: محمّد بن محمّد بن أحمد الحسيني البلبيسي.

تأليف في المهدي

تأليف: أبي العلاء إدريس بن محمّد بن إدريس الحسيني العراقي.

الهداية النّدية للأُمّة المهديّة...

تأليف: الشّيخ مصطفى البكري.

تحديق النّظر في أخبار الإمام المنتظر

تأليف: محمّد بن عبدالعزيز بن مانع، من علماء نجد في القرن (١٤).

الأربعين في أخبار المهديّين

تأليف: الشّيخ ولاية الله الصّادقبوري الهندي.

تلخيص البيان في علامات مهدي آخر الزّمان

تأليف: حنيف الدّين عبدالرّحمن المرشدي.

المهدي والمهدويّة

تأليف: الدّكتور أحمد أمين.

المرشد المبدي

لفساد طعن ابن خلدون في أحاديث المهدي

تأليف: أحمد بن محمّد بن الصّدّيق.

المهديّة في الإسلام منذ أقدم العصور حتّى الآن

تأليف: سعد محمّد حسن.

عقيدة أهل السّنّة والأثر في المهدي المنتظر

تأليف: عبدالمحسن العبّاد.

قال آية الله العظمى الشّيخ لطف الله الصّافي الگلپايگاني مدّ ظلّه العالي فيما كتبه في الرّدّ على مخاريق بعض المعاندين وافتراءاته وتحامله على الفرقة الإماميّة النّاجية، تحت عنوان (الإيمان بالمهدي عليه السلام فكرة إسلامية) ما هذا نصّه:

«ممّا اتّفق عليه المسلمون خلفاً عن سلف، وتواترت فيه الأخبار عن النّبيّ صلى الله عليه وآله أنّه لابدّ من إمام يخرج في آخر الزّمان من نسل عليّ وفاطمة يسمّى باسم الرّسول، ويلقّب بالمهدي، ويستولي على الأرض، ويملك الشّرق والغرب، ويتبعه المسلمون، ويهزم جنود الكفر، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، وينزل عيسى ويصلّي خلفه... وأخرج جمع من أعلام السنّيّين روايات كثيرة في أنّه من عترة رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن ولد فاطمة، ومن ولد الحسين، وأنّه يملأ الأرض عدلاً، وأنّ له غيبتين، إحداهما تطول، وأنّه الخليفة الثّاني عشر من الخلفاء الّذين أخبر

النّبيّ صلى الله عليه وآله بأنّهم يملكون أمر هذه الأُمّة ، وأنّه لا يزال هذا الدّين منيعاً إلى اثني عشر ، وفي شمائله ، وخلقه ، وخُلقه ، وسيرته بين النّاس ، وشدّته على العمّال ، وجوده بالمال ، ورحمته بالمساكين ، وفي اسم صاحب رايته ، وما كتب فيها ، وكيفيّة المبايعة معه بين الرّكن والمقام ، وما يقع قبل ظهوره من الفتن ، وذهاب ثلثي النّاس بالقتل والموت ، وخروج السّفياني ، واليماني ، والدّجّال ، ووقوع الخسف بالبيداء ، وقتل النّفس الزّكية ، وفي علائم ظهوره ، وأنّه ينادي ملك فوق رأسه : هذا المهدي خليفة الله فاتّبعوه ، وأنّ شيعته يسيرون إليه من أطراف الأرض ، وتطوى لهم طيّاً حتّى يبايعوه ، وأنّه يستولي على الممالك والبلدان ، وأنّ الأُمّة ينعمون في زمانه نعمة لم ينعموا مثلها ، وغيرها من العلائم والأوصاف الّتي اقتطفناها من روايات أهل السّنّة ، فراجع كتبهم المفردة في ذلك:

١ ـ أربعين الحافظ أبي نعيم الاصبهاني .

٢ ـ البيان في أخبار صاحب الزّمان لأبي عبدالله محمّد بن يوسف الكنجي الشّافعي (المتوفّى سنة ٦٥٨هـ) .

٣ ـ البرهان في علامات مهدي آخر الزّمان للعلّامة المتّقي صاحب منتخب كنز العمّال (المتوفّى سنة ٩٧٥هـ) .

٤ ـ العرف الوردي في أخبار المـهدي للسـيوطي (المـتوفّى سـنة ٩١١هـ).

٥ ـ القـول المختصر في عـلامات المـهدي المـنتظر لابـن حـجر (المتوفّى سنة ٩٧٤هـ).

٦ ـ عقد الدرر في أخبار المـنتظر للشـيخ جمـال الدّيـن يـوسف الدّمشقي من أعلام القرن السّابع.

٧ ـ التّوضيح في تواتر ما جاء في المـهدي المـنتظر، والدّجّـال، والمسيح للشوكاني (المتوفّى سنة ١٢٥٠هـ).

أضف إلى ذلك روايات أخرجها أكابر المحـدّثين مـنهم في كـتبهم وصحاحهم ومسانيدهم:

١ ـ كالحاكم النيشابوري.
٢ ـ أحمد بن حنبل.
٣ ـ أبي داود.
٤ ـ ابن ماجة.
٥ ـ التّرمذي.
٦ ـ مسلم.
٧ ـ البخاري.
٨ ـ النّسائي.
٩ ـ ابن عبدالبرّ
١٠ ـ الماوردي.
١١ ـ الطّبراني.
١٢ ـ السّمعاني.
١٣ ـ الرّوياني.

١٤ ـ العبدري. ١٥ ـ ابن عساكر.
١٦ ـ الدّارقطني. ١٧ ـ أبي عمرو الدّاني.
١٨ ـ ابن حبّان. ١٩ ـ البغوي.
٢٠ ـ ابن الأثير. ٢١ ـ ابن الدّيبع.
٢٢ ـ السّهيلي. ٢٣ ـ البيهقي.
٢٤ ـ الصبّان. ٢٥ ـ الشّبلنجي.
٢٦ ـ الشّيخ منصور عليّ ناصيف وغيرهم، ممّن يطول الكلام بذكر أسمائهم»، انتهى كلامه دام ظلّه.

أقول:

١ ـ كابن حجر في عدّة مواضع من لسان الميزان.

٢ ـ وابن حجر في موضعين من الإصابة.

٣ ـ والسيّد إعجاز حسين في مقدّمة كشف الحجب والأستار.

٤ ـ والحاجي خليفة في كشف الظّنون.

٥ ـ وإسماعيل باشا البغدادي في إيضاح المكنون، وهدية العارفين.

٦ ـ ونعيم بن حمّاد المروزي في كتاب الفتن، في مواضع عديدة.

٧ ـ وابن شبة النّميري في تاريخ المدينة.

٨ ـ والطّبري في تأريخه.

٩ ـ وابن كثير في عدّة مواضع من البداية والنّهاية.

١٠ ـ وابن خلدون في تأريخه.

١١ ـ والقاضي عياض في الشّفا بتعريف حقوق المصطفى.

١٢ ـ ومحمّد بن سعد في الطّبقات الكبرى.

١٣ ـ والبخاري في التّاريخ الكبير.

١٤ ـ وأحمد بن حنبل في العلل.

١٥ ـ والعجلي في معرفة الثّقات.

١٦ ـ والعقيلي في الضّعفاء.

١٧ ـ وابن حبّان في مشاهير علماء الأمصار، وفي الثّقات.

١٨ ـ وعبدالله بن عدي في الكامل، في مواضع عديدة.

١٩ ـ وعبدالله بن حيّان في طبقات المحدّثين بإصبهان.

٢٠ ـ والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد.

٢١ ـ وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق، في مواضع كثيرة جدّاً.

٢٢ ـ والمزّي في تهذيب الكمال، في مواضع عديدة.

٢٣ ـ والذّهبي في تذكرة الحفّاظ وميزان الاعتدال، في مواضع عديدة.

٢٤ ـ والجاحظ في سيرة أعلام النّبلاء، في مواضع عديدة.

٢٥ ـ وابن حجر في تهذيب التّهذيب، في مواضع عديدة.

٢٦ ـ والحاكم في مواضع عديدة من المستدرك.

٢٧ ـ وابن حجر في مواضع عديدة من فتح الباري لا سيّما في: ٦/٣٥٨ ـ ٣٥٩.

٢٨ ـ والهيثمي في مجمع الزّوائد، في مواضع عديدة.

٢٩ ـ والآحوذي في عدّة مواضع من تحفة الآحوذي.

٣٠ ـ والعظيم آبادي في عون المعبود، في مواضع عديدة.

٣١ ـ والصّنعاني في المصنّف.

٣٢ ـ وابن شيبة في المصنّف.

٣٣ ـ وأبي داود في سؤالات الآجري.

٣٤ ـ وأبي يعلى في مسنده.

٣٥ ـ وابن حبّان في صحيحه.

٣٦ ـ والطّبري في المعجم الصّغير، والمعجم الأوسط، والمعجم الكبير، ومسند الشّاميّين.

٣٧ ـ والبغدادي في الكفاية.

٣٨ ـ والزّمخشري في الفائق.

٣٩ ـ وابن أبي الحديد في مواضع عديدة من شرح نهج البلاغة.

٤٠ ـ والحارث بن أبي أُسامة في بغية الباحث.

وقال آية الله العظمى الصافي دام ظلّه أيضاً:

«ثمّ أضف إليها تصريحات جماعة من علمائهم بتواتر الأحاديث الواردة في المهدي ﷺ. فلا خلاف بين المسلمين في ظهور المهدي الّذي يملأ الأرض عدلاً... وإنّما الخلاف وقع بينهم في أنّه ولد أو سيولد. فالشيعة الإماميّة يقولون بولادته، وبوجوده، وحياته، وغيبته، وأنّه سيظهر بإذن الله تعالى، وأنّه الإمام الثّاني عشر، وهو ابن عليّ بن أبي طالب ﷺ، ورواياتهم في ذلك تجاوز حدّ التّواتر، معتبرة في غاية الاعتبار، مؤيّدة بعضها ببعض، وكثير منها من الصّحاح، بل مقطوع الصّدور رووها في جمع الطّبقات الأثبات الثّقات من الأجلّاء الّذين لا طريق للغمز فيهم، وإن شئت أن تعرف مقدار ذلك فراجع ما ألّفه الحافظ الجليل الثّقة أبو عبدالله النّعماني بأسانيده العالية، وما ألّفه الشّيخ أبو جعفر محمّد بن الحسن الطّوسي الإمام في جميع العلوم الإسلامية، وكتاب كمال الدّين وتمام النّعمة تأليف الشّيخ المحدّث الكبير محمّد بن عليّ بن الحسين الصّدوق (المتوفّى سنة ٣٨١هـ)، وكتابنا منتخب الأثر، ومئات من الكتب المصنّفة في ذلك.

وهذه الرّوايات مخرجة في أُصول الشّيعة وكتبهم المؤلّفة قبل ولادة الإمام الحجّة بن الحسن العسكري ﷺ، بل قبل ولادة أبيه وجدّه. ومنها كتاب المشيخة لإمام أهل الحديث الشّيخ الثقة الثّبت الحسن بن

محبوب السّرّاد الّذي كتابه هذا في كتب الشّيعة أشهر من كتاب المزني ونظرائه. وصنّفه قبل ولادة المهدي بأكثر من مائة سنة، وذكر فيه أخبار الغيبة، فوافق الخبر المخبر، وحصل كلّما تضمّنه الخبر بلا اختلاف.

وأمّا ولادته عليه السلام، فقد ثبتت بأوكد ما يثبت به أنساب الجمهور من النّاس إذ كان النّسب يثبت بقول القابلة ومثلها من النّساء اللّاتي جرت عادتهنّ بحضور ولادة النّساء وتولّي معونتهنّ عليه. وباعتراف صاحب الفراش وحده بذلك دون من سواه، وبشهادة رجلين من المسلمين على إقرار الأب بنسب الابن منه، وقد ثبتت أخبار عن جماعة من أهل الدّيانة والفضل والورع والزّهد والعبادة والفقه عن الحسن بن عليّ عليهما السلام إنّه اعترف بولادة المهدي عليه السلام، وآذنهم بوجوده، ونصّ لهم على إمامته من بعده، وبمشاهدة بعضهم له طفلاً، وبعضهم له يافعاً وشابّاً كاملاً.

وهذا فضل بن شاذان العالم المحدّث المتوفّى قبل وفاة الإمام أبي محمّد الحسن العسكري عليه السلام روي عنه في كتابه في الغيبة خبر ولادة ابنه المهدي وكيفيّتها وتاريخها، وكانت ولادته عليه السلام بين الشّيعة وخواصّ أبيه من الأمور المعلومة المعروفة، وقد أمر أبوه عليه السلام أن يعقّ

عنه، وعرضه على أصحابه يوم الثّالث من ولادته. والأخبار الصّحيحة الواردة بأسانيد عالية في ذلك كثيرة متواترة جدّاً، وقد أحصى بعض العلماء أسماء جماعة ممّن فازوا بلقائه في حياة أبيه وبعدها، كما قد نقل عن بعض أهل السّنّة الاجتماع به ﷺ، بل أخرج بعض من حفّاظهم مثل حافظ زمانه أحمد بن محمّد بن هاشم البلاذري الحديث عنه ﷺ.

ولقد كان أبوه وشيعته يحفظون ولادته عن أعدائه من بني العبّاس وغيرهم، وكان السّرّ في ذلك أنّ بني العبّاس لمّا علموا من الأخبار المروية عن النّبيّ والأئمّة من أهل البيت ﷺ أنّ المهدي هو الثّاني عشر من الأئمّة، وهو الّذي يملأ الأرض عدلاً، ويفتح حصون الضّلالة، ويزيل دولة الجبابرة أرادوا إطفاء نوره بقتله، فلذا عيّنوا العيون والجواسيس للتفتيش عن بيت أبيه، ولكن أبى الله إلّا أن يجري في حجّته المهدي سنّة نبيّه موسى ﷺ.

وقد ورد في الرّوايات الكثيرة عن آبائه ﷺ خفاء ولادته ﷺ، وشباهته في ذلك بموسى ﷺ. فعلى هذا لم ينبعث الإيمان بظهور المهدي ﷺ إلّا من الإيمان بنبوّة جدّه محمّد ﷺ، وليس في الخصوصيّات المذكورة أمر غير مألوف ممّا لم تجد مثله في هذه الأمّة

أو الأُمم السّالفة ، فلابدّ لمن يؤمن بالله وبالنبيّ الصّادق المصدّق بعد العلم بهذه الأخبار الكثيرة الايمان بظهور المهدي المنتظر صاحب هذا النّسب المعلوم والسّمات والنّعوت المشهورة ، ولا يجوز مؤاخذة الشّيعي بانتظار هذا الظّهور ، ولا يصحّ دفع ذلك بمجرّد الاستبعاد .

ووافق الإماميّة من أعلام السّنيّين في أنّ المهدي هو ابن الحسن العسكري عليهما السلام جمع كثير كصاحب روضة الأحباب ، وابن صبّاغ مؤلّف (الفصول المهمّة) ، وسبط ابن الجوزي مؤلّف (تذكرة الخواصّ) ، والشّيخ نور الدّين عبدالرّحمن الجامي الحنفي في كتاب (شواهد النّبوّة) ، والحافظ محمّد بن يوسف الكنجي الشّافعي مؤلّف (البيان في أخبار صاحب الزّمان) ، والحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الفقيه في (شعب الايمان) ، فإنّه يظهر منه على ما حكي عنه الميل إلى موافقة الشّيعة ، بل اختيار قولهم ؛ وذلك لأنّه نقل عقيدة الشّيعة ولم ينكرها ، وكمال الدّين محمّد بن طلحة الشّافعي (المتوفّى سنة ٦٥٢) ، صرّح بذلك في كتابيه (الدّرّ النّظيم) و (مطالب السّؤول) . وله في مدحه عليه السلام أبيات ، والقاضي فضل بن روزبهان شارح الشّمائل للترمذي ، ومؤلّف (إبطال نهج الباطل) ، وابن الخشّاب ، والشّيخ محيي الدّين ، والشّعراني ، والخواجه محمّد پارسا ، وملك العلماء

القاضي شهاب الدّين دولت آبادي في (هداية السّعداء)، والشّيخ سليمان المعروف بخواجه كلان البلخي القندوزي في (ينابيع المودّة). والشّيخ عامر بن عامر البصري صاحب القصيدة التّائيّة المسماّة بذات الأنوار، وغيرهم من العلماء ممّن يطول بذكرهم الكلام. وقد صرّح بولادته جماعة من علماء أهل السّنّة الأُستاذ في النّسب والتّاريخ والحديث كابن خلّكان في (الوفيات)، وابن الأزرق في (تاريخ ميافارقين) ـ على ما حكى عنه ابن خلّكان ـ وابن طولون في (الشّذرات الذّهبيّة)، وابن الوردي على ما تقل عنه في نور الأبصار والسّويدي مؤلّف (سبائك الذّهب)، وابن الأثير في (الكامل)، وأبي الفداء في (المختصر)، وحمد الله المستوفي في (تاريخ گزيده)، والشّبراوي الشّافعي شيخ الأزهر في عصره في (الاتحاف)، والشّبلنجي في (نور الأبصار)، بل يظهر منه اعتقاده بإمامته، وأنّه المهدي المبشّر بظهوره، وإن شئت أن تقف على أكثر من ذلك فراجع كتابنا (منتخب الأثر) الباب الأوّل من الفصل الثالث منه... الخ» انتهى كلام آية الله العظمى الصّافي دام ظلّه.

أقول: وقد ادّعى الحافظ أبو الحسن محمّد بن الحسين الآبري السّجزي في كتابه «مناقب الشّافعي» تواتر أحاديث المهدي عليه السلام

قائلاً: «وقد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله صلى الله عليه وآله بذكر المهدي، وأنّه يملأ الأرض عدلاً، وأنّ عيسى عليه السلام يخرج فيساعده على قتل الدّجّال، وأنّه يؤمّ هذه الأمّة ويصلّي عيسى خلفه في طول من قصّته وأمره».

وقد نقل هذا الكلام عنه عدد من أئمّة أهل السّنّة وعلماؤهم وارتضوه:

١ ـ كالإمام القرطبي في كتابه «التّذكرة بأحوال الموتى والآخرة».

٢ ـ والإمام أبو الحجّاج المزّي في كتابه «تهذيب الكمال».

٣ ـ والإمام ابن قيم الجوزية في كتابه «المنار المنيف».

٤ ـ والحافظ ابن حجر في «فتح الباري بشرح صحيح البخاري»، وفي «تهذيب التّهذيب».

٥ ـ والسّخاوي في كتابه «فتح المغيث بشرح ألفيّة الحديث».

٦ ـ والسّيوطي في آخر كتابه «العرف الوردي في أخبار المهدي».

٧ ـ وابن حجر الهيثمي المكّي في كتابه «الصّواعق المحرقة»، وأيضاً في كتابه «القول المختصر في علامات المهدي المنتظر» من غير تصريح باسمه، بل قال: قال بعض الأئمّة.

٨ ـ والملاّ عليّ القارئ في كتابه «رسالة المهدي من آل الرّسول».

٩ ـ ومرعي بن يوسف الحنبلي في كتابه «فوائد الفكر في ظهور المهدي المنتظر».

١٠ ـ ومحمّد البرزنجي في كتابه «الاشاعة في أشراط السّاعة».

١١ ـ والزّرقاني في «شرح المواهب».

ومنهم من لم يكتفِ بذكر كلام الآبري، بل نصّ على تواتر الأحاديث الواردة في المهدي عليه السلام:

١ ـ كمحمّد بن رسول الحسيني البرزنجي في كتابه «الاشاعة في أشراط السّاعة»، فإنّه قال في الصّفحة ٨٧: «الباب الثّالث عشر في الأشراط العظام، والأمارات القريبة الّتي تعقبها السّاعة، وهي أيضاً كثيرة، فمنها المهدي وهو أوّلها، واعلم أنّ الأحاديث الواردة فيه على اختلاف رواياتها لا تكاد تنحصر».

وقال أيضاً في الصّفحة ١١٢ منه: «قد علمت أنّ أحاديث وجود المهدي وخروجه آخر الزّمان، وأنّه من عترة رسول الله صلى الله عليه وآله من ولد فاطمة بلغت حدّ التواتر المعنوي فلا معنى لإنكارها».

وقال أيضاً في الصّفحة ١٨٩ منه: «وغاية ما ثبت بالأخبار الصّحيحة الكثيرة الشّهيرة الّتي بلغت حدّ التّواتر المعنوي وجود

الآيات العظام الّتي منها، بل أوّلها، خروج المهدي، وأنّه يأتي في آخر الزّمان من ولد فاطمة، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً».

٢ ـ وهكذا الشّيخ محمّد السّفاريني في كتابه لوائح الأنوار البهيّة (٢/٨٠): «والصّواب الّذي عليه أهل الحقّ أنّ المهدي غير عيسى، وأنّه يخرج قبل نزول عيسى عليه السلام، وقد كثرت بخروجه الرّوايات حتّى بلغت حدّ التّواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السّنّة حتّى عُدّ من معتقداتهم... وقد روي عمّن ذكر من الصّحابة وغير من ذكر عنهم رضي الله عنهم بروايات متعدّدة وعن التّابعين من بعدهم ما يفيد مجموعه العلم القطعي، فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرّر عند أهل العلم، ومدوّن في عقائد أهل السّنّة والجماعة».

٣ ـ والقاضي محمّد بن عليّ الشّوكاني، فقد قال في كتابه: «التّوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدّجّال والمسيح». كما في الاذاعة صفحة ١١٤، وفي نظم المتناثر صفحة ١٤٦: «والأحاديث الواردة في المهدي المنتظر الّتي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثاً، فيها الصّحيح والحسن والضّعيف المنجبر، وهي متواترة بلا شكّ ولا شبهة، بل يصدق وصف التّواتر على ما دونها في جميع الاصطلاحات المحرّرة في الأُصول».

وقال أيضاً: «فتقرّر أنّ الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة والأحاديث الواردة في الدّجّال متواترة، والأحاديث الواردة في نزول عيسى بن مريم متواترة».

٤ ـ والنّواب صدّيق حسن خان القنّوجي، فقال في كتابه «الإذاعة...»: «الأحاديث الواردة في المهدي على اختلاف رواياتها كثيرة جدّاً تبلغ حدّ التّواتر المعنوي، وهي في السّنن وغيرها من دواوين الإسلام من المعاجم والمسانيد»[١].

وقال أيضاً في معرض ردّه على ابن خلدون: «فلا معنى للريب في أمر ذلك الفاطمي الموعود المنتظر المدلول عليه بالأدلّة، بل إنكار ذلك جرأة عظيمة في مقابلة النّصوص المستفيضة المشهورة البالغة حدّ التّواتر»[٢].

٥ ـ من القائلين بالتواتر أيضاً في أحاديث المهدي عليه السلام: الشّيخ محمّد بن جعفر الكتاني في كتابه «نظم المتناثر من الحديث المتواتر» في الصّفحة ٢٢٩.

---

(١) الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي السّاعة: ١١٢.

(٢) المصدر المتقدّم: ١٤٦.

وهناك علماء آخرون كثيرون من أهل السّنّة صحّحوا أحاديث المهدي عليه السلام وذكروها في مؤلّفاتهم، ونصّوا على الاحتجاج بها[1]:

١ ـ فمنهم الإمام سفيان بن سعيد الثّوري، المتوفّى سنة ١٦١هـ، وهذا يدلّ على أنّ موضوع خلافة المهدي كان أمراً مسلّماً عندهم.

٢ ـ والإمام الحافظ أبو جعفر العقيلي، المتوفّى سنة ٣٢٣هـ في الضّعفاء (ص ٣٠٠) و (ص ١٣٩ ـ ١٤٠).

٣ ـ والإمام أبو الحسين بن المنادي، المتوفّى سنة ٣٣٦هـ، على ما في فتح الباري (٢١٣/١٣).

٤ ـ والإمام أبو حاتم ابن حبّان البستي، المتوفّى سنة ٣٥٤هـ، في «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبّان»: (٢٩٣/٨ و ٢٩٤ و ٢٦٦).

٥ ـ والإمام أبو سليمان الخطابي، المتوفّى سنة ٣٨٨هـ، كما في تحفة الآحوذي (٦٢٥/٦).

٦ ـ والإمام البيهقي، المتوفّى سنة ٤٥٨هـ، على ما في تهذيب الكمال (٥٩٧/٦)، والمنار المنيف (١٤٣).

٧ ـ والحافظ أبو القاسم السّهيلي، المتوفّى سنة ٥٨١هـ،

(١) راجع المهدي المنتظر للدكتور عبدالعليم عبدالعظيم البستوي: ٤٧.

راجع الرّوض الأنف (١/١٦٠).

٨ ـ والإمام أبو عبدالله القرطبي، المتوفّى سنة ٧٦١هـ، راجع الحاوي للسيوطي (٢/١٦٥) والتّذكرة (٢/٧٢٣).

٩ ـ وشيخ الإسلام ابن تيميّة الحرّاني، المتوفّى سنة ٧٢٨هـ، في منهاج السّنّة (٤/٢١١) و (٢/١٣٢).

١٠ ـ والإمام ابن قيّم الجوزية، المتوفّى سنة ٧٥١هـ، في إغاثة اللّهفان (٢/٣٣٢)، والمنار المنيف (١٤٥ و ١٤٨).

١١ ـ والإمام الحافظ عماد الدّين ابن كثير، المتوفّى سنة ٧٤٤هـ، كما في تفسير ابن كثير (٢/٣٥)، والبداية والنّهاية (٦/٢٤٨)، والفتن والملاحم (١/٢٧) و (١/٣٠ ـ ٣١).

١٢ ـ والإمام الحافظ جلال الدّين السّيوطي، المتوفّى سنة ٩١١هـ، في الإعلام بحكم عيسى ﷺ، الحاوي (٢/٢٨٩)، وفي الكشف عن مجاوزة هذه الأُمّة الألف، الحاوي (٢/١٦٧).

١٣ ـ والشيخ أبو الحسن السّمهودي، المتوفّى سنة ٩١١هـ، ذكره العبّاد في مقالته «عقيدة أهل السّنّة والأثر»: (١١٤).

١٤ ـ والشيخ شهاب الدّين أحمد بن حجر الهيثمي المكّي، المتوفّى سنة ٩٧٤هـ، في القول المختصر (١٢٩)، والصّواعق المحرقة (١٠٠).

١٥ ـ والشيخ الإمام الحافظ عليّ المتّقي الهندي، المتوفّى سنة ٩٧٥هـ، في رسالته «الرّدّ على من حكم وقضى أنّ المهدي قد جاء ومضى» (١٣٤)، وفي «البرهان في علاقات مهدي آخر الزّمان»: (٣).

١٦ ـ والشيخ الملّا عليّ القارئ الهروي، المتوفّى سنة ١٠١٤هـ، في شرح الفقه الأكبر: (١٠١).

١٧ ـ والشيخ عبدالرؤوف المناوي، المتوفّى سنة ١٠٣١هـ، في فيض القدير (١/٣٦٣) و (٦/١٧).

١٨ ـ والشيخ محمّد بشير السّهسواني، المتوفّى سنة ١٣٦٢هـ، في صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان: (٣٢٢).

١٩ ـ والعلّامة الشّيخ شمس الحقّ العظيم آبادي، المتوفّى سنة ١٣٢٩هـ، في عيون المعبود (١١/٣٦١ـ٣٦٢).

٢٠ ـ والعلّامة الشّيخ عبدالرّحمٰن المباركفوري، المتوفّى سنة ١٣٥٣هـ، في تحفة الآحوذي (٦/٤٨٥).

٢١ ـ والعلّامة الشّيخ أحمد شاكر، المتوفّى سنة ١٣٧٧هـ، في شرح مسند الإمام أحمد (٥/١٩٨).

٢٢ ـ والشيخ عبدالعزيز بن باز مفتي عام المملكة العربيّة

السعوديّة، على ما في مجلّة الجامعة العربيّة عدد ذي القعدة ١٣٨٩هـ: (١٦٢).

٢٣ ـ والعلّامة المحدّث الشّيخ محمّد ناصر الدّين الألباني، تخريج أحاديث فضائل الشّام ودمشق: (١٦) الحديث رقم (١٨).

فالمسلم الّذي يؤمن بحياة عيسى، بل وحياة الدّجّال الكافر، وخروجه في آخر الزّمان، وبحياة خضر وإدريس، ويروي عن نبيّه ﷺ في أصحّ كتبه في الحديث كصحيح مسلم، والترمذي، وسنن أبي داود، وابن ماجة ـ باب ذكر ابن صيّاد وخروج الدّجّال ـ، واحتمال كون ابن صيّاد هو الدّجّال، ويروي عن تميم الدّاري ما هو صريح في أنّ الدّجّال كان حيّاً في عصر النّبيّ ﷺ، وأنّه يخرج في آخر الزّمان، ويؤمن بطول عمر نوح ويقرء في القرآن: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[2]، وأمثال هذه الأُمور ممّا يستغربه بعض الأذهان لقلّة الأُنس به، كيف يعيب الشّيعة على قولهم ببقاء الإمام المنتظر، وينسبهم إلى الجهل وعدم

---

(١) العنكبوت: ١٤.

(٢) الصّافّات: ١٤٣ و ١٤٤.

العقل . ومفاسد هذه الاستبعادات في المسائل الدّينيّة كثيرة ، ولو فتح هذا الباب لأمكن إنكار كثير من المسائل الاعتقادية وغيرها . ممّا دلّ عليه صحيح النّقل ، بالاستبعاد ، ويلزم من ذلك طرح ظواهر الأخبار والآيات ، بل وصريحها ، ولا أظنّ بمسلم أن يرضى بذلك .

وإليك أيّها القارئ العزيز ما ذكره ابن العربي المغربي في الفتوحات ، وهو من عرفاء النّواصب والمبغضين لأهل البيت وشيعتهم ، ولا يبالي بأيّة فريةٍ يرميهم ، ولا بأي سهم حقد يصيبهم ويجني عليهم ، على ما نقله الشّعراني في اليواقيت والجواهر في موضوع الصّاحب عليه السلام ليكون القارئ على بصيرة من الأمر : قال الشّيخ الأكبر محيي الدّين العربي (المتوفّى ٦٣٨هـ) في الباب السّادس والسّتّين والثلاثمائة: واعلموا أنّه لابدّ من خروج المهدي عليه السلام ، لكن لا يخرج حتّى تمتلئ الأرض جوراً وظلماً ، فيملأها قسطاً وعدلاً ، ولو لم يكن من الدّنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله تعالى ذلك اليوم حتّى يلي ذلك الخليفة ، وهو من عترة رسول الله صلى الله عليه وآله ، من فاطمة ـ رضي الله عنها ـ ، جدّه الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، ووالده حسن العسكري ابن الإمام عليّ النّقيّ ـ بالنّون ـ ابن محمّد التّقي ـ بالتّاء ـ ابن الإمام عليّ الرّضا ، ابن الإمام موسى الكاظم ، ابن الإمام جعفر الصّادق ، ابن الإمام محمّد الباقر ، ابن الامام زين العابدين عليّ ،

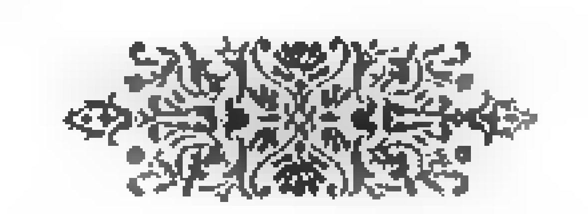
ابن الإمام الحسين، ابن الإمام عليّ بن أبي طالب -رضي الله عنهم-، يواطئ اسمه اسم رسول الله ﷺ، يبايعه المسلمون بين الركن والمقام، يشبه رسول الله ﷺ في الخلق -بفتح الخاء-، وينزل عنه في الخلق -بضمّها-؛ إذ لا يكون أحد مثل رسول الله ﷺ في أخلاقه، والله تعالى يقول: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1]، هو أجلى الجبهة، أقنى الأنف، أسعد النّاس به أهل الكوفة، يقسم بالسوية، ويعدل في الرعية، يأتيه الرّجل فيقول: يا مهدي أعطني -وبين يديه المال- فيحثو له في ثوبه ما استطاع أن يحمله، يخرج على فترة من الدّين يزع الله به ما لا يزع بالقرآن، يمسي الرّجل جاهلاً وجباناً وبخيلاً، فيصبح عالماً شجاعاً كريماً، يمشي النّصر بين يديه، يعيش خمساً، أو سبعاً، أو تسعاً، يقفو أثر رسول الله ﷺ، لا يخطئ، له ملك يسدده من حيث لا يراه، يحمل الكلّ (كذا)، ويعين الضّيف، ويساعد على نوائب الحقّ -إلى أن قال:- يبيد الظّلم وأهله، ويقيم الدّين، وينفخ الرّوح في الإسلام، يعزّ الله به الإسلام بعد ذلّه، ويحييه بعد موته، يضع الجزية، ويدعو إلى الله بالسيف، فمن أبى قتل، ومن نازعه خذل، يظهر من الدّين ما هو عليه الدّين في نفسه حتّى لو كان رسول الله ﷺ حيّاً لحكم به، فلا يبقى

---

(١) القلم: ٤.

في زمانه إلّا الدّين الخالص عن الرّأي، يخالف في غالب أحكامه مذاهب العلماء، فينقبضون منه لذلك؛ لظنّهم أنّ الله تعالى ما بقي يحدث بعد أئمّتهم مجتهداً ـ وأطال في ذكر وقائعه معهم، ثمّ قال: ـ واعلم أنّ المهدى إذا خرج يفرح به جميع المسلمين، خاصّتهم وعامّتهم، وله رجال إلهيّون، يقيمون دعوته وينصرونه، هم الوزراء له، يتحمّلون أثقال المملكة، ويعينونه على ما قلّده الله تعالى، ينزل عليه عيسى بن مريم عليه السلام بالمنارة البيضاء شرقي دمشق متّكئاً على ملكين، ملك عن يمينه، وملك عن يساره، والنّاس في صلاة العصر، فيتنحّى له الإمام عن مكانه، فيتقدّم فيصلّي بالنّاس، يأمر النّاس بسنّة محمّد صلى الله عليه وآله، يكسر الصّليب، ويقتل الخنزير، ويقبض الله المهدي إليه طاهراً مطهّراً، وفي زمانه يقتل السّفياني عند شجرة بغوطة دمشق، ويخسف بجيشه في البيداء، فمن كان مجبوراً مكرهاً يحشر على نيّته، وقد جاءكم زمانه، وأظلّكم أوانه، وقد ظهر القرن الرّابع اللّاحق بالقرون الثّلاثة الماضية، قرن رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو قرن الصّحابة، ثمّ القرن الّذي يليه، ثمّ الّذي يلي الثّاني، ثمّ جاء بينهما فترات وحدثت أُمور، وانتشرت أهواء، وسفكت دماء، فاختفى إلى أن يجيء الوقت الموعود ـ وأطال الشّيخ الكلام نحو اثنتي عشرة ورقات إلى أن قال: ـ

واعلم أنّ ظهور المهدي عليه السلام من أشراط السّاعة، كذلك خروج الدّجّال، فيخرج من خراسان من أرض الشّرق موضع الفتن، يتبعه الأتراك واليهود، ويخرج إليه من اصبهان وحدها سبعون ألفاً مطيلسين، وهو رجل كهل أعور العين اليمنى، كأنّ عينه عنبة طافية مكتوب ين عينيه كاف فارا ـ إلى آخر ما قال ـ راجع الجواهر واليواقيت ج ٢، ص ١٤٢ لعبد الوهاب الشّعراني الفقيه الشّافعي (المتوفّى سنة ٩٧٣هـ) بالقاهرة.



الدّرس الرابع والعشرون

لمحة تأريخيّة

بسم الله الرحمن الرحيم

يظهر للمحقّق المدقّق في التّأريخ الإسلامي، والمتتبّع للسيرة، والمتصفّح لكتب المسلمين بأدنى تأمّل أنّ الظروف الّتي مرّ بها أئمّتنا الأطهار عليهم السلام في العهدين الأمويّ والعبّاسيّ كانت عصيبةً للغاية؛ ذلك أنّ الّذين تقمّصوا الخلافة واغتصبوها من عليّ وأبنائه عليهم السلام وتربّعوا عرش الخلافة الإسلاميّة كانوا على دراية تامّة بأحقّيّة العترة الهادية، وكانوا على علمٍ ويقينٍ بعدم أهليّتهم لهذا المنصب الخطير للغاية. وقد ألقى في قلوبهم الرّعب والرّهبة استمرار الإمامة في أهل البيت عليهم الصّلاة والسّلام، وأحسّوا بخطر يُهدّد ملكهم وسلطانهم ما دامت هذه الإمامة باقية، وطالما تنتقل من صلب إلى صلب، وهي متّصلة الحلقات في سلسلة مترابطة مستحكمة، أئمّة هادون مهديّون

يتلو بعضهم بعضاً، ويعقب الإمام إمام، فلم يجدوا بُدّاً من ذلك إلّا بتضييق الخناق على أهل البيت عليهم السلام، ووضع القيود على شيعتهم وأتباعهم، فمارسوا بشأنهم من القهر والاضطهاد أقسى الأنواع وأشدّها، ومن القتل والتّشريد أفظعها، غير مبالين بالحدود الإلٰهيّة، ولا مكترثين بالقوانين الإنسانيّة.

فما كان لأهل البيت عليهم السلام في ظلّ تلك الأزمة المتفاقمة والممارسات الوحشيّة من الأنظمة الغاشمة إلّا أن يتّخذوا أساليب حكيمة يقطعون بها الطّريق على سلاطين الجور وعلماء السّوء من وعّاظ السّلاطين وأتباعهم الّذين نصبوا العداء لأهل بيت النّبوّة عليهم الصّلاة والسّلام، لئلّا يزول الحقّ عن مقرّه، ويغلب الباطل على أهله. حرصاً منهم على الشّريعة المحمّديّة صلى الله عليه وآله، أُصولاً وفروعاً، واختلفت أساليب المواجهة والتّصدّي لأهل الباطل طبقاً للظّرف الّذي كان يعيشه الإمام عليه السلام؛ لأنّه كان مأموراً مكلّفاً بأمرين وتقع على عاتقه مسؤوليّتان:

مسؤوليّة الذّبّ عن الشّريعة والتّصدّي للباطل وبيان الحقيقة.

ومسؤوليّة الحفاظ على نفسه المقدّسة ونفوس المؤمنين في ظلّ الأنظمة الغاشمة الطّاغية وعلماء السّوء وأتباعهم، تارة بالخروج

والمواجهة، كما وقع لمولانا أمير المؤمنين عليٍّ عليه الصّلاة والسّلام في قتال القاسطين والنّاكثين والمارقين، وما صنعه الإمام الحسن المجتبى عليه السلام في قتاله لمعاوية، وخروج الإمام الحسين الشّهيد عليه السلام على يزيد بن معاوية، وتارة بالبيان وإبداء الحقّ وإظهاره باللّسان كما حدث لكثير من أئمّة أهل البيت عليهم السلام، سيّما الإمامين الصّادق والباقر عليهما الصّلاة والسّلام، وتارة بالعزوف عن الدّنيا والانصراف إلى الآخرة، كما صنع الأئمّة الأطهار في فترات مختلفة لا سيّما الإمام السّجّاد عليّ بن الحسين زين العابدين عليه أفضل صلوات المصلّين، وتارة بالعزلة والصّمت والتزام السُّكوت، وأخيراً بالتقيّة والمداراة، حتّى قال الإمام الصّادق صلوات الله عليه: «**التّقيّة ديني ودين آبائي**»[1].

فاستمرّت الأحوال على هذا المنوال حتّى انتهت فترة إمامة الإمام عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام بقتله مسموماً على يد المأمون العبّاسيّ. وبدأت مرحلة جديدة من الأساليب والممارسات الظّالمة من سلاطين بني العبّاس وحكّامهم، وفي المقابل بدأ عهد جديد من أساليب

---

(١) مشكاة الأنوار: ٨٧. الصراط المستقيم: ٧١/٣. عوالي اللئالي: ٤٣٣/١.

المواجهة الّتي تكفّلت بتحقيق الأهداف والمسؤوليّات الملقاة على عاتق الإمام عليه الصّلاة والسّلام، حيث أنّ المأمون ومن تولّى الخلافة بعده من بني العبّاس فرضوا رقابة صارمة وإشرافاً لصيقاً على الإمام محمّد الجواد والإمام عليّ الهادي، والإمام الحسن العسكري عليهم السلام، وفرضوا عليهم حصاراً شديداً بالإقامة الجبريّة تارة، وحبسهم في المنفى وبين معسكرات الجيش تارة أُخرى؛ ليقطعوا كلّ سبيل لاتّصال شيعتهم بهم، ويحولوا دون اتّصالهم بشيعتهم، ظنّاً منهم انّ تلك القيود الّتي فرضوها عليهم ستحول دون تسلّل أنوارهم.

وأنّ الحصار الشّائك الّذي ضربوه عليهم، سيؤول إلى تحقيق أهدافهم، ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾[1].

بدأت هذه الممارسات الإجراميّة بتزويج المأمون ابنته للإمام الجواد عليه السلام وإدخاله في سجن المصاهرة، واستمرّت باستدعاء المتوكّل ثمّ المعتصم للإمامين الهادي والعسكري سلام الله عليهما إلى مركز الخلافة حينذاك ـ أعني مدينة سامراء ـ، وحبسهم بين العساكر

---

(١) سورة الصّف: ٨.

والجيوش ، وهكذا العيون والجواسيس ، وقد بلغ هذا الحصار أعلى مراتبه ، والممارسات الوحشيّة بلغت أشدّها في عهد الإمام الحسن العسكري عليه السلام ، حيث ضيّق الخناق على الإمام عليه السلام وعلى شيعته . وقطع كلّ اتّصال بينه وبينهم ؛ لأنّه كان يرتقب ولادة المهديّ الّذي بشّر به رسول الله صلى الله عليه وآله ، وبشّر به أئمّة أهل البيت عليهم السلام ، وأخبروا عنه بأنّه المنقذ الّذي سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً . وسيقضي على فراعنة الزّمان وجنودهم ، ويجتثّ جذورهم ويقطّع أوصالهم ، فسعى الخليفة العبّاسي إلى علاج الواقعة قبل وقوعها . والتّصدّي لها بالمنع من ولادته أو القضاء عليه بكلّ ما أُوتي من قوّة كما صنع فرعون ببني إسرائيل خوفاً من ولادة موسى عليه السلام ، فما حصد سوى الخيبة والخسران ، وما كان إلّا أن نشأ موسى عليه السلام وترعرع في قصر فرعون وبين أحضانه بمرأى ومسمع منه ومن جنوده ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾[1] .

فكانت ولادته عليه الصّلاة والسّلام أعظم إعجازاً من ولادة موسى بن عمران عليه السلام ؛ ذلك أنّ فرعون موسى وجنوده لم يكونوا يعلمون بالبيت الّذي سيولد فيه وسيخرج منه موسى عليه السلام ، ولم يعرفوا

---

(١) سورة الشّعراء : ١٨ .

أباه ولم تُعرف لديهم شمائله، ولهذا فقد بقروا بطون الحوامل من بني إسرائيل، ثمّ استحيوا النّساء وذبحوا الأبناء والذّكور، بينما كان فرعون المهدي ـ أعني المعتمد العبّاسي ـ وجنوده عالمين بخصوص البيت الّذي سيولد فيه المهديُّ من آل محمّد ﷺ، يعرفون أباه بعينه، ولم تكن تخفى عليهم شمائله وأوصافه، فكان التّضييق عليهم أهون، وفرض الرّقابة للقضاء عليه أيسر؛ لعلمهم بأنّه التّاسع من ولد الحسين عليه السلام، والرّابع من ولد الرّضا عليه السلام، وأنّه ابن الحسن بن عليّ الهادي، وهَلُمّ جرّاً، لكنّ المشيئة الإلـهيّة خيّبت آمالهم كما خيّبت ظنونهم؛ مصداقاً لقوله تعالى في الحديث القدسي: «أشاءُ وتشاء، ولا يكون إلّا ما أشاء»[1]، ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[2].

أمّا الإمام الهادي عليه السلام فقد بذل بدوره عناية خاصّة في تذليل العقبات وتيسير المقدّمات وتوفير العلل المعدّة لولادة الإمام المهدي عليه الصّلاة والسّلام، فاختار لابنه الإمام الحسن العسكري عليه السلام إحدى جواري أُخته السّيّدة حكيمة رضوان الله عليها واسمها السّيّدة

(١) لم أجد له مصدراً.

(٢) سورة التّوبة: ٣٢.

نرجس روميّة الأصل من بنات الملوك والقياصرة ـكما يبدو من جملة من الأخبار ـ أو من سلالة بعض أوصياء عيسى بن مريم عليهما السلام، وقد أحسنت السّيّدة حكيمة تربيتها وتعليمها، فتزوّجها الإمام الحسن العسكري عليه السلام[1].

أقول: لعلّ اختيار الإمام الهادي عليه السلام لهذه الجارية جاء لإخفاء ولادة الإمام الحجّة المنتظر صلوات الله وسلامه عليه؛ لأنّ الأعداء لم يتوقّعوا ولادته من جارية، أو لعلّ الله تبارك وتعالى جعل هذه السّيّدة في عِداد الجواري، وقدّر ذلك ليخفي أمر ولادة وليّه عليه السلام؛ إذ «أبى الله أن يجري الأمور إلّا بأسبابها»[2]، وسيأتي أيضاً أنّه تعالى أخفى ولادة وليّه الأعظم بعدم إظهار الحمل على أُمّه السّيّدة نرجس (رضي الله عنها) إلى ليلة ولادته أرواحنا فداه.

لمّا بدأت إمامة الإمام الحسن العسكري عليه السلام بعد وفاة أبيه الإمام الهادي عليه السلام الّذي مضى مسموماً مقتولاً شهيداً، بدأ الشّيعة الإماميّة يبحثون عن وصيّ الحسن والخلف الحجّة من بعده، حتّى مضت الأيّام

---

(١) الغيبة للشيخ الطوسي: ٢١٤. كمال الدّين: ٤١٧.

(٢) شرح أُصول الكافي: ٢٠١/٤، ٢٣٤/٩. شرح الزيارة الجامعة للسيّد شبّر: ٦٢.

والسّنون وأخذ يساورهم الشكّ ويراودهم التّرديد لصعوبة الاتّصال بالإمام العسكري عليه السلام ، ثمّ بعد جهد جهيد كلّما دخلوا عليه سرّاً جماعة وفرادى سألوه عن الإمام والحجّة من بعده ، فيجيبهم:

«...سيرزقني الله وَلَداً بمنّهِ ولطفه»[1]، ويتلو قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾[2].

حتّى حملتْ به أُمّه السّيّدة نرجس رضوان الله عليها ، وأخفى الله تبارك وتعالى ذلك عن الأعداء رغم محاولتهم اليائسة للكشف عن ذلك والتّحرّي الدّائم عنه ، فلم يقف على حملها سوى الإمام الحسن العسكري عليه السلام والخواصّ من شيعته ومواليه[3].

وكانت ولادته عليه السلام ـ على المشهور ـ في ليلة الخامس عشر من شهر شعبان المعظّم عام ٢٥٥ للهجرة ، وقد هبط ساجداً لله تبارك وتعالى وسبّابتاه إلى السّماء ، وهو يتلو قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن

---

(١) إثبات الوصيّة للمسعودي.

(٢) سورة الصّف: ٨.

(٣) كمال الدّين: ٤٣٢.

قَبْلِهِمْ... ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾[2]، فقال الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «زَعَمَتِ الظَّلَمَةُ أَنَّهُم يقتلوني ليقطعوا هذا النَّسل، فكيف رأوا قدرة الله...»، فولد الإمام المهدي المنتظر عجّل الله فرجه في تلك الظّروف العصيبة في ظلّ الرّعب والظّلم والاضطهاد.

أقول: في مثل هذه الظّروف الشّائكة لا يبقى مجال لمن طلب الدّليل القطعيّ على ولادة الإمام عليه السلام، ناهيك عن تسالم الطّائفة وإجماعها وإطباقها على ولادته عليه السلام، وهكذا الأدلّة القطعيّة على وجوده ورؤيته ومشاهدته في عصر أبيه عليه السلام، وفي عصر الغيبة الصّغرى، وهكذا الكبرى، كما سيأتي في محلّه إن شاء الله تعالى، الدالّة جميعاً على أصل ولادته عليه السلام، ولا مجال معها لتشكيك المشكّكين وعناد المعاندين.

فقد تميّزت ولادته عليه السلام بالخفاء أيضاً؛ إذ أخفاها الإمام الحسن العسكري عليه السلام عن جميع النّاس إلّا أخصّ الخواصّ لديه، وبذل في سبيل ذلك قصارى جهده، كما فعلت أُمّ موسى وأبوه، وعدّه الشّيخ الطّوسي رحمه الله عملاً طبيعيّاً ليس الأوّل ولا الأخير من نوعه، وأنّ له

---

(١) سورة النّور: ٥٥.

(٢) سورة القصص: ٥.

نظائر كثيرة في التّأريخ[1]، وعلّق عليه المرحوم المجلسي ﷺ في البحار: أنّ هذا إشارة إلى ولادة إبراهيم عليه السلام وولادة موسى عليه السلام[2].

أقول: لا ضير بعد هذا إن لم تردنا رواية صحيحة في خصوص مولده الشّريف للظروف العصيبة الّتي أحاطت بهم وأجبرتهم على إخفاءه فترة طويلة، كيف وقد أسردنا روايات وأخبار صحيحة مسندة عن ولادته سلام الله عليه، بل في ما حكيناه من قصّة ولادته عليه السلام ما يجزي ويزيد. وفي الأخبار الصّحيحة والنّصوص الصّريحة الدّالّة بالمطابقة على رؤيته ومشاهدته كفاية في الدّلالة الالتزاميّة والأولويّة القطعيّة الّتي لا تقبل النّقاش على ولادته عليه السلام.

مكان ولادته عليه السلام:

أوردوا احتمالاتٍ أربعة في ذلك:

أوّلها: أنّه عليه السلام ولد في سامرّاء، وعاش هناك طيلة حياة والده العسكريّ عليه السلام.

ثانيها: أنّه ولد بمدينة سامرّاء «سُرّ من رأى» العراقيّة، وقد أُرسل

---

(١) الغيبة للطوسي: ١١٢.

(٢) بحار الأنوار: ج١٢ و: ج١٣.

في حياة أبيه الإمام الحسن صلوات الله عليه إلى مكّة.

ثالثها: أنّه عليه السلام ولد بسامرّاء، ثمّ أرسله أبوه عليه السلام إلى المدينة المنوّرة.

رابعها: أنّه ولد بالمدينة المنوّرة، واستقرّ فيها، وكانت غيبته فيها أيضاً.

دليل القول الأوّل:

١ ـ رواية أبي الفضل الحسين بن الحسن العلوي: دخلت على أبي محمّد عليه السلام بسُرّ من رأى فهنّأته بسيّدنا صاحب الزّمان عليه السلام لمّا ولد[1].

٢ ـ ما روي عن السيّدة حكيمة عمّة الإمام الحسن العسكري سلام الله عليه من قصّة ولادته صلوات الله وسلامه عليه[2].

ويرد على الأُولى وأمثالها أنّها لا تدلّ بالضرورة أنّ ولادته عليه السلام كانت في سامراء، كما يرد على الثانية أنّها رويت عن السيّدة حكيمة رضوان الله عليها بألفاظ مختلفة وطرق مضطربة لا يمكن التّعويل عليها مع وجود ما يعارضها فيما يأتي إن شاء الله تعالى.

٣ ـ والطّائفة الثّالثة أخبار الرؤية والمشاهدة واللقاء بصاحب

---

(١) الغيبة للطوسي: ٢٣٠، ٢٥١. كمال الدّين: ٤٣٤.

(٢) الغيبة للطوسي: ٢٣٢. كمال الدّين: ٤٢٩.

الأمر أرواحنا فداه بمدينة سامرّاء، مثل قولهم: دخلنا على الإمام أبي محمّد العسكري صلوات الله عليه فأرانا الحجّة عليه السلام وقال: «**هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم، أطيعوه ولا تتفرّقوا من بعدي فتهلكوا في أديانكم، أما إنّكم لا ترونه بعد يومكم هذا**»، قالوا: فخرجنا من عنده فما مضت إلّا أيام قلائل حتّى مضى أبو محمّد عليه السلام[1].

وهذه ومثيلاتها أيضاً لا تدلّ بالضرورة على ولادته عليه السلام بسامرّاء.

وللاستدلال على القول الثّاني يمكن التمسّك بجملة من الأخبار كالذي رواه المسعودي في إثبات الوصيّة عن الحميري عن أحمد بن إسحاق أنّه قال: دخلت على أبي محمّد عليه السلام فقال لي:

«**ما كان حالكم فيما كان النّاس فيه من الشّدّة والارتياب؟**».

قلت: يا سيّدي، لما ورد الكتاب بخبر سيّدنا ومولده لم يبقَ رجل ولا امرأة ولا غلام بلغ الفهم إلّا قال بالحقّ؟

فقال: «**أما علمتم أنّ الأرض لا تخلو من حجّة الله؟**»، ثمّ أمر أبو محمّد عليه السلام والدته بالحجّ في سنة تسع وخمسين ومأتين وعرّفها

---

(١) كمال الدّين: ٤٣٥.

ما يناله في سنة السّتّين، وأحضر الصّاحب عليه السلام فأوصى إليه وسلّم الاسم الأعظم والمواريث والسّلاح إليه، وخرجت أُمّ أبي محمّد مع الصّاحب جميعاً إلى مكّة...»[1].

يظهر من هذه الرواية أنّ الشّيعة كانوا في حيرة من أمر الإمامة بعد الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ولولا الكتاب الوارد عليهم منه سلام الله عليه لظلّوا في حيرتهم إزاء ولادة الإمام الصّاحب عجّل الله فرجه، وأنّ ولادته روحي فداه كانت في سامرّاء ثمّ انتقل مع جدّته رضي الله عنها إلى مكّة قبل وفاة الإمام العسكري سلام الله عليه بعام واحد في الرّابعة من عمره الشّريف واستقرّ بها. يؤيّد هذا الاحتمال ما ورد في بعض الأخبار أنّه عجّل الله فرجه مقيم بمكّة في مكان يسمّى «ذي طوى».

أمّا الاحتمالان الأخيران فقد تمسّك طائفة من الأصحاب بأدلّة عليهما منها الأدلّة التّأريخيّة والرّوائيّة، كالخبر المروي عن أبي هاشم الجعفري أنّه قال لأبي محمّد عليه السلام: جلالتك تمنعي من مسألتك، فتأذن لي أن أسألك؟ فقال: «سل».

---

(١) إثبات الوصيّة: ٢٧١.

قلت: يا سيّدي، هل لك ولد؟

فقال: «نعم».

فقلت: فإن حدث بك حدث فأين أسأل عنه؟

قال: «بالمدينة»[1].

وهذا إنّما يدلّ على أنّه مقيم بالمدينة ولا دلالة فيه على مكان ولادته عليه السلام، وليس أبو هاشم ممّن يتّقيه الإمام العسكري عليه السلام حتّى يُخفي عليه شيئاً، وحمل المدينة على إرادة مطلق المدينة أو على احتمال إرادة مدينة سامراء وأنّه لا يدلّ بالضرورة على المدينة المنوّرة خلاف الظّاهر لانصراف المدينة بالإطلاق، لا سيّما في تلك الأزمنة إلى المدينة المنوّرة والتبادر دليل الحقيقة.

ولهذا قال العلّامة المجلسي رحمه الله: «وقال بالمدينة أي الطيبة المعروفة، أو لعلّه علم أنّه يدركه أو خبراً منه في المدينة، وقيل اللّام للعهد، والمراد بها سرّ من رأى، يعني أنّ سفراءه من أهل سرّ من رأى يعرفونه فسلهم عنه»[2].

يؤيّد كلامنا طائفة من الأخبار منها أنّه سُئل الإمام الجواد عليه السلام:

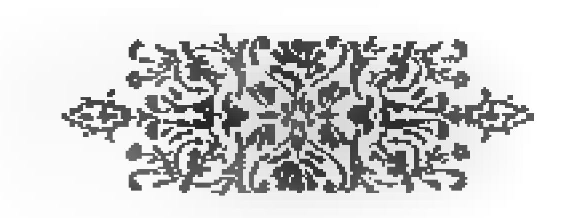
---

(١) الكافي: ٣٢٨/١.

(٢) مرآة العقول: ٢/٤.

من الخلف بعدك ؟ فقال : « **ابني عليّ ، وابنا عليّ** » ، ثمّ أطرق مليّاً ، ثمّ رفع رأسه ، ثمّ قال : « **إنّها ستكون حيرة** » ، قلت : فإذا كان ذلك فإلى أين ؟ فسكت ، ثمّ قال : « **لا أين** » ـ حتّى قالها ثلاثاً ـ فأعدت عليه ، فقال : « **إلى المدينة** » ، فقلت : أي المدن ؟ فقال : « **مدينتنا هذه ، وهل مدينة غيرها** »[1].

وكيف كان فالأدلّة كثيرة على خفاء ولادته وخفاء مكانها ونشأته ﷺ ، كما في الكافي ١/٣٤١ ، ومرآة العقول ٤/٥٧ ، وغيرهما . فيحتمل أن تكون ولادته في المدينة المنوّرة ، ويحتمل أن تكون بمدينة سامرّاء ، وإن كان الاحتمال الأخير ـ أعني ولادته بسامراء ـ أقرب إلى القبول ، لكنّه لا يمنع وقوع الولادة في المدينة المنوّرة ، وهذا الاختلاف ليس بغريب لا سيّما لمن اطّلع على تواريخ المسلمين ، ووقوع الخلاف بينهم في أهمّ الأحداث الإسلاميّة الّتي وقعت في صدر الإسلام .



(١) كتاب الغيبة للنعماني : ١٨٥ .

الدّرس الخامس والعشرون

ولادة الإمام المهدي عجّل الله فرجه

بسم الله الرحمن الرحيم

ولد المهدي عليه السلام ليلة النّصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين بسر من رأى في أيّام المعتمد.

قال المفيد:

«ولم يخلف أبوه ولداً ظاهراً ولا باطناً غيره، وخلفه غائباً مستتراً، وكانت سنّه عند وفاة أبيه خمس سنين، آتاه الله فيها الحكمة وفصل الخطاب، وجعله آية للعالمين، وآتاه الله الحكمة كما آتاها يحيى عليه السلام صبيّاً، وجعله إماماً في حال الطّفوليّة الظّاهرة، كما جعل عيسى بن مريم عليه السلام في المهد نبيّاً»[1].

---

(١) الإرشاد: ٢/٣٣٩.

وروى الصّدوق في كمال الدّين[1]، والكليني في الكافي، ودلائل الإمامة[2]، والشّيخ في كتاب الغيبة[3] بألفاظ متقاربة عن بشر بن سليمان النّخّاس وهو من ولد أبي أيّوب الأنصاري وأحد موالي أبي الحسن وأبي محمّد العسكريّين وجارهما بسر من رأى، قال: كان مولانا أبو الحسن علي بن محمّد العسكري عليه السلام فقّهني في أمر الرّقيق، فكنت لا أبتاع ولا أبيع إلّا بإذنه، فاجتنبت بذلك موارد الشّبهات حتّى كملت معرفتي فيه، فأحسنت الفرق فيما بين الحلال والحرام، فأتاني ليلة كافور الخادم فقال: مولانا أبو الحسن عليّ بن محمّد العسكري يدعوك، فأتيته، فقال لي: «**يا بشر، إنّك من ولد الأنصار، وهذه الولاية لم تزل فيكم يرثها خلف عن سلف، فأنتم ثقاتنا أهل البيت، وإنّي مزكّيك ومشرّفك بفضيلة تسبق بها شأو الشّيعة في الموالاة بها: بسرّ أطلعك عليه وأنفذك في ابتياع أمة**»، فكتب كتاباً ملصقاً بخطّ رومي ولغة روميّة، وطبع عليه بخاتمه، وأعطاني مائتين وعشرين ديناراً، فقال: «**خذها وتوجّه بها إلى بغداد، واحضر معبر الفرات ضحوة يوم كذا، فإذا وصلت إلى جانبك**

---

(١) كمال الدّين: ٤١٨.

(٢) دلائل الإمامة: ٤٩٥.

(٣) الغيبة للطوسي: ٢٠٨.

زوارق السّبايا وبرزن السّبايا منها فستحدق بهنّ طوائف المبتاعين من وكلاء قوّاد بني العبّاس وشرذمة من فتيان العرب، فأشرف من العبد على المسمّى عمر بن يزيد النّخّاس عامة نهارك إلى أن تبرز جارية صفتها كذا وكذا، لابسة حريرتين صفيقتين تمتنع من العرض ولمس المعترض، وتسمع صرخة روميّة من وراء ستر رقيق فاعلم أنّها تقول: وا هتك ستراه، فيقول بعض المبتاعين عليّ بثلاثمائة دينار فقد زادني العفاف فيها رغبة، فتقول له بالعربيّة لو برزت في زي سليمان بن داود وعلى شبه ملكه ما بدت فيك رغبة، فاشفق على مالك، فيقول النّخّاس: فما الحيلة ولا بدّ من بيعك، فتقول الجارية: وما العجلة لا بدّ من اختيار مبتاع يسكن قلبي إليه وإلى وفائه وأمانته. فعند ذلك قل له: أنّ معك كتاباً ملصقاً لبعض الأشراف بلغة روميّة ووصف فيه كرمه ووفاءه ونبله وسخاءه، فناولها لتتأمّل منه أخلاق صاحبه، فإن مالت إليه ورضيته فأنا وكيله في ابتياعها».

قال بشر: فامتثلت جميع ما حدّ لي مولاي أبو الحسن عليه السلام، نظرتْ في الكتاب بكتْ بكاء شديداً وقالت له: بِعْني من صاحب هذا الكتاب، وحلفتْ بالمحرجة والمغلّظة إنّه متى امتنع عن بيعها منه قتلت نفسها. فما زلت أشاحه في ثمنها حتّى استقر الأمر على مقدار ما كان أصحبنيه مولاي من الدّنانير فاستوفاه وتسلّمتُ الجارية ضاحكة

مستبشرة ، وانصرفتُ بها إلى حجرتي ببغداد ، فما أخذها القرار حتّى أخرجتُ كتاب مولانا من جيبها وهي تلثمه وتطبقه على جفنها وتضعه على خدّها وتمسحه على بدنها .

فقلت : تلثمين كتاباً لا تعرفين صاحبه ؟

فقالت : أيّها العاجز الضّعيف المعرفة بمحلّ أولاد الأنبياء أعرني سمعك ، وفرّغ قلبك ، أنا مليكة بنت يشوعا بن قيصر الرّوم ، وأُمّي من ولد الحواريّين تنسب إلى وصيّ المسيح شمعون ، أُنبئك بالعجب إنّ جدّي قيصر أراد أن يزوّجني من ابن أخيه وأنا بنت ثلاث عشرة سنة ، فجمع في قصره من نسل الحواريّين من القسّيسين والرّهبان ثلاثمائة رجل ، ومن ذوي الأخطار منهم سبعمائة رجل ، ومن أُمراء الأجناد وملوك العشائر أربعة آلاف ، وأبرز من بهي ملكه عرشاً مصوغاً من أصناف الجواهر ورفعه فوق أربعين مرقاة ، صعد ابن أخيه وأحدقت الصّلب وقامت الأساقفة عكفا ونشرت أسفار الإنجيل تساقطت الصّلبان من الأعلى فلصقت بالأرض ، وتقوّضت أعمدة العرش ، وخرّ الصّاعد إلى العرش مغشياً عليه ، فتغيّرت ألوان الأساقفة وارتعدت فرائصهم.

فقال كبيرهم لجدّي : اعفنا أيّها الملك من ملاقاة هذه النّحوس

الدّالّة على زوال هذا الدّين، فتطيّر جدّي من ذلك تطيّراً شديداً وقال للأساقفة: أقيموا هذه الأعمدة، وارفعوا الصّلبان، وأحضروا أخا هذا المدبّر العاثر المنكوس جدّه لأزوّجه هذه الصّبيّة فيدفع نحوسه عنكم بسعوده، ولمّا فعلوا ذلك حدث على الثّاني مثل ما حدث على الأوّل، وتفرّق النّاس، وقام جدّي مغتمّاً، ورأيت في تلك اللّيلة كأنّ المسيح وشمعون وعدّة من الحواريّين قد اجتمعوا في قصر جدّي ونصبوا فيه منبراً من نور يباري السّماء علوّاً في الموضع الّذي كان نصب جدّي فيه عرشه، ودخل عليه محمّد ﷺ وختنه ووصيّه وعدّة من أنبيائه، فتقدّم المسيح عليه السلام إليه فاعتنقه فيقول له محمّد ﷺ: «يا روح الله، إنّي جئتك خاطباً من وصيّك شمعون فتاته مليكة لابني هذا»، وأومأ بيده إلى أبي محمّد عليه السلام ابن صاحب هذا الكتاب، فنظر المسيح إلى شمعون وقال له: أتاك الشّرف فصل رحمك، وشهد أبناء محمّد ﷺ والحواريّين، فلمّا استيقظت أشفقت أن أقصّ هذه الرؤيا على أبي وجدّي مخافة القتل، وضرب صدري بمحبّة أبي محمّد عليه السلام حتّى امتنعت من الطّعام والشّراب، ومرضت مرضاً شديداً، فما بقي في مدائن الرّوم طبيب إلّا أحضره جدّي، فلمّا برح به اليأس قال: يا قرّة عيني، هل تشتهين شيئاً؟ فقلت: يا جدّي، لو كشفت العذاب عمّن في سجنك من أسارى المسلمين، وتصدّقت عليهم رجوت أن

يهب المسيح وأُمّه لي عافية، ففعل ذلك، فتجلّدت في إظهار الصحّة. وتناولت يسيراً من الطّعام، فسرّ بذلك، وأقبل على إكرام الأُسارى، فرأيت أيضاً بعد أربع عشرة ليلة كأنّ سيّدة النّساء فاطمة قد زارتني ومعها مريم بنت عمران، وألف من وصائف الجنان فتقول لي مريم: هذه سيّدة النّساء أُمّ زوجك أبي محمّد، فأتعلّق بها وأبكي وأشكو إليها امتناع أبي محمّد من زيارتي.

فقالت: «إنّ ابني لا يزورك وأنت مشركة، وهذه أُختي مريم تبرأ إلى الله من دينك، فقولي أشهد أن لا إلٰـه إلّا الله، وأنّ أبـي محمّداً رسول الله ﷺ»، فلمّا قلت ذلك ضمّتني إلى صدرها، وطيّبت نفسي. وقالت: «الآن توقّعي زيارة أبي محمّد»، فلمّا كان في اللّيلة القابلة رأيت أبا محمّد وكأنّي أقول له: جفوتني يا حبيبي بعد أن أتلفت نفسي معالجة حبّك.

فقال: «ما كان تأخّري عنك إلّا لشركك، وإذ قد أسلمت فإنّي زائرك في كلّ ليلة إلى أن يجمع الله شملنا في العيان»، فما قطع عنّي زيارته بعد ذلك إلى هذه الغاية. قال بشر: فقلت لها: وكيف وقعت في الأُسارى؟ فقالت: أخبرني أبو محمّد ليلة من اللّيالي: «أنّ جدّك سيسيّر جيشاً إلى قتال المسلمين يوم كذا وكذا، فعليك باللّحاق بهم متنكّرة في زيّ الخدم من طريق كذا»، ففعلت فوقعت علينا طلائع

المسلمين، فكان من أمري ما رأيت، وما شعر بأنّي ابنة ملك الرّوم أحد سواك، ولقد سألني الشّيخ الّذي وقعت إليه في سهم الغنيمة عن اسمي فأنكرته وقلت: نرجس، فقال: اسم الجواري قال: العجب إنّك روميّة ولسانك عربي؟

قلت: بلغ من لوع جدّي وحمله إيّاي على تعلّم الآداب أن أوعز إلى امرأة ترجمان له بلا اختلاف إليّ وتعليمي العربيّة.

قال بشر: فلمّا دخلت على مولاي أبي الحسن عليه السلام قال لها: «كيف أراك الله عزّ الإسلام وشرف محمّد وأهل بيته صلى الله عليه وآله؟».

قالت: كيف أصف لك يابن رسول الله ما أنت أعلم به منّي.

قال: «فإنّي أُحبّ أن أُكرمك، فأيما أحبّ إليك عشرة آلاف درهم أم بشرى لك بشرف الأبد؟». قالت: بل الشّرف.

قال: «فأبشري بولد يملك الدّنيا شرقاً وغرباً ويملؤ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً». قالت: ممّن؟

قال: «ممّن خطبك رسول الله صلى الله عليه وآله، وهل تعرفينه؟». قالت: وهل خلت ليلة لم يزرني فيها منذ أسلمت على يد سيّدة النّساء؟

فقال: «يا كافور، ادع أُختي حكيمة»، فلمّا دخلت قال لها: «هاهية»، فاعتنقتها طويلاً وسرّت بها، فقال لها أبو الحسن عليه السلام:

«يا بنت رسول الله، خذيها إلى منزلك وعلّميها الفرائض والسّنن فإنّها زوجة أبي محمّد وأمّ القائم عليه السلام».

وقال عليّ بن الحسين المسعودي في كتاب إثبات الوصيّة لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: روى لنا الثّقات من مشايخنا أنّ بعض أخوات أبي الحسن عليّ بن محمّد الهادي عليه السلام كانت له جارية ولدت في بيتها وربّتها تسمّى نرجس، فلمّا كبرت وعبلت دخل أبو محمّد الحسن العسكري عليه السلام فنظر إليها فأعجبته، فقالت له عمّته: أراك تنظر إليها؟

فقال عليه السلام: «إنّي ما نظرت إليها إلّا متعجّباً أما أنّ المولود الكريم على الله جلّ وعلا يكون منها»، ثمّ أمرها أن تستأذن أبا الحسن في دفعها إليه ففعلت، فأمرها بذلك.

وروى الصّدوق في كمال الدّين بسنده عن المطهّري عن حكيمة بنت الإمام محمّد الجواد عليه السلام قالت: كانت لي جارية يقال لها نرجس، فزارني ابن أخي (يعني الحسن العسكري عليه السلام) وأقبل يحدّ النّظر إليها، فقلت له: يا سيّدي، لعلّك هويتها فأرسلها إليك؟

فقال: «لا يا عمّة لكن أتعجّب منها سيخرج منها ولد كريم على الله عزّ وجلّ الّذي يملؤ الله به الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً».

فقلت: فأرسلها إليك يا سيّدي؟

فقال: استأذني أبي، فأتيت منزل أبي الحسن عليه السلام فبدأني وقال: «يا حكيمة ابعثي بنرجس إلى ابني أبي محمّد».

فقلت: يا سيّدي، على هذا قصدتك.

فقال: «يا مباركة، إنّ الله تبارك وتعالى أحبّ أن يشركك في الأجر»، فزيّنتها ووهبتها لأبي محمّد عليه السلام، فمضى أبو الحسن عليه السلام وجلس أبو محمّد عليه السلام مكانه، فكنت أزوره كما كنت أزور والده، فجاءتني نرجس يوماً تخلع خفّي وقالت: يا مولاتي، ناوليني خفّك؟

فقلت: بل أنت سيّدتي ومولاتي، والله لا دفعت إليك خفّي، ولا خدمتني، بل أخدمك على بصري، فسمع أبو محمّد عليه السلام ذلك فقال: «جزاك الله خيراً يا عمّة»، فلمّا غربت الشّمس صحتُ بالجارية: ناوليني ثيابي لأنصرف.

فقال: «يا عمّتاه، بِيْتي اللّيلة عندنا، فإنّه سيولد اللّيلة المولود الكريم على الله عزّ وجلّ الّذي يحيي الله به الأرض بعد موتها».

وفي رواية أُخرى في كمال الدّين[1] أنّه بعث إليها فقال: «يا عمّة، اجعلي إفطارك اللّيلة عندنا، فإنّها ليلة النّصف من شعبان، فإنّ الله تبارك وتعالى سيظهر في هذه اللّيلة الحجّة في أرضه».

---

(١) كمال الدّين: ٤٢٤.

فقالت: ومن أُمّه ؟

قال: «**نرجس**». قالت له: والله جعلني الله فداك، ما بها أثر ؟

فقال: «**هو ما أقول لك**». قالت: فجئت، فلمّا سلّمت وجلست جاءت تنزع خفّي وقالت لي: يا سيّدتي، كيف أمسيت ؟ فقلت: بل أنت سيّدتي وسيّدة أهلي، فأنكرتْ قولي وقالت: ما هذا يا عمّة ؟ فقلت: يا بنيّة، إنّ الله سيهب لك في ليلتك هذه غلاماً سيّداً في الدّنيا والآخرة، فجلستْ واستحيتْ، ثمّ قال لي أبو محمّد عليه السلام: «**إذا كان وقت الفجر يظهر لك بها الحبل لأنّ مثلها مثل أُمّ موسى لم يظهر بها الحبل، ولم يعلم بها أحد إلى وقت ولادتها؛ لأنّ فرعون كان يشقّ بطون الحبالى في طلب موسى، وهذا نظير موسى عليه السلام**».

قالت حكيمة: فلمّا فرغت من صلاة العشاء الآخرة أفطرت وأخذت مضجعي، فرقدت، فلمّا كان في جوف اللّيل قمت إلى الصّلاة، ففرغت من صلاتي وهي نائمة ليس بها حادث، ثمّ جلست معقّبة، ثمّ انتبهت وهي راقدة، ثمّ قامت فصلّت، فدخلتني الشّكوك. فصاح أبو محمّد من المجلس: «**لا تعجلي يا عمّة، فإنّ الأمر قد قرب**». فقرأت الم السّجدة ويس، فبينما أنا كذلك إذ انتبهت فزعة، فوثبت إليها، فقلت: اسم الله عليك ثمّ قلت: تحسّين شيئاً ؟ قالت: نعم.

فقلت لها: اجمعي نفسك واجمعي قلبك، ثمّ أخذتني فترة وأخذتها فترة، فانتبهت بحسّ سيّدي، فكشفت الثّوب عنه فإذا به ساجد يتلقّى الأرض بمساجده، فضممته إليّ، فإذا به نظيف منظّف، فصاح بي أبو محمّد عليه السلام: «هلمّي إليّ ابني يا عمّة»، فجئت به إليه، فوضع يده تحت إليتيه وظهره، ووضع قدميه على صدره، ثمّ أدلى لسانه في فيه، وأمرّ يده على عينيه وسمعه ومفاصله.

ثمّ قال: «تكلّم يا بُنيّ؟».

فقال: «أشهد أن لا إلـه إلّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله»، ثمّ صلّى على أمير المؤمنين وعلى الأئمّة إلى أن وقف على أبيه، ثمّ أحجم، فلمّا أصبحت جئت لأُسلّم على أبي محمّد، فافتقدت سيّدي فلم أره، فقلت: جعلت فداك، ما فعل سيّدي؟ فقال: «استودعناه الّذي استودعته أُمّ موسى»، فلمّا كان اليوم السّابع جئت فقال: هلمّي إلى ابني، ففعل به كالأوّل، ثمّ أدلى لسانه في فيه كأنّه يغذيه لبناً أو عسلاً، ثمّ قال: «تكلّم يا بُنيّ؟».

فقال: «أشهد أن لا إلـه إلّا الله»، وثنّى بالصلاة على محمّد وعلى أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام حتّى وقف على أبيه، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً

وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾[1].

وروى الصّدوق في كمال الدّين أيضاً أنّ أبا محمّد عليه السلام أمر أن يشترى عشرة آلاف رطل خبزاً وعشرة آلاف رطل لحماً ويفرّق ، وعقّ عنه بكذا وكذا شاة: عن أبي جعفر العمري ، قال: لمّا ولد السيّد عليه السلام قال أبو محمّد عليه السلام : «ابعثوا إلى أبي عمرو» ، فبعث إليه ، فقال له: «اشتر عشرة آلاف رطل خبزاً وعشرة آلاف رطل لحماً وفرّقه ـ أحسبه قال على بن هاشم ـ وعقّ عنه بكذا وكذا شاة»[2].

شبهات و ردود

☐ **الحكاية الّتي أوردتها عن السّيّدة أمّ الإمام صاحب الزّمان عليه السلام وقصّة زواجها بالإمام العسكري صلوات الله عليه ، وقصّة ولادة الإمام المهدي عجّل الله فرجه المرويّة عن السّيّدة حكيمة أخت الإمام الهادي عليه السلام وعمّة الإمام العسكري عليه السلام . ألا ترى أنّها أشبه بالقصص الخياليّة والأساطير ؟**

---

(١) سورة القصص: ٥ و ٦.

(٢) كمال الدّين: ٤٣١.

■ منذ أكثر من ألف عام ومذهب الحقّ يواجه من جهلة هذه الأُمّة وسفلتها مثل هذه الطّعنات والافتراءات ، وطيلة هذه الفترة لم تسلم الفِرقة النّاجية من سهام الحقد المسمومة بأقذع الأباطيل ، وقد امتلئت بطون كتب الضّلال منها ، ولا عجب من ذلك إذ قال تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ ﴾[1] ؟ فأهل الباطل حين يجدون أنفسهم مهزومين أمام منطق الحقّ عاجزين عن مواجهة سلاح البرهان الّذي لا يقاومه أفتك السّلاح ، لا جرم يلجأون إلى إحدى الجريمتين في محاولة يائسة لمواجهة الحقّ وأهله ، وتبرير ما هم عليه من الضّلال ، فتارةً يتوسّلون بالإفتراء عليهم بأن يلبسوا الحقّ بالباطل فينسبوا إلى أهل الحقّ ما هم منه براء ، أو يتلاعبوا في الحقيقة بإلغاء شبهات تلتبس على العوامّ والسّذّج من النّاس ، وتارة أُخرى يتربّصون بهم الدّوائر بالقتل والتّهديد والمطاردة والتّشريد . وفي سيرة أهل الباطل إزاء الأنبياء والأولياء ما يكفينا مؤونة التّطويل ، وقد لجأ أعداؤنا منذ صدر الإسلام إلى كلا الأُسلوبين واقترف في حقّنا كلتا الجريمتين ، وهذه كتبهم تشهد عليهم ، وفتاواهم تنطق بما لديهم ، وهي دينهم وديدنهم يتفاخرون ويتبجّحون بها ﴿ وَتَحْسَبُونَهُ

(١) سورة النّساء: ٥٤.

هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللهِ عَظِيمٌ﴾[1]؛ إذ لا يرقبون في مؤمن إلاًّ ولا ذمّـة، ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾[2]، فلم يزد قمعهم الفكـري وتصفياتهم الجسديّة أهل الحقّ إلّا صلابة في الدّين وقوّة في البرهان واليـقين، ومـا ازداد الحـقّ بتلك المـمارسات القـمعيّة الوحشـيّة والأساليب البربريّة إلّا عزّاً وانتصاراً وانتشاراً، وما خُيّل إليهم أنّـه نقمة على أهـل الحـقّ، غـدا نـعمة لهـم أثـارت حـفيظة المـنصفين والمستضعفين وأصحاب الضّمائر، فانقلب السّحر على السّاحر حـين وعى هؤلاء ـ وما أكثرهم ـ إلى عمق المأساة الّتي يعانيها أهل الحـقّ فتعاطفوا معهم ومالوا إليهم.

وكيف كان فالأُمم السّابقة رمت الأنبياء بمثل هذه التُّهم، كما رمت هذه الأُمّة نبيّها ﷺ بأن ما يخبر عنه من أحوال الآخرة وأهوال يوم القيامة والحشر والنشر والحساب وغير ذلك كلّها أساطير الأوّلين، وقد رماه بـعض أُصـحابه وهـو يحـتضر في رمـقه الأخـير قـائلاً: «دعوا الرّجل فإنّه ليهجر»[3]، أي يهذي ولا يفقه ما يـقول. فـإذا

(١) سورة النّور: ١٥.

(٢) سورة الكهف: ١٠٤.

(٣) عمر بن الخطّاب لعبد الرحمن البكري: ٦٤، سرّ العـالمين وكشـف ⇐

كان رسول الله ﷺ لم يسلم من تلك الأراجيف والاتّهامات وهي سُنّة الحياة. فما بالنا نعجب إذا كالوا إلينا مثلها، بل أقبح منها؛ إذ لا غرابة حينئذٍ في ذلك بل خلافه يثير الدّهشة والاستغراب.

أمّا هذه الحكاية بتفاصيلها فما الغريب فيها؟ وما المحال فيها؟ ولو رجعت إلى سيرة الأنبياء وكتب الحديث عند الفريقين لوجدت أدهش من ذلك، بل في كتب القوم عن بعض علمائهم أو الصّحابة قصص عجيبة، ولبعضهم حكايات غريبة لم يتعرّضوا لها بالطعن والاستغراب ولو أردنا سردها لطال بنا الكلام وخرج الكتاب عن حدوده المرسومة له، ويكفيك الرّجوع إلى ما يروونه للبخاري

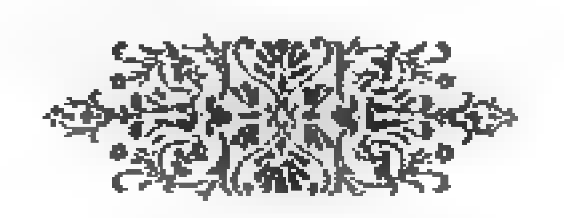
⇦ ما في الدارين ٣١٦/١، مسند أحمد ٣٤٣/٣.

وفي رواية أُخرى: «إنّ نبي الله ليهجر» فتح الباري: ١٠١/٨، الطبقات الكبرى: ٢٤٢/٢، عمر بن الخطّاب للبكري: ٦٦.

وبلفظ ثالث: «إنّما يهجر رسول الله ﷺ» الطبقات ٣٧/٢.

وفي رابع: «إنّ الرجل ليهجر» صحيح مسلم: ١٢٥٩/٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥٥/٢ و ٥١/٦، الملل والنحل للشهرستاني: ٩٢/١، المسند للحميري: ٢٤١/١، طبقات ابن سعد: ٣٦/٢ و ٣٧، مسند أحمد: ٢٩٣ و ٣٥٥، صحيح البخاري: ٣٩/١ و ٨٥/٤ و ١٢٥، المعجم الكبير للطبراني: ٤٤٥/١١، شرح السنّة للبغوي: ١٨٠/١١، تاريخ ابن الأثير: ٣٢٠/٢.

والكيلاني وأمثالها من أعاجيب الحكايات، على أنّ ما في القرآن الكريم من قصّة السّيّدة مريم عليها السلام وولادة عيسى صلوات الله عليه ممّا هو خلاف المألوف أعجب منها، وهكذا في قصّة يوسف عليه السلام وموسى عليه السلام وزكريّا ويحيى عليهما السلام وداود وسليمان عليهما السلام ما يغنينا مؤونة الاستدلال والتّحقيق، ولو رجعت إلى قصص الأنبياء في كتب القوم لرأيت العجب العجاب ممّا لا تألفه عادة عقول السّذّج والبلهاء. فهل يجوز لهم ما يحرم لغيرهم؟ وهل باؤهم تجرّ وباء غيرهم لا تجر؟ وهل يجوز لمنكر الرّسالات السّماويّة وبعثة الأنبياء وأهل العناد والكفر أن يطعنوا على المسلمين وعلى أهل الكتب السّماويّة بأنّ ما جاء فيها من قصص الأنبياء كلّها أساطير لا تقبلها عقولنا لمجرّد أنّها مخالفة للمألوف عندهم، فيسخرون منها ومنهم؟! ولكن هي شنشنة في صدور القوم وضغائن أمويّة على أهل بيت النّبوّة وشيعتهم. وليست هذه أوّل قارورة كسرت في الإسلام، ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾[1].



(١) سورة الزُّمر: ١٧ و ١٨.

الدّرس السّادس والعشرون

إمامة الإمام المهدي عجّل الله فرجه



لقد اتّفقت كلمة المسلمين ولم يختلف اثنان منهم على الاعتقاد بخروج المهدي عليه السلام في آخر الزّمان، وأنّه من قريش، ومن بني هاشم، ومن ذرّيّة رسول الله صلى الله عليه وآله، وبالتحديد أنّه من ولد عليّ وفاطمة عليهما الصّلاة والسّلام، وأنّ اسمه كاسم النّبي صلى الله عليه وآله، والأحاديث في ذلك متواترة عند الشّيعة والسّنّة، كما هو معلوم عند من تصفّح الأحاديث والأخبار الّتي سنعرض في هذا الدّرس شيئاً منها، ويشتمل بعضها على أكثر روايات أهل السّنّة، مع أنّ ما تركناه منها قصداً للاختصار ـ لا سيّما روايات الشّيعة ـ أضعاف ما ذكرناه، فالاعتقاد بالمهدي عليه السلام هو من ملّة الإسلام ومتواتراته، بل من ضروريّاته الّتي لا مجال لمناقشته، ولا خلاف فيه بين كافّة المسلمين، وإنّما اختلفوا في أُمور:

أوّلاً: هل ولد أم سيولد؟

ثانياً: ما اسم أبيه؟

ثالثاً: في بعض علامات ظهوره.

رابعاً: في جملة من أوصافه.

فالشيعة وجماعة من علماء أهل السّنّة على أنّه ولد، وأنّه الإمام محمّد بن الحسن العسكري عليه السلام.

بينما أكثر السّنّة على أنّه لم يولد بعد وسيولد، وأنّ اسمه محمّد بن عبدالله.

وقد استعرضنا وجوه الخلاف بينهم في مباحث عدّة في الدّروس السّابقة عند تعرّضنا لمصادر المسلمين.

والأدلّة على إمامته روحي له الفداء كثيرة جدّاً تفوق حدّ التّواتر اللّفظي والمعنوي من جهة الخاصّة والعامّة بالأدلّة العقليّة والنّقليّة؛ إذ كلّ ما دلّ على إمامة آبائه الطّاهرين صلوات الله عليهم فهو دالّ بالدلالة القطعيّة والالتزاميّة على إمامته صلوات الله عليه، ومنها ما يدلّ بالدلالة المطابقيّة على إمامته عليه السلام، كحديث «من بعدي اثنا عشر خليفة، وكلّهم من قريش»، الّذى أطبقت عليه الخاصّة والعامّه. وحديث السّفينة، وحديث اللّوح، وحديث الثّقلين، وحديث

أهل بيتي كالنجوم، وحديث الكساء وغيرها ممّا أجمع على نقلها الفريقان. أضف إلى ذلك الأدلّة العقليّة من وجوب نصب إمام حجّة معصوم في كلّ زمان، وغيرها من الأدلّة الّتي سقنا شطراً منها في مبحث الإمامة من هذا الكتاب، وفي الكتب المفصّلة الّتي عقدت للبحث عن أُصول العقائد والإمامة، وما اختصّ منها للبحث عن المهدي عجّل الله تعالى فرجه ما يكفي ويزيد، ويغني عمّا سواها لمن ألقى السّمع وهو شهيد، وللّذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه.

وكيف كان فالحقّ ولادة الإمام المهدي عجّل الله فرجه وحياته. ودليلنا على ذلك العقل والنّقل معاً، وحينئذٍ فلا يلتفت إلى شبهات المغرضين وتشكيك المشكّكين؛ لأنّ إلقاء الشّبهات وإثارة الشّكوك خلاف لدليل العقل ودليل النّقل، كما سيتّضح جليّاً في هذا الدّرس إن شاء الله تعالى.

١ ـ دليل العقل

والدّليل العقلي عبارة عن حكم العقل القطعي بوجوب اللّطف من الله تعالى؛ إذ كتب الله تعالى على نفسه اللّطف بعباده، وهو فعل ما يقرّب العبد إلى الطّاعة، ويبعّده عن المعصية، بحيث يلزم منه إزاحة العلّة لارتكاب المعصية، وقطع المعذرة للعاصي، من غير أن يصل إلى حدّ الإجبار والإكراه على الطّاعة وسلب الاختيار من العبد المكلّف.

﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَىٰ اللهِ حُجَّةٌ ﴾[1]، بل تكون له الحجّة البالغة عليهم ﴿ قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴾[2].

فالعقل حاكم بوجوب إرسال الرُّسل وبعثة الأنبياء ليبيّنوا للنّاس ما أراد الله تعالى منهم من التّكاليف المقرّبة من الخير، والمبعّدة عن الشّرّ، ويحكموا بينهم بالعدل.

ويشترط في هؤلاء الأنبياء والرُّسل صلوات الله عليهم أجمعين أن يكونوا معصومين من الخطايا والذّنوب، مبرّئين من النّقائص والعيوب، منزّهين من القبائح، وذلك لتقبل أقوالهم وتقع في النّفوس المستعدّة، وتنجذب إليها القلوب الطّيّبة، ويُؤمن منهم الكذب والتحريف.

والعقل حاكم أيضاً بوجوب نصب أوصياء لهم، وخلفاء ينوبون عنهم ويخلّفونهم من بعدهم، يقومون مقامهم في حفظ الشّريعة وإبلاغها للناس، ونفي التّحريف والتّبديل عنها، والحكم بين النّاس بالعدل وشريعة السّماء، بإنصاف المظلوم من الظّالم، وإحقاق الحقّ، وإبطال الباطل، ونشر الحكمة والفضيلة، وإقامة العوج، وتوحيد

---

(١) سورة النّساء: ١٦٥.

(٢) سورة الأنعام: ١٤٩.

الصّفوف، والدّفاع عن بيضة الإسلام، ودفع كيد الأعداء إلى نحورهم.

ويشترط فيهم أيضاً أن يكونوا معصومين عمّا عصم منه الأنبياء والرّسل، لنفس العلّة الّتي وجب عصمة الأنبياء عليهم السلام، وبذات الدّليل الّذي دلّ على عصمتهم، وقد بحثنا ذلك في الحلقة الأُولى من كرّاسنا المسمّى (كيف نفهم الرّسالة العمليّة؟)، ولقوله تعالى ردّاً على إبراهيم الخليل عليه الصّلاة والسّلام حين قال تعالى: ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً ﴾، فقال الخليل عليه الصّلاة والسّلام: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾. أي اجعل الإمامة في ذرّيّتي، فأجابه الحكيم جلّ وعلا: ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾[1]، وكلّ من لم يكن معصوماً جازت عليه المعصية. والمعصية ظلم، وعهد الله تعالى وهي الإمامة على النّاس لا يناله الظّالم، سواء كان ظالماً لنفسه أو لغيره.

ويجب أن يكونوا منصوبين من عند الله تعالى، منصوصاً عليهم من النّبيّ الّذي استخلفهم على الأُمّة والنّاس؛ لأنّ العصمة:

أوّلاً: من الأُمور الخفيّة والأسرار الّتي لا يطّلع عليها إلّا الله تعالى

وثانياً: لأنّ إيكال ذلك إلى النّاس يؤدّي إلى الهرج والمرج.

---

(١) سورة البقرة: ١٢٤.

والنّزاع، والاختلاف، وحصول الفساد.

وثالثاً: للزوم أن يكون أكمل النّاس على الإطلاق يحتاج إليه كل واحد من أهل زمانه، ويكون غنياً عنهم جميعاً في كلّ ما تدور عليه رحى الدّين والدّنيا، وهذا لا يتمّ إلّا بالاختيار والنّصب الإلـهيّين. وفي كتاب السّياسة المدنيّة للفارابي المبحوث فيه أنواع المدينة، وأقسام الحكومات، وشروط المدينة الفاضلة، وآراء أهلها وأخلاقهم، قال: «الرّئيس الأوّل من هو على الإطلاق، هو الّذي لا يحتاج في شيء أصلاً أن يرأسه إنسان، بل يكون قد حصلت له العلوم والمعارف بالفعل، ولا تكون به حاجة في شيء إلى إنسان يرشده، وتكون له قدرة على وجوه إدراك شيء ممّا ينبغي أن يعمل من الجزئيات، وقوّة على جودة الإرشاد لكلّ من سواه إلى كلّ ما يعمله، وقدرة على استعمال كلّ من سبيله أن يعمل شيئاً ما في ذلك العمل الّذي هو معدّ نحوه، وقدرة على تقدير الأعمال وتحديدها نحو السّعادة جودة، وإنّما يكون ذلك في أهل الطّبائع العظيمة الفائقة إذا اتّصلت نفسه بالعقل الفعّال، وإنّما يحصل له أوّلاً العقل المنفعل ثمّ أن يحصل له بعد ذلك العقل الّذي هو المستفاد، فبحصول المستفاد يكون الاتّصال بالعقل الفعّال على ما ذكر في كتاب النّفس، وهذا الإنسان

هو الملك بالحقيقة عند القدماء، وهو الّذي ينبغي أن يقال فيه أنّه يوحى إليه...الخ».

ثمّ قال: «والنّاس الّذين يدبّرون برئاسة هذا الرّئيس هم النّاس الفاضلون والأخيار السّعداء، فإن كانوا أُمّة فتلك هي الأُمّة الفاضلة. وإن كانوا أُناساً يجتمعون في مسكن واحد كان ذلك المسكن الّذي يجمع جميع من تحت هذه الرّئاسة هو المدينة الفاضلة».

ثمّ قال بعد ذلك: «والمدينة الفاضلة تضادّها المدينة الجاهلة، والمدينة الفاسقة، والمدينة الضّالّة، ثمّ البهيميّون بالطبع».

وقد علّق شارح أُصول الكافي ﷺ على هذا الكلام بعد نقله إيّاه: «والغرض من نقل كلامه أن يعلم تطابق النّقل والعقل على صحّة مذهب الشّيعة في الإمامة»[1].

ونقل عن الشّيخ الرّئيس ابن سينا قوله في الإمام عليّ عليه السلام: «حاجة الخلق إليه واستغناؤه عنهم دليل إمامته على الخلق».

والحاصل: يجب القول بوجود إمام معصوم في كلّ زمان منصوب من قِبل الله تعالى؛ لئلا تخلو الأرض من حجّة قائم بالحقّ، ظاهراً

---

(١) شرح أُصول الكافي للمازندراني: ١٢٦/٥.

أو غائباً؛ إذ «**لولا الحجّة لساخت الأرض بأهلها**»[1]، وشأن الإمام في الأُمّة شأن الجبال الّتي هي أوتاد الأرض، الّتي لولاها تميد الأرض بأهلها، فالإمام وتد معنوي كما أنّ الجبال أوتاد ماديّة، وهو الرّوح الّتي بها يستقيم الجسد، والجسد ينعدم بانعدام الرّوح، والعكس بالعكس، أي الجسد غير مقوّم للروح، فلا تنعدم الرّوح بانعدام الجسد الّذي تحلّ فيه، ثمّ إنّ دمار الأرض وانعدامها يعني وقوع الدّمار في المنظومة الشّمسيّة وما يدور في فلكها، فالإمام عليه السلام والحجّة روح الكون، به قوام الكائنات لأنّه الوتد الّذي جعله الله تعالى سبباً ليمسك به السّماوات والأرض.

ولهذا قال الشّيخ المفيد أعلى الله درجاته في العلّيّين:

«ذكر طرف من الدّلائل على إمامة القائم بالحقّ (محمّد بن الحسن) عليه السلام: فمن الدّلائل على ذلك ما يقتضيه العقل بالاستدلال الصّحيح من وجود إمام معصوم كامل غني عن رعاياه في الأحكام والعلوم في كلّ زمان؛ لاستحالة خلوّ المكلّفين من سلطان يكونون بوجوده أقرب إلى الصّلاح، وأبعد من الفساد، وحاجة الكلّ من

---

(١) شرح أُصول الكافي: ١٢٦/٥، وادّعى السّبحاني في كلّيات علم الرّجال تواتره.

ذوي النّقصان إلى مؤدّب للجناة، مقوّم للعصاة، رادعٍ للغواة، معلّمٍ للجهّال، منبّهٍ للغافلين، محذّرٍ من الضّلال، مقيمٍ للحدود، منفّذٍ للأحكام، فاصلٍ بين أهل الاختلاف، ناصبٍ للنّاس في الجمعات والأعياد، وقيام الأدلّة على أنّه معصوم من الزّلّات لغناه عن الإمام بالاتّفاق، واقتضاء ذلك له العصمة بلا ارتياب، ووجوب النّصّ على من هذه سبيله من الأنام، أو ظهور المعجز عليه لتمييزه ممّن سواه. وعدم هذه الصّفات من كلّ أحد سوى من أثبت إمامته أصحاب الحسن بن عليّ عليه السلام، وهو ابنه المهدي على ما بيّناه، وهذا أصل لن يحتاج معه في الإمامة إلى رواية النّصوص وتعداد ما جاء فيها من الأخبار؛ لقياسه بنفسه في قضيّة العقول، وصحّته بثابت الاستدلال».

ولا تكاد تجد طائفة من المسلمين أطبقت على اثني عشر مصداقاً تنطبق عليهم أوصاف الإمامة الإلهيّة من حيث العصمة والطّهارة والاتّصال ببيت النّبوّة والوحي والكمال والفضل عدا الشّيعة الإماميّة الاثني عشريّة، المعتقدين بإمامة الأئمّة الاثني عشر من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، الّذين استجمعوا كافّة صفات الفضل والكمال. فوجب القول بأنّ أصحاب هذه الأوصاف والكمالات ومصاديقها هم أئمّة أهل البيت الاثنا عشر صلوات الله عليهم، وإلّا لزم خلوّ

العصور والأزمنة المتأخّرة عن عصر النّبيّ ﷺ من الحجّة والإمام المعصوم. وقد ثبت بطلانه لترتّب مفاسد عظيمة ومخاطر جسيمة عليه.

٢ ـ دليل النّقل

وأمّا الأدلّة النّقليّة فكثيرة سقنا بعضاً منها في الدّروس السّابقة وهي عبارة عن نصوص عن النّبيّ ﷺ والأئمّة عليهم السلام، ونكتفي هنا بالتالي:

قال الشّيخ المفيد عليه الرّحمة والرّضوان: «وقد سبق النّصّ عليه في ملّة الإسلام من نبيّ الهدى ﷺ، ثمّ من أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ونصّ عليه الأئمّة عليهم السلام واحداً بعد واحد إلى أبيه الحسن عليه السلام، ونصّ أبوه عليه عند ثقاته، وخاصّة شيعته، وكان الخبر بغيبته ثابتاً قبل وجوده وبدولته، مستفيضاً قبل غيبته، وهو صاحب السّيف من أئمّة الهدى عليهم السلام، والقائم بالحقّ، المنتظر لدولة الإيمان. وله قبل قيامه غيبتان: إحداهما أطول من الأُخرى، كما جاءت بذلك الأخبار، فأمّا القصرى منها فمنذ وقت مولده إلى انقطاع السّفارة بينه وبين شيعته، وعدم السّفراء بالوفاة. وأمّا الطّولى فهي بعد الأولى، وفي آخرها يقوم بالسيف، قال الله عزّ وجلّ:

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾[1].

وقال جلّ اسمه: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾[2].

وقال رسول الله ﷺ: «لن تنقضي الأيّام واللّيالي حتّى يبعث الله رجلاً من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي، يملؤها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً»[3]. وقال ﷺ: «لو لم يبقَ من الدّنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يبعث فيه رجلاً من ولدي، يواطئ اسمه اسمي، يملؤها عدلاً وقسطاً، كما ملئت جوراً وظلماً»[4]»[5].

وقال عليه الرّحمة والرّضوان في موضع آخر: «ثمّ قد جاءت روايات في النّصّ على ابن الحسن عليه السلام من طرق ينقطع بها الأعذار. وأنا بمشيئة الله مورد طرفاً منها على السّبيل الّتي سلفت من الأئمّة

---

(١) سورة القصص: ٥ و ٦.

(٢) سورة الأنبياء: ١٠٥.

(٣) و (٤) روضة الواعظين: ٢٦١.

(٥) الإرشاد: ٢/٣٣٩.

صلوات الله عليهم في مجمل ومفصّل على البيان»[1]، ثمّ أورد جملة من هذه الأخبار فنها:

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ الله عزّ اسمه أرسل محمّداً صلى الله عليه وآله إلى الجنّ والإنس، وجعل من بعده اثني عشر وصيّاً، منهم من سبق، ومنهم من بقي، وكلّ وصيّ جرت به سُنّة، فالأوصياء الّذين من بعد محمّد عليه وعليهم السّلام على سُنّة أوصياء عيسى عليه السلام، وكانوا اثني عشر، وكان أمير المؤمنين عليه السلام على سُنّة المسيح عليه السلام»[2].

وعن أبي جعفر الثّاني، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه: آمنوا بليلة القدر فإنّه ينزل فيها أمر السّنة، وإنّ لذلك ولاةً من بعدي عليّ بن أبي طالب وأحد عشر من ولده»[3].

كما أورد رحمه الله في الإرشاد الجزء الثّاني، ص٤٥٥ فما بعد، جملة من الأحداث الدّالّة بالضرورة القطعيّة على إمامته عليه السلام وعصمته.

وأمّا شيخ الطّائفة الطّوسي أعلى الله مقامه الشّريف فقد استدلّ

(١) الإرشاد: ٣٤٢/٢.

(٢) و (٣) الإرشاد: ٣٤٣/٢.

بجملة من الأحاديث على إمامة صاحب الزّمـان أرواح العـالمين له الفداء، ثمّ قال: «هذه الأخبار متواتر بها لفظاً ومعنىً، فأمّا اللّفظ فإنّ الشّيعة تواترت بكلّ خبر منه، وأمّـا المـعنى فـإنّ كـثرة الأخـبار، واختلاف جهاتها، وتباين طـرقها، وتـباعد رواتهـا، يـدلّ عـلى صحّتها؛ لأنّه لا يجوز أن يكون كلّها باطلة، ولذلك يستدلّ في مواضع كثيرة على معجزات النّبيّ ﷺ الّتي هي سوى القرآن وأُمور كثيرة في الشّرع بالتواتر معنىً، وإن كان كلّ لفظ منها منقولاً من جهة الآحاد. وذلك معتمد عند من خالفنا في هذه المسألة، فلا يـنبغي أن يـتركوه وينسوه إذا جئنا إلى الكلام في الإمامة، والعصبية لا ينبغي أن تنتهي بالإنسان إلى حدّ يجحد الأُمور المعلومة، وهذا الّذي ذكرناه معتبر في مدائح الرّجال وفضائلهم، ولذلك استدلّ على سخاء حاتم وشجاعة عمرو وغير ذلك، بمثل ذلك، وإن كان كلّ واحد ممّا يروى من عطاء حاتم ووقوف عمرو في موقف مـن المـواقـف مـن جـهة الآحـاد، وهذا واضح»(١).

ثمّ قال ﷺ: «وممّا يدلّ على إمامة ابـن الحسـن ﷺ زائـداً عـلى ما مضى أنّه لا خلاف بين الأمّة أنّه سيخرج في هذه الأُمّة مهدي يملؤ

---

(١) الغيبة: ١٧٤.

الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وإذا بيّنا أنّ ذلك المهدي من ولد الحسين عليه السلام، وأفسدنا قول كلّ من يدّعي ذلك من ولد الحسين سوى ابن الحسن عليه السلام ثبت أنّ المراد به هو عليه السلام، والأخبار المروية في ذلك أكثر من أن تحصى، غير أنّا نذكر طرفاً من ذلك. فمّا روي من أنّه لا بدّ من خروج مهدي في هذه الأمّة....الخ»[1] وأسرد جملة من الرّوايات في هذا الشّأن.

وقد ساق ابن بابويه القمّي رضوان الله عليه جملة من الأخبار في هذا الباب أوّلها وهو صحيح أعلائي:

عن الحسين بن أبي علاء، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: قلت له: تكون الأرض بغير إمام؟ قال: «لا».

قلت: أفيكون إمامان في وقت واحد؟ قال: «لا، إلّا أحدهما صامت».

قلت: فالإمام يعرف الإمام الّذي بعده؟ قال: «نعم».

قلت: القائم إمام؟ قال: «نعم، إمام بعد إمام، قد اؤتمّ به قبل ذلك»[2].

---

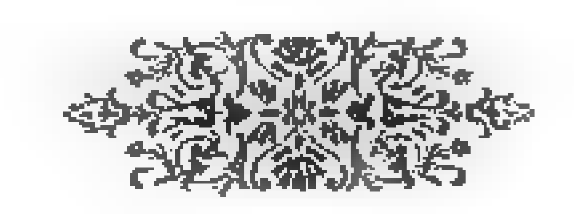
(١) الغيبة: ١٧٤.

(٢) الإمامة والتبصرة: ١٠١.

وقال العلّامة الحلّي أعلى الله مقامه بعد سرده مجموعة من الأخبار والأدلّة على إمامته عليه الصّلاة والسّلام: «وهذا طرف يسير ممّا جاء في النّصوص على الثّاني عشر من الأئمّة عليهم السلام، والرّوايات في ذلك كثيرة قد دوّنها أصحاب الحديث من هذه العصابة وأثبتوها في كتبهم المصنّفة، فممّن أثبتها على الشّرح والتّفصيل محمّد بن إبراهيم المكنّى أبا عبدالله النّعماني في كتاب صنّفه في الغيبة، فلا حاجة بنا مع ما ذكرناه إلى إثباتها على التّفصيل في هذا المكان»[1].

وقال ثقة الإسلام الطّبرسي رحمه الله بعد أن ساق جملة من هذه الأخبار: «والأخبار في هذا الباب كثيرة ظاهرة في الشّيعة، متواترة ثابتة في أُصولها المتقدّمة لزمان الحسن العسكري عليه السلام، وفي ذلك أصحّ دليل وبرهان على إمامة القائم ابن الحسن عليهما السلام»[2].

وللمزيد، راجع: بحار الأنوار: ٥٥/٢٤١ و: ٥٢/١٠٣. عيون المعجزات: ١٣٤. الغيبة للطّوسي: ٣٤٢. والغيبة للنعماني.



(١) المستجاد من الإرشاد: ٢٣٥.

(٢) إعلام الورى: ٢/٢٤٧.

الدّرس السّابع والعشرون

شبهات وردود



□ ذكرتم أنّ الإمام المهدي صلوات الله عليه تقلّد الإمامة بعد أبيه وقد ناهز الخامسة من عمره الشّريف، فهنا ترد أسئلة ثلاثة:

أوّلاً: هل يعقل أن تعطى الإمامة لصبي في هذا العمر؟

ثانياً: ما فائدة الإمامة في هذا العمر؟

ثالثاً: أليست الإمامة منصباً عظيماً بها تتحقّق الولاية على كافّة البشر؟ وعلى الإمام أن يقيم العدل والحقّ ويطبّق القوانين الإلٰهيّة، ويحمي ثغور المسلمين وغير ذلك من المسؤوليّات الجسيمة؟ فكيف تؤتى لصبي يعجز عقلاً وعادةً عن القيام بها؟

■ **أوّلاً**: لا يمنع العقل من أن يتقلّد صبي في هذا العمر إمامة الخلق؛ ذلك أنّ العقل حاكم بوجوب أن ينصب للإمامة من هو أهل لهذا المقام فيه من الكمالات العقليّة والخلقيّة ما يؤهّله لذلك، فإذا كان تامّ العقل، كامل الجسم، جامعاً للمعارف، أفضل ممّن سواه، لا يدانيه في الفضل والكمال أحد من أهل زمانه، وجب عقلاً أن يتقدّم النّاس كافّة في كلّ شيء، وهي الإمامة على النّاس، وصدّق العقل بلزوم نصبه حينئذٍ للإمامة على الخلق، هذا ما يريده ويحكم به العقل. وأمّا سائر العوامل من كبر السنّ وصغره، أو كبر الجسم ونحوله وصغره فلا مدخليّة للعقل بها ولا حكم له فيها، ألا ترى أنّ العقل إنّما يذهب إلى وجوب كون الإمام قادراً على تحمّل أعباء الإمامة، سواء كان طفلاً أو كان شيخاً، ويمنع عن تقلّد غيره ممّن لا كفاءة له في إدارة شؤون البلاد، سواء كان شيخاً أو كان طفلاً، فالكفاءة الإداريّة هي موضع اهتمام العقل، وهي الملاك عنده، وأمّا العمر فهو أمر اعتباري. فقد يبلغ الشّخص ويكمل عقله ويكتمل علمه في الطّفولة، وقد يشبخ الرّجل دون أن يكمل عقله أو يتمّ له علم أو قدرة على إدارة البلاد وتسيير العباد.

على أنّ الإمامة وهي منصب إلٰهي تدور رحاها بيد الخالق الحكيم

القادر على كلّ شيء ، وكثير من أفعال الله تعالى لا يحتملها العقل ولا يهتدي إلى كنه ذاتها والسرّ المكنون فيها ، فلا ينبغي للعبد أن يحكم باستحالتها إذا ما عجز عن تفسيرها والوقوف على حقيقتها وسرّ حكمتها ، وإنّما على العبد أن يتعبّد بأمر الله جلّت عظمته ويستسلم بامتثاله التامّ لأمره تعالى ، وإلّا فلا معنى للعبودية إذا كان العبد يريد تفسيراً لكلّ جزئي أو كلّي صادر من الله تعالى.

ورغم ذلك فسيرة العقلاء قائمة أيضاً على لزوم القدرة والكفاءة والكمال فيمن يتقلّد منصب الإمامة ، وليس من سيرتهم وجوب كونه بالغاً من العمر حدّاً معيّناً ، بل إذا وجدوا صبيّاً كامل العقل ، وافر العلم ، ناقد الذهن ، نافذ البصيرة ، صائب القرار ، شجاعاً ، فطناً ، كاملاً ، انقادوا إليه وقدّموه عليهم لرجاحة عقله وسائر صفاته الكماليّة غير عابئين بصغر سنّه ونحولة جسمه.

نعم ، قد لا يتقبّل بعضهم أو كثير منهم ذلك ، ولا تميل إليه أو تطمئنّ نفسه ، لكن ذلك ليس بحكم العقل ولا بسيرة العقلاء ، كلا بل اتّباعاً للهوى وطلباً لحطام الدنيا ، فإنّهم اجتمعوا على تنحية عليّ بن أبي طالب عليه السلام من الخلافة واغتصابها منه وهو حينئذٍ لم يكن صبيّاً صغيراً ، ولا طفلاً نحيلاً ، رغم اعترافهم بأنّه أفضلهم على الاطلاق ،

وأكملهم بالإجماع ، وأنت عارف بأنّ ما فعلوه لم يكن إلاّ مخالفة منهم لحكم العقل وتمرّداً منهم على سيرة العقلاء ، وذلك اتّباعاً للهوى ، وانحرافاً عن الهدى ، ورغبة في الرّئاسة وحطام الدّنيا . وعليه فأصحاب البدع والأهواء من أتباع الأنبياء لم يكترثوا بحكم العقل ولا بسيرة العقلاء ، بل جرت سيرتهم على خلاف ذلك دائماً وأبداً . وقد خالفوا في ذلك الأتقياء والصّالحين من أصحاب الأنبياء وأتباعهم ، والتّأريخ شاهد صدق على ذلك .

كيف لا وقد أُوتيت النّبوّة وهي أعظم من منصب الإمامة ـ عند المخالفين ـ لمن دون عمر الحجّة المنتظر عجّل الله تعالى فرجه ، فقد قال تعالى عن عيسى عليه السلام بعد ساعات قليلة من ولادته : ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً * وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ مَادُمْتُ حَيّاً * وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً * وَالسَّلاَمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً * ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾[1] ، وهو الّذي ادّخره الله تعالى لنصرة صاحب الزّمان أرواحنا له الفداء ، ويصلّي خلف إمامنا ، ويقتدي به .

---

(١) سورة مريم : ٢٩ ـ ٣٤ .

ويكون حامل رايته.

وهذا يحيى بن زكريّا عليه السلام تقلّد النّبوّة في صباه، وقيل كان في الخامسة أو دونها. قال تعالى: ﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً ﴾(1)، فهل بعد ذلك غرابة في إمامة الحجّة صلوات الله عليه سوى الأحقاد والضّغائن واتّباع الهوى؟

فإن قلت: أليس من شؤون الإمامة خوض المعارك والجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى، وأنّى لصبيٍّ في هذا العمر أن يخوض ذلك؟

قلت: أوّلاً: ليس على الإمام والقائد الأعلى بالضرورة أن يبرز للقتال، ويتقدّم صفوف المقاتلين والمجاهدين، ويكفي فيه القدرة على تدبير شؤونهم والعلم بالحروب، وتعيين من يقود جيوش المقاتلين، وقد فرضنا توفّر ذلك في الإمام عليه السلام، والقرآن الكريم يحكي لنا قصّة نبي من الأنبياء حين أُمر بجهاد الكفّار والمشركين أمره أن ينصب لقومه قائداً عالماً بفنون الحرب والقتال، قويّاً في الجسم. قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ... ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً

---

(1) سورة مريم: ١٢.

قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ ﴾[1]، وهذه عادة أهل الأهواء أنّهم يستشكلون على كلّ شيء. فإنّهم لم يشكلوا هنا على صغر سنّه، ولا نحولة جسمه، ولا قلّة خبرته وعلمه بالحرب؛ لأنّ الاشكال من هذه الجهات لم يكن وارداً أصلاً.

﴿ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾، وهما المنوط بهما في القتال، وإنّما أشكلوا بما لا دخل له في قيادة الحرب وخوض الجهاد، شأنهم في ذلك شأن أهل الأهواء؛ إذ وقع الإشكال منهم على أنّهم أحقّ منه بالملك، لماذا؟ لأنّه كان مغمور الحسب والنّسب فيهم، فهو لم يكن من بني إسرائيل المعجبين بأنفسهم أنّهم شعب الله المختار، ولا كان من ذوي العشائر والقبائل والرّئاسة الشّهيرة حينذاك، فما كان المفترض أن يقصد في الإشكال وهو العلم والجسم هنا، لم يقع منهم، وما وقع منهم من الإشكال لم يكن في محلّه، ثمّ إنّ الله تعالى ختم الآية بما فيه عبرة لمن اعتبر، وصرخة في وجه من زعم أنّ النّاس يختارون لأنفسهم من شاؤوا، وأنّ الأمّة قادرة على اختيار الأصلح لقيادتها، والأخذ بزمام أمرها حين قال

---

(١) سورة البقرة: ٢٤٦ و ٢٤٧.

تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[1].

كما أنّ في سيرة رسول الله ﷺ دليلاً قاطعاً وبرهاناً ساطعاً على ما ذكرنا؛ وذلك أنّه لم يبرز للقتال إلّا إذا حمي الوطيس، وتخاذل المسلمون عن النّصرة والجهاد وولّوا الأدبار كما في معركة أُحد. وكما هو الحال لدى الزّعماء والأُمراء والملوك، فإنّهم قلّما يبرزون للقتال ويقودون الجيوش بأنفسهم في ساحات المعارك، وإنّما ينوب عنهم قائد عسكري في ساحات القتال، وفي سيرة الخلفاء الثّلاثة ومعاوية وغيابهم عن ميادين القتال خير شاهد على ما نقول.

نعم، الفرق بين الأنبياء والأئمّة عليهم الصّلاة والسّلام وبين غيرهم أنّ الأنبياء والأئمّة صلوات الله عليهم أعلم النّاس بفنون القتال وخوض المعارك وأشجعهم لا يدانيهم أحد في الفضل والكمال مطلقاً. بينما أكثر الملوك والأُمراء والحكّام لا سيّما الخلفاء ومعاوية عليه الهاوية لم تثبت لهم فضيلة ولا علم ولا معرفة سوى البطش والمكر والحيلة.

وإنْ قلتَ: ليس من عادة النّاس طاعة الصّبيان.

---

(١) سورة البقرة: ٢٤٧.

قلت: ليس من عادة العصاة وأهل الغواية وأصحاب الهوى طاعة أحد من الأنبياء والصّالحين والأولياء، وليس كلّ النّاس من هذا القبيل.

وأمّا ثانياً: فالفائدة من هذه الولاية والإمامة هي ذاتها الّتي في نبوّة المسيح عليه السلام ويحيى عليه السلام؛ ذلك أنّ فيها:

١ ـ الإعجاز الإلهي وتجلّي قدرة الله تعالى وعظمته جلّ شأنه من جهة إيداع الأسرار كلّها، وجعل الكمالات بأكملها. والفضائل بأسرها في أطفال وصبية صغار، فهم صغار السّنّ، كبار الحقائق والأنوار والتّجلّيّات، عظماء في الصّفات، حجج الله على خلقه، يمثّلون عظمة الخالق تعالى وحكمته وقدرته ليعلم الجنّ والإنس ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

٢ ـ ليتمّ التّصديق من الجنّ والإنس أنّ اختيار الأفضل الأكمل الأقدر لحمل الأمانة لا يكون إلّا من الله تعالى، وليس لغيره أن ينصب النّبيّ والإمام عليهم السلام كائناً من كان: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[2].

---

(١) سورة البقرة: ٢٠.

(٢) سورة الأحزاب: ٣٦.

وأن يذعنوا بهذه الحقيقة وتتمّ عليهم الحجّة.

٣ ـ أنّه اختبار من الله تعالى لعباده، ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾[١]، ويعلم الصّادق في إيمانه من الكاذب المنتحل المتصنّع؛ إذ كم من عالم يتظاهر بالصلاح أو عابد متظاهر بالطاعة والإخلاص، أو متلبّس بزيّ أهل الايمان لا يسقط عن وجوههم قناع النّفاق، ولا تنكشف وجوههم على حقيقة ما تكنّه أنفسهم إلّا بهذا القبيل من الاختبار، فإذا افتتن بمثل هذه الفتنة سقط القناع الزّائف عن حقيقة ما كان يخفيه ويستره، وتزلّ أقدامه في أوّل خطوة يواجه الحقيقة فيها، بالتمرّد والعصيان ومحاربة النّبيّ والإمام.

٤ ـ وليعلموا أنّ حمل الرّسالة والأمانة لا تقتصر على عمر معيّن دون غيره، بل ليس لسنّ النّبيّ والإمام دخل في استحقاق تلك المنزلة، بل يؤتي الحكمة من يشاء، وليس على النّاس سوى السّمع والطّاعة.

٥ ـ ولكي يعرفوا أنّ الملاك في النّبوّة والإمامة والمناصب الإلـٰهيّة هو حسن السّيرة ورجاحة العقل وكمال النّفس وسموّ الرّوح بأن

---

(١) سورة الأنفال: ٣٧.

يكون مصداق الإنسان الكامل الجامع للكمالات والفضائل والكفاءات.

٦ ـ وليذعنوا أيضاً بأنّ هذين المنصبين لا ينالها عبد بمجرّد الطلب والاكتساب وبذل الجهد والاجتهاد؛ لأنّ الله جلّت قدرته خصّ بها أقواماً وطائفة من أصفياء شجرة واحدة في سلسلة متماسكة مترابطة يتلو بعضها بعضاً ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّماءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا﴾ [١] في توالي النّبي بعد النّبيّ، والإمام بعد الإمام، ﴿كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [٢]، فلا يطلبنّ العبد مهما أُوتي من العلم ومهما اجتهد بالعمل والعبادة أن ينال تلك المنزلة، فإذا حرم منها يرتدّ على أدباره فيخسر الدّنيا والآخرة؛ لأنّ الأنبياء والأئمّة هم المصطفون الأخيار الّذين يفوقون حدود الإدراك البشري القاصر، ولا يقوى على إدراك مقاماتهم الخفيّة ومنازلهم الغيبية عقل الألمعي من الرّجال.

ولو سألناهم أليس الله تعالى قادراً على أن يجمع كلّ الفضائل والكمالات والعلوم في نملة، لأجابوا: بلى، وإلّا كفروا، فما بالهم يحيلونها وينكرونها ويسخرون منها إذا ما أُودعت في صبي وظهرت

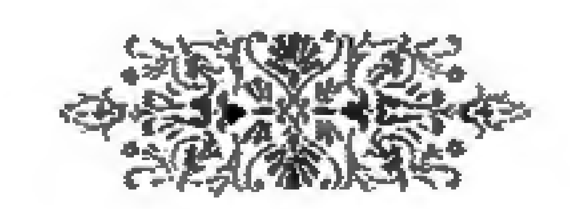
---

(١) سورة إبراهيم: ٢٤.

(٢) سورة إبراهيم: ٢٥.

منه جهراً وعلانية ؟! ﴿ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ ؟

وثالثاً: يظهر الجواب ممّا تقدّم آنفاً حيث أنّ ادّعاء العجز عادة للقيام بتلك المهام الخطيرة الجسام وارد في حيطة قدراتنا المحدودة الأسيرة بيد الطّبيعة والأجرام الماديّة المقيّدة ، وأمّا الإمام المنصوب من قِبل الله جلّت عظمته القادر على كلّ شيء فلا يمتنع عليه لا عقلاً ولا عادة القيام بمثل هذه الشؤون ، على أنّا نمنع ادّعاء العجز عادة حتّى في البشر ممّن هم دون مرتبة الأنبياء والأئمّة ، ونمنع امتناعه منهم مطلقاً ؛ ذلك أنّ جوهر النّفس الإنساني وجوهره العقلاني يحتملان فوق ما يتصوّره أصحاب العقول السّاذجة ، إذا ما بلغت قواه الرّوحانيّة أقصاها ، وتجاوزت قدراته النّفسانيّة مداها ، وسيرة العظماء والعباقرة في التّأريخ كابن سينا عبقري زمانه ، بل جميع الأزمنة ، خير شاهد على ما نقول.



المحتويات

المحتويات